الأعمال الكاملة

عبد المنعم عواد يوسف

«المجلد الثاني»

١ ـ المرايا.. والوجوه.	٢٠٠٠
٢ ـ للحب أغني.	١٩٧٦
٣ ـ الشيخ نصر الدين.. والحب والسلام.	١٩٧٤
٠ ـ عناق الشمس.	١٩٦٦
٥ ـ الضياع في المدن المزدحمة.	١٩٨٠
٦ ـ عندما نادتني عيناك.	٢٠٠٠



الإخراج الفنى:

ميرفت عنتر النحاس

الإهداء

إلى ثريا العسيلى

رفيقة العمر الجَميل

عبدالمنعم،

شعر عبد المنعم عواد يوسف
الرؤية والأداة

بقلم: د. حسين على محمد
الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية بالرياض

الشاعر عبد المنعم عواد يوسف (١٩٣٣ - ...) واحد من الشعراء الذين أسسوا لقصيدة شعر التفعيلة فى الشعر العربى المعاصر، وهو مع كوكبة من زملائه: صلاح عبدالصبور، وكمال نشأت، وكامل أيوب، ومجاهد عبد المنعم مجاهد، وعبد الرحمن الشرقاوى، ومحمد مهران السيد، وحسن فتح الباب.. وغيرهم، كانوا الصوت المصرى الأصيل فى سيمفونية الشعر الجديد فى العالم العربى.

وفى هذه القراءة التى نُقَدِّم بها المجلد الثانى من أعماله الكاملة، نتوقف أمام بعض ملامح شعره الموضوعية والفنية.

ملامح موضوعية:

تكشف أشعار عبد المنعم عواد يوسف المبكرة عن انتمائه للطبقات الكادحة التى تحلم بالحياة الكريمة، وإذا كان شعراء الأجيال السابقة ـ مثل حافظ إبراهيم وأحمد الزين ومعروف الرصافى ـ دعَوْا فى شعرهم الاجتماعى إلى «العطف» على الفقراء والمُحتاجين والأرامل، فإن الرؤية

الاجتماعية فى شعر روّاد شعر التفعيلة ـ وعلى رأسهم عبد المنعم عواد يوسف ـ جعلتهم يكتبون عن معاناة بعض طوائف المجتمع، كالفلاّحين الفقراء. لكنهم لم يكتبوا من الخارج، إنما استبطنوا معاناتهم، وجعلوا الصامتين يتكلمون ـ حتى لا يظل الشعراء يتكلمون بدلاً منهم ـ ومن ذلك ما كتبه عبدالمنعم عواد يوسف فى قصيدته «الكادحون»، على لسان أحد الكادحين من الفلاحين الأُجراء، الذين لا يمتلكون الأرض التى يزرعونها، والذين يغرسون القمح، ويقتاتون الطين!.

يقول فى المقطع الأول مصوِّراً عودة الفلاحين الفقراء من حقولهم عند مغيب الشمس، وهم يُحسون إحساساً طاغياً بالذل الذى يُحاصرهم، والهموم التى تجثم فوق قلوبهم:

الكادحونْ
عادوا إلى أكواخهمْ عندَ المغيبْ
يتعاقبونْ
عادوا، وفى نظراتهمْ ذلُّ السنينْ
عادوا، وبْينَ ضُلوعهمْ همٌ دفينْ
يتتابعونْ
والبؤسُ يبدو فى اختلاجات العيونْ

وفى المقطع الثانى يقول إنه واحد من هؤلاء الذين توارثوا الذل ابناً عن أبٍ عن جد، وأنهم يغرسون الحقل قمحاً، ويأكلون الطين!!

وأنا أعودْ
متكاسلاً مثلى كمثلِ العائدينْ
الراكنينَ لذلِّهمْ، مستسْلمينْ
مثل الجدودْ
كانوا كذلكَ مثلَنا مستعْبدينْ
القمْحُ غرسهمو..
ويقتاتونَ طينْ
جيفٌ ودودْ
السوْطُ يُلهبُهمْ، فلا يتكلَّمونْ!

وإذا كان الشاعر قد عبَّر فى بواكيره عن أزمة مجتمعه، فإننا نراه فى مراحل أخرى من حياته الشعرية حزيناً؛ لأنه لم يجد الطريق مهيئاً أمامه للشدو؛ فقد انكسر الشاعر المُعاصر أمام هذه المدينة الغليظة، الصخرية القلب، التى يضطر فيها الشاعر أن يسير مغمض العينين. حتى لا يرى مايسؤوه:

أسيرُ فى الطريقِ مُغمض العينين
أُودِّعُ التفكيرَ عندَ باب دارِنا
وأتركُ الشعورَ فى سكونِ منزلى الصَّغيرْ
يا ويْلَهُ منْ كانَ واسعَ العَيْنيْنِ فى زمانِنا
يا ويْلَهُ منْ كانَ نابغاً ذكيا
ياويْلَهُ منْ كانَ مُرْهفَ الشعورْ

لعله ـ كالشعراء الرومانسيين ـ رأى موت البراءة فى عالمنا الذى تتنازعه الصراعات المسلحة والأحقاد، ومن ثم تقوده هذه الرؤيا الفاجعة إلى ضفاف الحزن.

يقول فى قصيدة «هاملت يموت أبدا» متحدثًا عن اغتيال البراءة فى عالمنا:

لأنَّ فى زماننا الأطفالَ يولدونَ ميْتينْ
ويرضعون الموتَ كلَّ يومْ
فينشأون ميّتينْ
ويكبرون ميْتينْ
يملؤنا التوقُّعُ الحزينْ

... ومن ثَم يهجو صاحبنا عصره، لأنه يرى الناس يقتتلون فيه بلا سبب، وتنشب بينهم النزاعات والصراعات التى تستعر لمدد طويلة، ويطول حزنه إذا اشتعل الصراع بين العرب، فأزهق الأرواح، وأهرق الدماء التى حرّمها الله!

يقول فى المقطع الأول من قصيدة «هجائيات» (وواضح أنه كتبها بعد اشتعال الحرب اللبنانية ـ اللبنانية، وبعد تفرق العرب وابتعادهم عن مصر حينما قام الرئيس الراحل بمبادرة الصلح مع إسرائيل عام ١٩٧٧، فالقصيدة تحمل تاريخ كتابتها: ١٩٨٠م):

أتقتلونَ بعْضَكمْ بلا سببْ
وتنْتقونَ للَّهيبِ أجْودَ الحطبْ

وكلُّكمْ يظنُّ نفسَهُ محمَّداً..
وكلُّكمْ أبو لَهَبْ
وتدَّعونَ أنَّكمْ عَرَبْ
إنْ كانَ منْ أراهمو أمامَ ناظرى عَرَبْ..
فقدْ كَفَرتُ بالعَرَبْ
دَمُ الشَّهيدِ لمْ يَزَلْ
على الدروبِ يصْطَخبْ
مُنقِّباً عن السَّببْ
يقولُ فى غَضَبْ...
منْ أجْلِ ماذا تُهْدَرُ الدِّماءُ أيُّها العربْ؟!
يا أيُها الذين تدَّعون أنَّكمْ عَرَبْ

وفى ظل هذا الجو الذى يمتلئ بالحزن تكون الصداقة هى الواحة التى يفىء إليها قلبه المتعب، ويستريح إلى ظلها الأخضر، وتكون فجيعته كبيرة عندما يفقد واحداً من أصدقائه.

يقول فى قصيدة «دمعة عليه» التى يُهديها «إلى صلاح منصور.. أخى الذى فقدت»:

من أيْنَ تبتدئُ القصيدة؟
والحزنُ يبرزُ أخطبوطاً مدَّ أذرعَهُ العديدهْ

الحزنُ يخنقني فيمتنعُ الكلامْ
الحزنُ فاجأني صباحَ اليومِ
يبرزُ منْ خلالِ سطورِ أعمدَةِ الجريدَةْ
يا أيُّها الشيءُ الخرافيُّ الرّهيبْ
يا أيُّها الحزنُ العجيبْ
منْ أينَ جئتَ إليَّ في هذا الصبّاحْ
منْ ذلكَ الأحد الحزينْ؟!
من أينَ جئتَ إليَّ، نصلُكَ ذلك المسمومُ..
كيفَ غرسْتَهُ في غوْرِ أعماقِ الضلوعْ
أوّاهُ يا قلبي الطّعينْ
منْ أينَ جئْتْ؟
يا أيُّها الحزنُ اللّعينْ..
يا زارعاً في الصّدْرِ حقْلاً منْ جراحْ..
يا أيُّها الحزنُ الذي قدْ زارني هذا الصبّاحْ
منْ ذلكَ الأحد الحزينْ؟!
ليقولَ ماتَ أخي صلاحْ

لكن مّما يُحمدَ لشاعرنا أننا نرى في أشعاره ـ رغم علو نبرة الحزن ـ بصيصاً من أمل، وإشراقة ضوء. إنه يثق في أن الغد سيكون أفضل من اليوم ـ وهذه رؤية إسلامية ترى «أن مع العسر يسرا» (سورة الشرح: ٦). يقول في قصيدة «إنه يقبل في موعده»، متحدثاً عن الغد، الذي يفيض بالإشراق والفرح:

ارقبوهْ..
إنّهُ يقبلُ فى موْعده
واهمٌ منْ ظنّهُ يُخلفُ وَعْداً
واهمٌ منْ ظنّهُ ليس يجىء
إنه يُقبلُ وحْدهْ
غيرَ أنَّ الوعدَ المضروبَ مازال بعيداً، وسيأتى
دون أن ندعوهُ يأتى..
ذاتَ يوْمْ..
فاطْرحوا الشّكَّ بعيداً..
اطْرحوهْ..
إنّهُ يُقبلُ فى موْعده
فارْقبوهْ

غير أنى كنت أتمنى أن يتأمّل الشاعر فى قوله «إنه يقبل وحده، دون أن ندعوهُ يأتى..»، ولعله لو حذف هذين السطرين لكان أفضل، ففى هذين السطرين مجىء الغد الآمل، المُترَع بالإشراق والفرح، دون أدنى جهد منا.

ولكن لعل الشاعر يرى أنّنا لم نبذل ما فيه الكفاية لاستنبات زهور الإشراق والفرح فى صحراء الوحدة والأنانية والحزن المحبط بأرجاء الكون، وهو مُحق فى هذه الرؤية التى ترى أن الغد السعيد سيجىء، دون أن نبذل الجهد اللازم لاستقدامه.

ولعل قصيدته «النور يفترش الطريق» تضيء جزءاً من رؤية الشاعر، حيث يرى الزارعين الذين يزرعون الحياة بالأمل، لا يجدون من يقدرهم ويحمل لهم التقدير، بل هم أنفسهم ـ الزارعون ـ جاءوا بلا مقدمات، وعلى غير موعد:

مِنْ أينَ يُقبلُ هؤلاء
مِنْ أينَ همْ يتسرّبونْ
الأمّهاتُ تهرّأتْ أرحامُهُنّ ويُقبلونْ
أصلابُ منْ يدعونهم آباءهم قدْ أجْدَبَتْ
ماتتْ خصوبتُها، ورغْم جفافها همْ ينسلونْ
العائدونَ من الحقولِ يُردّدون الأُغنياتْ
والزرعُ يبسمُ بالسنابلِ، والبيادرُ متخماتْ
شكراً لك اللهمّ هذا العامُ أقبلَ بالكثيرْ
شكراً فهذا العام لم يُحلَمْ بمثْلِ ثرائه، ولا حلمتْ به
كلُّ السنينَ الماضياتْ
والقاعدون على الطريقِ يُكوّرونَ بُصاقَهمْ
يُلقونَهُ فى أوجهِ الآتينَ..
ما أقسى الحياة!!
الليل يفترشُ الطريقَ..
فلا بصيصَ من الأملْ..
عودوا إلى الحُفَرِ الكئيبةِ، هوّموا فالليلُ آتْ

كأنّما الحياة تُجدد نفسها، بإنجاب الأبناء الذين جاءوا رغم تهرؤ أرحام الأمهات، وجدب أصلاب الآباء. وسيبقى هناك من يندب حظه، ويردد: ما أشقى الحياة! فكأنّ عينيه قد عميتا عن إبصار أى بصيص من ضوء الأمل، ولهذا فهم يغنون لمجيء الظلام، ويسعدون بالخفافيش، وأغنيات اليأس، وشاعرنا لحسن الحظ ليس منها، ففى غنائياته نرى الأمل الذى يُشرق ـ دائماً ـ برغم المثبّطات:

ويوماً ما..
سينْقشعُ الضّبابْ
يُطلُّ وجْهُ الصّحْوْ
يشرق فى ظلامِ الليلِ بدْرٌ
ينشرُ الأفراحَ والبشرْ
فلا تتعجّلوا الأقدارَ، كلٌ فى مواسمه

الغربة وأثرها فى شعره

منذ أوائل السبعينيات اغترب بعض المثقفين المصريين بحثاً عن الثروة، أو الحرية، أو فرصة العمل. ولكنّ شاعرنا الذى اغترب عقدين من الزمن فى دولة الإمارات العربية المتحدة، ثم اغترب نحو ثلاثة أعوام فى المملكة العربية السعودية، يقول فى المقطع الثانى من قصيدة «هجائيات»:

مدانٌ أنا.. مثلما كلُّكمْ مدانونَ، ليس بريئاً أحد
تركناك يا وطنى، نحسبُ أنّا سنجمع تِبْرا

.. ـ ألا ليتَ شعرى ـ ومالاً لُبَدْ

ومرّ الزمانُ وشيْئاً فشيئاً..

نسينا البلادا

استحلْنا جمادا..

دُمىً لا تحسُّ، نسينا الدِّيارْ

وتركنا البلدْ

ألا فاخرجوا منْ جلودِ البراءة..

ما فيكمو منْ برىءٍ.. أجلْ، لستُ أُعْفِى أحَدْ

ومن الطبيعى أن هذه الرؤية لا تنطبق على شاعرنا الذى ظل رغم غربته ملتصقاً بهموم الوطن، كما لا تنطبق على الكثرة الكاثرة من مثقفينا، ولكنه نوع من جلد الذات، واستعذاب الألم. وما يقوله فى هذا المقطع يمكن أن يصف القلة القليلة من المثقفين، التى تخلع هموم الوطن عندما تُغادر ترابه.

فما زال الوطن حاضراً بشدة فى قصائده، بل إن اغترابه عن الوطن جعله قادراً على رؤية التغيُّرات التى تُصيبه، كلما غاب عاماً أو بعض عام، ثُم عاد. يقول فى قصيدة «للحب وجه ثالث» متخذاً من المرأة إطاراً، أو مفردة فنيةً يتحاور معها، معبِّراً من خلالها عن التغيير الذى أصاب المحبوبة/ الوطن، وغيَّر صورتها وملامحها إلى الضد من تلك الصورة التى يعرفها. يقول فى المقطع الأول:

لا، لم تكنْ أنت..
أقسمْتُ أنّك لَم تكونيها
لا لا، ولَم يكُ ملمحٌ منك..
أو لمسةٌ فيها..
الوجْهُ غيْرُ الوجْه..
كان الوجْهُ بستاناً..
وهذا الوجْهُ مسْخٌ كالحٌ..
أفعى، يطلُ السُّمُ من فيها
لا، لم تكنْ أنْت..
لا، لَم تكونيها

وبرغم أنّ القصيدة تقترب من الغنائيات الرومانسية التى شاعت فى الإبداع المصرى الحديث فى الأربعينيات، فإنك تجد فيها الوطن حاضراً بقوة، وتُتابع المقطع الثانى فترى جمال الأشياء الضائعة (أو المفتقدة): سحابة رحمة وندى، رحيق منى، طيب الشذا.. تلك الأشياء التى يفتقدها الشاعر العاشق بعد أن صارت الأيامُ غير الأيام، وتحولت الحبيبة الجميلة إلى صورة أخرى، يُنكِرُها كلَّ الإنكار:

لا، لم تكنْ أنْت..
لا، لَم تكونيها
تلك التى قدْ أغلقَتْ فى وجْهىَ البابا

هذا الصباحَ، وأدْبرتْ عنّى

لا، لَم تكونيها

إنَّ التى بالأمس صافحنى..

طيبُ الشّذا فيها..

كانتْ سحابَة رحمةٍ ونَدَى..

كان الغمامُ رضىً يُوافيها

كانتْ رحيق منىً يُباركُنا

كانتْ فهلْ يتغيّرُ الإنسانْ..

قولى.. هلْ تغيَّرتِ

لا، لم تكنْ أنْتِ..

لا، لَم تكونيها

وإذا كان الشاعر فى بعض مراحل تطوره الشعرى قد اقترب من عوالم المتصوفة، فإن صورة الوطن لم تغب عن تجلياته الشعرية، بل ظلت ماثلةً فى قصائده.. ويظل الوطن هو «البحر»:

هو البحرُ عشقٌ وموْتٌ

وتُقسمُ لوْ عُدْتَ للبرِّ يوْماً ستُقلِعُ عن عشقِكَ للبحْرِ

حتى إذا ما اسْتقرَّ المقامُ

وأضْجَرَكَ العيْشُ بالبرِّ

نفسُ الأحاديثِ، نفسُ الرُّؤى

شَدَّكَ العشقُ للبحْر،
عُدْتَ إلى حصْنه عَاشقاً، أثقلَتْهُ التّباريحُ
علَّقْتَ نفسَكَ فوَقَ صوارى السّفائنِ
أرْسلْتَ طرْفَكَ فى روْعة الحُلْمِ
هذا قضاؤكَ هذا اختْيارُكَ
رحلةُ عمْركَ بينَ المماتِ وبيْنَ المَعادْ

وهموم الوطن هي قضاء الشاعر واختياره، ومن ثّم وجدناه فى قصائده يهجو السلبيات التى تُحاصره، يقول فى المقطع الثالث من قصيدة «مشاهد فوق مرآة مشروخة» :

أبصرتُ القردةَ هذا اليومْ
تتجوَّلُ فى أبهاء المسجدْ
تعبثُ بنقوش سَجاجيدهْ
وتبولُ على رَأسِ العُبّادْ
أبعدها النّاسُ عنَ السجّادْ
ودعوها تعبثُ بالعُبّادْ
لْم ألمحْ أحداً ممتعضاً مّما يجرى
لْم تبْدُ فرائصُ مرتعدَةَ
لْم يسألْ أحدٌ صاحبَهُ
منْ فتحَ البابَ لتلك القردهْ؟

ويقول فى المقطع الثالث من قصيدة «مجرد ملاحظات»، معبراً عن اختلاط القيم والمفاهيم، وعموم الحيرة والبلبلة:

عمي الألوان عمّ النّاسَ فى هذا الزّمانِ..
فلمْ تعُد تتميّزُ الألوانُ..
ذاب اللونُ فى اللون
فأصبحَ أخضراً ما كَان أحمرَ أمسِ فى عيْنى
وأصبح أبيضاً ما كان أسودَ منذُ يوميْنِ

وشيوع هذه الهجائيات لبعض الصور السلبية التى تُطارده فى فضاء الوطن، يكشف عن رؤية الشاعر المثالّية لواقع يتخثّر يوماً فيوماً، ويكشف عن عدم قدرة الشاعر على الإندماج فى هذا الواقع الآسن ـ الذى يرفضه ـ وتكشف هذه الهجائيات عن رؤية حالمة تتجاوز ما هو كئيب وأسود، وتحلم ـ كما قدّمنا ـ بغد أفضل، سيجىء فى موعده، دون أن نبذل من أجله مايستحقه من عمل وعناء، لأننا غير قادرين على هذا العطاء المطلوب!

ملامح فنية:

١ ـ المفارقة التصويرية:

تعدُّ المفارقة التصويرية إحدى السمات الفنية فى الشعر العربى المعاصر، وهى إحدى الملامح البارزة فى شعر عبد المنعم عواد يوسف، فهو أحد الشعراء الذين تبرز فى شعرهم المفارقة فى صورة جلية، ويمكن من خلال المفارقة عنده أن نتعرف على إحدى التقنيات الجديدة فى القصيدة

المعاصرة، وهى تقنية «المفارقة»، وكيف يستثمرها فى شعره الذى يغنى فيه القيم النبيلة، وهموم الإنسان وأحلامه، دون غموض مفتعل أو ادّعاء حداثة مرذولة تنفصل عن ذائقتنا العربية.

و«المفارقة التصويرية» هى «إحدى السمات الفنية فى الشعر العربى المعاصر، يستخدمها الشاعر لإبراز التناقض بين طرفين بينهما نوع من التناقض.. والتناقض فى المفارقة التصويرية فكرة تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل.. والشاعر المعاصر يستغل هذه العملية فى تصوير بعض المواقف والقضايا التى يبرز فيها هذا التناقض، والتى تُقدّم المفارقة التصويرية بدور فعّال بإبراز أبعادها»[1].

ويُمكن إدراج أنماط المفارقة عند الشاعر فى أربعة أنواع، هى: المفارقة الجزئية، ومفارقة الموقف، ومفارقة العنوان، ومفارقة السياق (وسنتناولها فى دراسة مُقبلة، مفصلة)، لكننا هنا سنتوقف أمام بعض قصائده التى تتجلّى فيها «مفارقة السياق»:

ويُقصد بمفارقة السياق أن المفارقة قد تمتد لتشمل سياق القصيدة كاملاً، فكأن القصيدة تقوم على مفارقة سياقية كبيرة، ومن هذا النوع قصيدة «أنت بعثتنى»:

وحينما أغمضْتُ عْينيّا
أستقبلُ الموْتا
أتيتَنى أنتا

---

(١) د. على عشرى زايد: استدعاء الشخصيات التراثية فى الشعر العربى المعاصر، ط ١ ليبيا ١٩٧٨، ص ١٣٧.

تبدو المفارقة من المقطع الشعرى الأول، فالشاعر يغمض عينيه بعد مجاهدة ومكابدة لم يُرد أن يحدثنا عنها، ولكنه بدأ مقطعه الشعزى بالواو، وكأنه يكمل كلاماً (مسكوتاً عنه فى النص) دار فى داخله، إنه ينتظر الموت يأتيه، وفى استخدامه «أستقبل» ما يبدو وكأن الموت أمل حبيب، سيخلّصه من معاناة طويلة، فنحن لا نستقبل إلا الأحبة والأصدقاء ومن نحب، ولكنّ شخصاً مباغتاً يحضر ليبعثه من جديد (وكأنه كان مات بالفعل!).

• ومن المقطع الثانى تتضح المفارقة بين الخطر الذى كان يتهدّده، والإنقاذ الذى ساقه الله على يدى هذا «الزائر» المنقذ:

يا مُنقذى:
من أينَ أقبلْتا؟
أنا كلُّ ما أدريه أنّكَ حينما جئتا
وطرقتَ بابى
كنتُ قدْ أغمضْتُ عيْنيّا،
أستقبلُ الموْتا
فبعثْتنى أنْتا
لما طرقتَ البابَ
كنتُ أظُنّكَ الموْتا
تمتمْتُ: أهْلاً بالخلاصِ أتى!!
مضيْتُ لأفتحَ البابا
رباهُ!!

لا، لم يكُ الموْتا
هذا الصبوحُ الوجْه، هذا المجتلى سمْتا!!
ويجىءُ صوتُكَ دافِىءَ النبراتِ،
يشجبُ ذلكَ الصمْتا
- هلاّ سمحْتَ لنا؟!
- يُشرِّفُ نورُكَ البيْتا

يستخدم الشاعر فى المقطع الثانى «التبقيع»، وهو أن الفقرة التى وردت فى المقطع الأول وجدناها فى المقطع الثانى بألفاظها نفسها تقريباً لكنه أضاف ملامح أخرى[٢]، منها دهشته لمجىء هذا القادم الذى أعاد إليه نسغ الحياة «من أينَ أقبلْتا؟»، وكأن اليأس كان يحيط بأقطار روح الشاعر فلا تنتظر أملاً ولا نجاةً فإذا به تُشرق النجاةُ أمام عينيه.

وتتضح ملامح المفارقة فى أن الشاعر كان ينتظر الموت، فإذا به يجيئه الخلاص (بالحياة وليس بالموت) دون سعى منه:

كنتُ قد أغمضْتُ عيْنيًا،
أستقبلُ الموْتا
فبعثْتنى أنْتا

(٢) التبقيع: حيلة فنية كان يستخدمها الكاتب الإيطالى دينو بوتزاتى فى القصة القصيرة. عن «التبقيع» انظر: د. أحمد زلط: دراسات نقدية فى الأدب المعاصر، ط٣، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية ١٩٩٩م، ص ٥٩.

لما طرقتَ البابَ
كنتُ أظُنّكَ الموْتا
تمتمْتُ: أهْلاً بالخلاصِ أتى!!
مضيْتُ لأفتحَ البابا
رباهُ!!
لا، لمْ يكُ الموْتا
هذا الصبّوحُ الوجْهِ

إن هذا الذى يحلم بالموت خلاصاً يجىء له الخلاص فى الحياة؛ الحياة المعشبة المانحة، التى تحوّل الحياة إلى حديقة غنّاء فى جو معطّرٍ صحوٍ، فكأن الزّائر/ المُخلّص أعاد هذا اليائس الذى ينتظر الموت إلى الجنة القديمة التى خرج منها أبونا آدم:

ودخلتَ..
شاعَ الصّحْوُ،
ذاعَ العطْرُ..
أودعَ خطوكَ المغداقُ كلّ حنيّةٍ نبْتا
الزهرُ فى الدّهليزِ، فى الحجُراتِ،
يطْلُعُ أينما سرْتَا
ورداً ونسريناً،
ندىً كُنتا
ومكثتَ عندى مثلما شئتا

ورحلْتَ عني وقتما شئتا
خلفْتَ عندَ رحيلكَ البُرْءا
وتركتَ روحَكَ تمْلأُ البيْتا

ولعلنا لاحظنا فى هذا المقطع المفردات التى تشير إلى الحياة المبهجة التى أدخلها الزائر، ومنها: الصحو، العطر، المغداق، الزهر، ورداً ونسريناً، ندى..

لقد كان مجيئ الزائر إيذاناً بولادة جديدة تركت أثرها فى البيت المقبض الذى كان ينتظر الموت:

أودِعَ خطوكَ المغداقُ كلِّ حنيَّةٍ نبْتا
الزهرُ فى الدِّهليزِ، فى الحجُراتِ،
يطْلُعُ أينما سِرْتا
ورداً ونسرينا،
ندىً كُنتا

إن البيت لم يعد ـ بعد رحيل الزائر ـ كما كان من قبل، لقد تركه يضج بالبُرء والحياة:

خلفْتَ عندَ رحيلكَ البُرْءا
وتركتَ روحَكَ تمْلأُ البيْتا

ومن خلال «التبقيع»، تعود القصيدة دائرة إلى ما بدأت به، لكنّ النهاية هذه المرة غير البداية الأولى؛ فقد رأينا الحياة التى أودعها فى البيت اليائس،

وصاحبه. ومن ثّم فنحن نقرأ المقطع الأخير وكأنه امتنان وشكر لهذا الزائر الجـميل - الذى لا يعرف الشاعر من أين أتى - وكأنه رسول السعادة والحياة!:

يا مُنقذى:
من أينَ أقبلتا؟!
أنا كلُّ ما أدريه أنَّكَ حينما جئتا
وطرقتَ بابى
كنتُ قدْ أغمضْتُ عينْيَا،
أستقبلُ الموْتا
فبعثْتنى أنْتا

وفى قصيدة «صور» يقدّم لنا الشاعر ثلاثة مشاهد تبين قدرته على التقاط الشعرى من النثرى، وفى هذه القصائد يُقدّم الشاعر ثلاث صور للزيف، وخواء الرحلة التى تكون غالبـاً بلا هدف، والخداع الذى نراه يُحاصرنا أنّى توجّهنا، حتى فيما لا نتوقّعه.

يقول فى المقطع الأول:

حينَ أَمَمْتُ المسجدَ
كانَ الكلُّ يُصلّى
إلاّ هذا الواقفَ فى الصَّدْرِ إماما
كانَ يقولُ كلامًا

يُلقيه قعوداً وقياماً
نفسٌ فارغةٌ من تقوى الله
ونفسٌ تتفصَّدُ أرقاما

إنها صورة جميلة تنبض بالمفارقة، تكشفُ عن صورةٍ قدْ نراها في واقع حياتنا، فنستنكرُها؛ فمن المفترض أن يكون الإمامُ قدوةً للمصلِّين، لكنَّ شاعرنا أبصر المأمومين يقومون بشعيرة الصلاة في خشوع، ويُقبلون عليها إقبالاً يكشف عن التقوى والإيمان، لكن إمامهم ـ المفترض فيه أن يكون قدوةً لهم ـ ليس على هذه الدرجة المطلوبة من التقوى والخشوع، إنه يقبل على الصلاة في جمود، عرفنا ذلك من قول الشاعر عنه:

كانَ يقولُ كلاماً
يُلقيهِ قعوداً وقياماً

إن كلمات الله التي «يُلقيها»، وكأنه يريد أن يتخلَّص منها، ووصف القرآن بأنه «كلام»، هنا يخلع الشاعر عنه صفة القداسة من نفس هذا الإمام/ التاجر.

من المفترض على هذا الإمام (الذي جعل من نفسه إماماً) أن يتلوَ آيات الله في خشوع وإنابة، ومن المفترض أن تتسلَّل هذه الآيات البينات إلى روحه، فتضفي عليها نوعاً من السكينة، لكن هذا الإمام/ التاجر يُلقي الكلمات في آلية كأنها كلام عادي. والشاعر بهذا النص القصير المُكثَّف يقنعنا أنه رأى تاجرا تزيا بزي الإمام، ومن هنا تأتي هذه المفارقة الفاتنة. وكأن القصيدة تدعونا أن نبصر أكثر من ذي قبل، وأن نرى الأشياء على

حقيقتها، وألا ننخدع بالمظاهر، وأن نُحاول أن نرى ما وراء ظواهر الأشياء من حقائق كامنة أو مستترة.

لقد استطاع الشاعر أن يلتقط من نثر الحياة اليومية مشهداً واحداً بسيطاً ذا بعدين، ظاهرى وباطنى، عبّر به عن إدانته للخداع، ولكل شىء خادع فى حياتنا، خارج وداخل النص معتمداً فى ذلك على الطاقات الدلالية اللغوية لخدمة نصه المنجز.

ويقول فى مقطع آخر عن الخداع والزيف الذى يستشرى فى نفوسنا، لعدم قدرتنا على الرؤية الحقيقية، وكأنه يُدين «الأنا» هنا ـ لا الآخر ـ فهو الذى فاجأه السِّحْرُ الكامنُ فى عيْنى هذه الحسناء المبتسمة، وهو الذى رآها تبتسم، فظنها تبتسم له، وكان الظن غير حقيقى:

فاجأنى السِّحْرُ الكامنُ فى عيْنيْها
أقبلْتُ عليْها،
وأنا مجْذوبٌ بالبسمة فى شفتيْها
لم أكُ أحسبُ أنَّ فتاةَ..
تملكُ هذا الحسنَ ستبْسم يوْماً لى..
لكنْ حينَ وصلْتُ إليْها،
خلّتْنى ومضَتْ.
كانَ ورائى منْ تبسمُ لهْ

إن المفارقة فى شعر عبد المنعم عوّاد يوسف تكشف لنا عن شاعر محب للحياة، تسوؤه رؤى الزيف والخداع التى تستشرى فى حياتنا، فتُسهم

قصائده فى اكتشاف ظواهر الزيف والخداع لتعود للحياة بهجتها وتصبح جديرة بالحياة. وهكذا كان وراء «المفارقة» رؤية بصيرة، وليست حيلة فنية تُجمِّل القصيدة فحسب.

٢ـ جمالية السرد:

تتواشج فنون الأدب، وتتداخل وسائطها الفنية، فنرى القصة تستعير المشهد السينمائى، والتقطيع، والحوار المسرحى، واللغة الشاعرة. ونرى الشعر يستعير من السينما التقطيع السينمائى، والفلاش باك، واللقطات المركزة الموحية: ويستعير من القصة القصيرة بعض ملامحها الفنية فى الحكى، والعقدة، وتعدد الأصوات، ولحظة التنوير.

وفى شعر عبد المنعم عوّاد يوسف نرى إفادته من بعض تقنيات السرد القصصى. ففى قصيدة «إنه يُقبل فى موعده» نراه يكتب الأقصودة (وهى القصيدة ـ القصة القصيرة)، وتبدأ القصيدة بهذا المشهد:

ذات ليْلهْ
جاءنى
دقّ على بابى برفقٍ
حينما أبصرتهُ بالباب غَشّانى الفرَحْ
لم أكدْ أُبصرُهُ حتّى اَختْفى
لمحةَ.. وانْصرَفا

إن هذا المشهد السردى يكشف عن عنصر القص فى هذه القصيدة، والأفعال: دق، غشانى، أبصره، اختفى، انصرف: تكشف عن الطابع

السردى الذى احتوى النص، والذى بدأ بشبه الجملة: «ذات ليلة»، ليُحدِّد السارد الوقت الذى تخلد فيه النفس إلى السكينة، وتتأمّل فى أحلامها التى تحققت وأمانيها المُجهضة، ورغباتها التى تتوق إلى تحقيقها.

وينتظر القاص/ الشاعر هنا صديقه، لعله الحب، لعله السلام.. أو لعله قيمة من القيم التى تُناضل البشرية من أجلها، كالعدل والحرية، والسعادة! ومن ثم فإنه يصور حضور ذلك المُنْتَظَر (بفتح الظاء) الذى تشوّق إليه الشاعر حضوراً يشبه حضور الأطياف:

دقّ على بابى برفقٍ
لم أكدْ أُبصرُهُ حتّى اختْفى

وتقوم اللغة الشاعرة مع السرد بتحويل النص من سردى نثرى إلى شعرى شفاف، وكأننا نرى الحياة من وراء ستارة (وهذا عين ما تفعله لغة الشعر فى المسرحيات الشعرية ـ أيضاً ـ مهما كانت قضاياها ساخنة، ومهما كانت موضوعاتها مستمدة من كتب التاريخ أو منتزعة من الحياة، ومشتبكةً معها).

وأحياناً تكون اللقطة السردية مُفتتحاً لنص كما نرى فى قصيدة «الظلال»:

طغت الظلالُ على الظلالْ
الظلُّ يزحمُ بعضُهُ بعضاً..
ويلتهمُ المجالْ

ما عادَ منْ شيءٍ هنا غيْرُ الظلالْ
الظلُّ يزحف ما يزالْ
الظلُّ بالظلِّ استطالْ
الظلُّ يلتهمُ الرجالْ

ويتكون النص بعد ذلك من ثنائية سردية غنائية، حيث تتلو المشهدَ السرديّ أبياتٌ غنائية، وتظل هذه الثنائية حتى ينتهى النص.

وهناك ملمح سردى فى نصوص أخرى، يتمثّل فى عدد من اللوحات المتوازية، وكل لوحة تُضيف بُعداً آخر للوحات السابقة، حتى يتم رسم المشهد. ومن ذلك قصيدة «مرثية نهر كان يضج بالحياة»، ففى المقطع الأول يصور ضفتى النهر الضيقتين بقيدين يلتقيان فى عنف حول مجرى النهر، وكأنهما يدان ضخمتان تخنقان النهر، فيُحاول بكل قواه أن يتخلّص منهما ليحتضن البحر:

صوتُ انكسار البحر عندَ المُنحنى الصخريِّ
مُرْتَدٌّ بأعماقى صداهْ
والنهرُ ضاقتْ ضفّتاه
قيدان يلتفان فى عنف على عنق تضجّ بها الحياة
فيظلّ يهدر رغم عنف القيد ما كلّت قواه
غرزَ الأظافرَ فى نتوءِ الصّخرِ لم تضْعُفْ يداهْ
يطْغى حنيناً للخروجِ من الإسارِ،

.. إلى احتضان البحْرِ كمْ حلمتْ رؤاهْ
هذا الحنينُ إلىَ انفساَحِ الأفقِ منْ يدرى مداهْ؟!

وكل مقطع تنويعة أخرى موازية، لتكتمل صورة موت النهر، حتى نراها جلية فى المقطع الأخير:

مدت إليه يد المنونْ
الصّمْتُ عانقَ كلَّ شيءْ
وحشٌ كئيبُ السّمْت يمْرُقُ فى الظلامْ
اغمضْ عيونَكَ كيْ تَنامْ..
اغمضْ عيونَك كيْ تنامْ...
فالنّهْرُ ذابَ ولنْ يعودْ
ما عادَ إلاَّ صفحةٌ جوفاءَ فى سفْرِ الوجودْ!

ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائد عبد المنعم عوّاد يوسف من مشاهد سردية، يسوقها فى لغة سلسة عذبة، رأينا نماذج منها فى المقتطفات السابقة، مما يجعلنا نتساءل فى النهاية:

لماذا لم يُجرِّب شاعرنا عبد المنعم عوّاد يوسف كتابة المسرحية الشعرية، وهو يمتلك هذه المقدرة السردية؟ ولماذا لا يُجرِّب كتابتها فى المستقبل؟ فأكاد أثق يقيناً أنه سيكتب نصوصاً مترعةً بالجمال، وأننا سنكسب شاعراً مسرحياً متميزاً يضيف إلى رصيد المسرح الشعرى صوتاً عذباً، كما أضاف رفقاؤه: صلاح عبد الصبور، وعبدالرحمن الشرقاوى، ومحمد مهران السيد، وأنس داود.

المرايا والوجوه

٢٠٠٠

مقدمة

تشظِّي الزمان..
ومرايا الذات

بقلم: د. رمضان بسطاويسى محمد

تشظّى الزمان ومرايا الذات

هناك بعض الأعمال الأدبية **التى** تتيح مساحة للإبداع النقدى، حيث تترك فراغات يكملها القارئ **والناقد** بتجربته ووعيه، وتبدو الكتابة فى النص، وكأنها مرايا مكسورة، ويعيد **القارئ** بناءها وتجميعها على نحو يضيء عتمة هذه المساحات التى تتيح **المشاركة** والتى لا تستجيب للمفاهيم التقليدية لأن النص الذى بين أيدينا «**المرايا والوجوه**» للشاعر عبد المنعم عوّاد يوسف مكتوب بصيغة فيها **هذا البعد** الانطولوجى لاكتشاف الذات والعالم على نحو يخلق ثلاثيًّا فعالاً: **النص العالم**، القارئ، ويتوارى حضور الشاعر خلف نصه بل قل هو نصه الذى **يقدمه**.

ويأتى هذا النص بعد اكتمال **عالم** عبد المنعم عوّاد الشعرى، فيقدم لنا مرايا الذات، وكيف ينعكس **فيها صور** العالم والناس وقد تغيرت عبر الزمان، فالزمان هو البنية الأساسية التى **يقوم** عليها هذا الديوان، انظر إلى قصيدة

«أنابيش الطفل القديم» حيث يقدم **يقظة لروح** جديدة، ترى الأشياء بحواس طازجة، فتصبح الكتابة اكتشافا فاجعًا:

هأنتذا..

لم يبق من أشيائك الأولى سوى الوهم،

الذى حملتهُ ذاكرة تناوشها الفروق،

فلم يعد من كل هذا الكنز ما يغرى

بأن تبقى على آثاره.

ويخاطب الطفل فى داخله، ليرى **من** خلاله ملامح التغير الذى طرأ على العالم،

ويرى تشظى لحظات الزمان، فلم **تكتمل** الصورة، مقطع شعرى التوتة العجفاء ما زالت هناك:

وأنت تبحث بين عمدان من الأسمنت،

والخرسانة الصماء عن بعض الجذور

ويقوم بناء الديوان على المفردات **المعاصرة** فى القصيدة التى تميز عبد المنعم عوّاد، هذه المفردات والصور **الشعرية** التى تقدم فكرًا جماليًا لايسعى لإنتاج دلالة ما، وإنما تقدم توصيفًا **لحالات** إنسانية، تجعل من الكتابة نوعا من التحقق اللاجدوى، وكذلك تبدو **الكتابة** فعلاً لقراءة الوجود، ففى قصيدة صور شعرية «صحوة ميّت»، **يقدم** الشاعر عبد المنعم عوّاد صوراً بصرية وشعرية، متوسلاً فى تقديم هذه **الصور** بضمير المتكلم الذى يتجسد

فى صورة إنسان يتخلص من أكفانه، وينهض، وفى صورة «نورس شارد»، وفى صورة «حبة» تتحول إلى شجرة، وهذه الصور هى حالات للأنا فى علاقاتها بالآخر.

وهذا الديوان من النصوص التى تجسد قدرة الشاعر على قراءة مستويات الوجود، وإعادة ترتيب الزمان الداخلى، ووضع أبعاد التجربة فى زوايا متعاكسة مما يكشف لنا عن إحساس جديد باللحظة الراهنة، ولهذا فإن عنوان الديوان «المرايا والوجوه»، تعنى أن كل مرحلة من مراحل الحياة نراها من خلال مرآة خاصة، فماذا يحدث حين تتجمع المرايا والوجوه التى قابلها الشاعر فى موقف واحد؟ هذا ما يجيب عنه الديوان، حيث يدرك صورته وصور الآخرين بأشكال مختلفة.

أسعى وسط شوارعكم فى هيئة ميت
لكنى أقسم أنى أكثر منكم صحواً،
يا أموات مدينتنا الأحياء

ولهذا يتحول النص إلى مغامرة مقصودة نحو الاكتشاف، مهما كلفه هذا الاكتشاف يقود إلى بعثرة الذات، لكنه يؤدى إلى اكتشاف تشظى الزمان، واكتشاف حقائق متغيرة يستعصى الإمساك بها.

نموت مرتين
فمرة نموت حينما تشدنا لحتفنا الأسباب

ويقدم الشاعر صورة لهذا الإحساس فيقول فى قصيدة «منمنمات شعرية» التى يهديها إلى روح: سعد الله ونوس:

الهرة التى قد داهمتها لوثة،

فالتهمت صغارها

من يومها

صارت تهاب همسة الذكور،

فى المساء

أو فى هدأة الليل البهيم،

فلم تزل فى حلقها مرارة،

تشى بكل ما أنزله بها غباؤها القديم

والديوان فيه ألم واغتراب وحزن، يعبر عنه صور تبدل العالم والزمان، والوجوه ويتوسل الشاعر بصورة السندباد والطائر الذى يحلق على عوالم حياته، وجسد الشاعر حالات الإنسان المعاصر، حين يستحيل إلى مرأة تنعكس عليها الأضواء، فيسبح الوعى الشعرى فى الظل، ليبحث فى الذاكرة عن الأغانى التى صاغها البحر من رمله، مثل قصيدة «تنويعات على إيقاع الكامل»، حين كان الإنسان يتوحد مع الطبيعة، وكان يشعر بالعلاقة العضوية التى تربطه بالمكان الذى يعيش فيه، فهذا التحقق، كان جزءا من زمن لم يتحقق مع صيرورة الوعى على إدراك العالم، لم يعد موجوداً وإنما الذى نواجه صورة الإنسان الذى يتضاد مع أماكنه المحببة، ولذلك يقول فى قصيدة قصائد قصيرة:

من أوراق السندباد:

مسترخياً

فوق صمت الرمال التى أدمنتك

وأدمنتها

أما عاد فيك الحنين القديم،

التوله بالبحر،

هذا التوهج حين تخوض العباب،

....

إذن فانتحر

أيها السندباد العجوز

وإزاء هذا التضاد المركب بين الإنسان والعالم، وبين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والآخر لا يكون هناك ملاذ سوى الحلم بزمان آخر، غير هذا الزمان الترابى الذى يسجن الذات بين جنباته، هذا الزمان الجمالى الحر، الذى يعيد صياغة وحدات الوجود، الماضى، والحاضر والمستقبل وكل منظومة خاصة بالتخيل، وينتقل الشاعر من المناجاة الذاتية (المونولوج) إلى الحوار مع الآخر (الديالوج)، ومن الغنائية إلى دراما النص، يقول الشاعر:

قال الشاعر للبنت الحلوة مزهوا:

والآن أعيرينى أذنيك،

كى تستمعى آخر ما دبجه يراعى فى عينيك

قالت:

عجباً

أو كنت تصوغ قريضك عن عينى

وأنت تحدق فى شفتى؟

ونستشعر وجود صوتين داخل الديوان، أحدهما يصف حاله، والآخر يعبر عن حيرة داخلية عميقة، حيرة بين الطفولة والكهولة، بين عالم ولى، وعالم آخر بجدرانه الأسمنتية والديوان يجسد توتراً داخلياً يشى بصراع لم تتحدد ملامحه ـ ويتضح مدى هذا بشكل خاص فى قصيدة «بحثاً عن الوجه القديم». يقول:

يخايله الوهم أن سوف يوماً يراها

فيمضى ينقب بين الوجوه

يفتش عنها!!

على أمل أن يشاهدها ذات يوم

الفتاة التى كان يعرفها من ثلاثين عاما

التى أبعدته المقادير عنها

فسافر

وتكتمل القصيدة فى رسم صورة لها، ولكن يكتشف فى نهاية القصيدة أنه قد ضيع الصورة السابقة:

هذا الديوان رغم صغر حجمه، ينبئ عن تجدد الشاعر فى طرح أسئلة خاصة، يوازى بين عالمه القديم والجديد، ويفتح الباب لأسئلة كثيرة، فالنص يسعى إلى تقديم صورة الكائن الإنسانى من الغياب إلى الحضور

بتجميع مرايا الزمان المتشظية، فى محاولة للتناغم مع المكان، الذى يشكلنا فنجد أنفسنا أمام صورة جديدة لاحتياجات إنسانية أرقى وأعمق.

قصـــائـد الديـــوان

تنويعات على «إيقاع الكامل»

(١)

النسر والبغاث

ولطولِ ما صحب البغاثَ النسرُ صار من البغاثْ
نَسيَ الشواهقَ والقممْ.
واستمرأ السفْحَ الذليلْ...
مع الزواحفِ والرممْ.
واشتاق في يوم إلى الأُفقِ البعيدْ.
فهوى تجاه السفْحِ، مُنكسراً...
وقد عجز الجناحْ.
لا العزمُ طاوعهُ، ولا الجهدُ المتاحْ.

فالأُفقُ لا يرقى له غيرُ النسورْ.
أما البغاثْ
فمآلُه السفْحُ الموطأُ والجحورْ.

(٢)

الوديعة

أسلمتُها قلبى الوديعَ..
فضيّعته.
وكما رمتنى فى زوايا فكْرها..
فى صدْرها اللاهى رمتهْ.
وارتحتُ من إلحاحه، وحنينه الطاغى لها.
تمتمتُ: فليسْعد هنالكَ...
مُستفيئاً ظلّها.
ووجدتُه يوماً إلى صدرى...
– ودونَ توقّعٍ منى – يؤوبْ.
فسألته: لم عُدتَ؟..
قال: وجدتُنى أحيا غريباً عندها...
بين الألوفِ من القلوبْ.

(٣)

مقطوعة للكبار والصغار

ضاقَ «الهزبرُ» بما يكابدُ من وقارْ.
لما رأى من حوله زُمَرَ القرودِ..
وقد وثبْنَ بكلِّ صوب..
لا يقرُّ لها قرارْ.
أبداً، وليس يحدُّها عما تحاولُه مدارْ.
- لمَ لا يقلّدها؟...
- إذنْ فليطْرحْ هذا الوقارْ.
- وليُلْقه أرضاً، ويمضى دونه...
- ولينطلقْ مثل القرودِ..
- فلا قيود، ولا اعتبارْ.
وثب «الهزبْرُ»، ولفَّ مزهواً على عقِب،
ودارْ.
فهوى...
ويا ويْل الكبير إذا هوى مثل الصغارْ!
فالتفّ من حول «الهزبْرُ» الكائناتُ...
صغيرها قبل الكبارْ.

والكلُّ يضحكُ...
والطريحُ على الثرى يرنو ذليلاً في إنكسارْ
والجمعُ يبدو شامتاً...
حتى الحمارْ.
ويل الكبير إذا هوى مثل الصغارْ!
ويل الكبير إذا هوى مثل الصغارْ!

الرياض

صفر ١٤١٨هـ يونيو ١٩٩٧ م

أنابيش الطفل القديم

(١)

هأنتذا..

مُستيقظاً من غفوةٍ كالدهرِ،

تأتينى بكلِّ تحفّزِ الطفلِ القديمِ،

تهبُّ مُندفعاً، لتأخذنى لكهْفِ الذكرياتِ،

فتنبشَ الأوراقَ بحثاً عن شواردك التى انتثرتْ،

هنا وهناكَ...

عمّا قدْ تبقى من سوالفكَ القديمةِ أيّها الطفلُ العجيبْ.

(٢)

هأنتذا..
توقاً إلى أيّامكَ الأولى،
يعاودكَ الحنينُ، فتمتطي هذا الجوادَ، جوادَ وهمِكَ،
عابراً صوْبَ المساقاتِ القديمة،
باحثاً عن بعضِ تذكاراتك الـ «بَهُتَتْ»،
تُجرِّرُ ما انزوى منها وراء سدائلِ النسيانِ،
تبعثُها، فتحيا من جديدِ بعدما كادت تموتُ،
على يدِ الزمنِ العصيبْ.

(٣)

عن نخلةٍ كانتْ هنالك، طلعُها دانٍ، تُنقِّبُ،
لم تَعُدْ، عصفتْ بها الأيامُ،
غالْتها الصروفُ،
وتَمْرُها مازال حُلْوُ مذاقه يسْري بريقكَ،
تنقضي السنواتُ ما بينَ العديد منَ الطعومِ،
وأنتَ غيرَ رحيقها لا تستطيبْ.

(٤)

التوتةُ العجفاءُ ما عادتْ هناكَ،
وأنتَ تبحثُ بين عمدانٍ من الأسمنتِ،

والخرسانة الصمّاء عن بعض الجذور،
لعلّ جذْراً لم يزلْ بالأرض، ينبتُ غيْرها،
لا جذْرَ ثمَّ، فقد مَضَتْ بأصولها هُوجُ الرياحِ،
فلا تُواصلْ بحثَكَ المحمومَ عن أثَرٍ طوتْهُ يدُ التصحّرِ،
لا تسلَّقَ بعدُ للأغصانِ،
بحثاً عن صغار الطيرِ فى أعشاشها هجعتْ،
وأنتَ وراءها تسعى كما الثعبانِ فى زحْفٍ مُريبْ.

(٥)

عن أصلِ ساقيةٍ تُفَتّشُ،
إنها كانتْ هنا، يوماً من الأيامِ،
كانَ أزيزها يسرى بسمْعكَ كالبُغام العذبِ،
رجْعُ خريرها ينسابُ فى صمتِ الأماسى كالنشيدِ،
وأنتَ ترقُبُ ثورَها المنهوكَ،
تحت النير يسعْى...
لم تكن تدرى، وأنتَ بمثلِ هذا العمرِ شيئاً،
عن مدى ما يصطليه من الضّنى،
ما كنتَ تدرى أىَّ قدْرٍ من عذابِ القهْرِ يحملُه،

وأنتَ هناكَ تُصغى للخرير العذْبِ،
تحسبُه صُداحَ العندليبْ.

(٦)

هأنتذا..
لم يبقَ من أشيائكَ الأُولى سوى الوهمِ،
الذى حملْتَهُ ذاكرةٌ تنَاوشُها الخروقُ،
فلم يَعُدْ من كلِّ هذا الكنْزِ ما يُغرى بأن تُبقى على آثارِه،
فامْحُ الذى مازال منها ماثلاً،
وارجعْ لهجعتكَ القديمةِ واسترحْ،
يا طفلَ ماضيَّ الحبيبْ.

يناير ١٩٩٨م

صور شعرية

(١)

صحوة ميّت

أتملّصُ منْ أكفانى،
أرفعُ عنّى أغطيةَ النعْشِ، وأنهضُ،
تطفرُ من أعينِ منْ ساروا خلف النعشِ الدهشةْ...
أطلب ممن رفعوا النعش بأن يضعونى فوق الأرضِ
ويمضوا...
أتحامل كى أهبطَ أرْضَ الشارعْ...
أبرزُ للأعينِ عُرياناً إلا من خجلى،

وأسيرْ...
أسعى وسْطَ شوارعكمْ في هيئة ميّتْ...
لكنّي أقسمُ أني أكثرُ منكم صحْواً،
يا أمواتَ مدينتنا الأحياءْ!!

(٢)

محنة نورس

نورسُ شاردُ..
ضلّ عن سِربه،
فمضى هائماً..
باحثاً عن ملاذْ..
ربما يهتدى لحمى آمنٍ..
وسْطَ حِضْنِ الطيورْ

* * *

أيُّ حظٍّ عجيبٍ
ساقهُ للردى،
حين ألقتْ به قبضة العاصفةْ
وسْط سِرْبٍ عبوسٍ..

يتلهّى به،
من عتّى الصقور؟!

(٣)

حلم حبّة

أحلمُ أنْ أحتضنَ الأرضَ،
أُعشّشُ في الأعماق جنيناً...
أخرجُ حين يحينُ خروجيَ من أحضانِ التربةِ،
نبتهْ..
أصبحُ بعد قليلٍ شجرهْ...
أمنحُ ظلّيَ للحرّانْ
أبذلُ طرْحيَ للجوعانْ
أجدلُ من أوراقي ثوباً،
يسترُ بالدفءِ العريانْ
لكنْ ما يفزعني حقا،
ما يجعلني أرجفُ خوفاً..
وله أعملُ ألفَ حسابْ
أنْ يمتدَّ إليّ بغدْرٍ،

ذات ضُحىً مِعْولُ حطّابْ
فإذا حُلُمي الباهرُ هذا..
يتحوّل كومةَ أخشابْ!!

الرياض

ذو الحجة ١٤١٨ هـ أبريل ١٩٩٨م

إشارات

إلى نورس مستهدف!!

(١)

همُ استهدفوكَ..
إذنْ فابْق فى أُفقك الآنَ،
لا.. لا تَحُطَّ..
فكلُّ السهامِ مصوَّبةٌ نحو صدْركَ،
كلُّ الحبائلِ فاغرةٌ لكَ أفواهَها..
فى انتظار الفريسةِ،
واصلْ طريقكَ فى قبضةِ الريحِ تسلمْ..

فلا شيءَ يُنجيك منْ هولِ هذا الهلاكِ،
سوى أن تظلَّ مع الريحِ،
تصعدُ، تصعدُ...
واصلْ صعودكَ، لا تستقرَّ،،
مع الريحِ تبلغُ أُفْقَ الأمانْ.

(٢)

همُ استهدفوكَ..
فما من خلاصٍ،
سوى أن تظلَّ بعيداً عن الأسهم المشرعاتِ..
قضاؤك أن تمتطى الريحَ دوْماً،
لتنْجُوَ..
تُفْلتَ من كلِّ ما دبروهُ،
تجوزَ الذى قدّروا من مدى..
ثم واصلْ تحدّيك للراصدينَ،
بهذا الصعودِ الذى سوف يحميكَ،
فافردْ ــ كغاية ما تستطيعُ ــ العنانْ.

(٣)

هُمْ استهدفوكَ..
ومن بين كلِّ النوارسِ،
أنتَ الذى يرصدونَ..
فيا نورساً قد أعدُّوا له كلَّ هذى الحبائلِ،
قد أشهروا كلَّ تلك السهامِ،
شموخُك فى أنْ تظلَّ بعيداً..
بمنأى عن الرصْد والراصدينَ..
فإنْ يُحكِمُوا كلَّ هذا الدهاء،
فمكرُك فوق الذى يُحكمونَ..
فحلِّقْ صعوداً،
صعوداً،
صعوداً،
فلا الخوفُ دافعُكَ المستحثُّ،
إلى مُرتقى لا يُنالُ..
ولا رغبةٌ فى النجاة تُلحُّ،
ولكنْ نداء التحدِّى الذى لا يقاومُ،
أنْ تمتطى الريحَ عُمْرَكَ،
تمضى صعوداً لأعلى مكان.

مايو ١٩٩٦م

منمنمات شعرية

إلى روح: سعد الله ونوس

(١)

قال الشاعرُ للبنت الحلوةِمزهوًا:
والآنَ أعيريني أُذنيْكِ،
كي تستمعي آخر ما دبّجهُ يراعي في عينيكِ.
قالتْ:
عجباً!!
أوَ كنتَ تصوغُ قريضكَ عن عيني،
وأنتَ تحدّقُ في شفتيّ؟؟

(٢)

كان الوقتُ على أبوابِ مساءْ
والشاعرُ عند الشطِّ يسطِّرُ فى الأوراقْ
ها هو يفرغُ من آخر كلمةْ
من آخر سطرٍ مّما خطّ من الأبياتْ
والتفت الشاعرُ فى عُجْبٍ للصفحاتْ
يا لله!!
كانت كلٌّ صحائفهِ بيضاءْ
لم يكُ قلمُ الشاعرِ يجرى فوق الأوراقْ.
كان يخطُّ سطوراً فوق الماءْ

(٣)

ما عاد يلزمُنا السكوتْ
والموتُ يخترمُ البيوتْ
ونسيجُ هذا العنكبوتَ
غطّى شعاعَ الشمس عْبَر الأفقِ،
والأشباحُ تمرقُ فى خُفوتْ
تنسابُ فى عزفٍ صموتْ

ويظلُّ للهمْسِ المدوِّى رجْعه بين البيوتْ:
«نهرٌ يحجم النيلِ والأطفالُ من ظمأ تموت» ؟

(٤)

لمن يبعثُ النهرُ أنّاته فى الهزيعِ الأخيرْ؟
إذا كان من حوله أخلدوا للنعاسْ،
وناموا بأحضان زوجاتهم هانئينْ!!
لمن يبعثُ النهرُ أنّاته فى الهزيع الأخيرْ؟
وليس هنالك من يستجيبُ لهذا الأنين!!

(٥)

سقّاءُ قريتنا مضى نحو المدينة،
كى يبيعَ العرقسوسْ.
لمّا تقوسّ ظهرُهُ من طولِ ما أحناه تحت القربةِ العجفاءِ،
من ماضى السنينْ،
سقّاءُ قريتنا يعودُ،
يؤمُّ قريتنا الشقيّةَ بعد حينْ

والظهرُ قد زاد انحناءً،
من طول ما أَلِفَتْ قفاهُ كفوفُ بعضِ المخبرينْ.

(٦)

نورسٌ قادمٌ   من وراءِ البحارْ
ضلَّ عنْ سِرْبِه   فاعتراه البوارْ
نورسٌ قادمٌ   منْ مكانٍ بعيدْ
حالماً بالمنى   في مداهُ الجديدْ
نورسٌ لم يعُدْ   نورساً ذا جناحْ
فهوى مُسْلِماً   أمْرَهُ للرياحْ
من رأى نورساً   لم يَعُدْ نورسا
هيكلاً مُثخناً   فوقَ تلٍّ رسا
نورسٌ قادهُ   سعْيُهُ للردى
كلُّ أحلامِهِ   قد تهاوتْ في سُدى

(٧)

لماذا تمنّيني بالوصالْ،
إذا كنتِ لا تُزمعين الوفاءْ؟
فإن كان حبّكِ محضِ ادّعاءٍ،
فحبي [illegible]ك محْضُ ادّعاءْ

أنا ما عشقْتك يوماً بصدْقٍ
فأشقى بصدِّك بعض الشقاءْ
وكلُّ الذى كان منّى قديماً
فسمِّيه ـ يا دميتى ـ الاشتهاءْ
دعينا ندعْ لعبةَ العاشقين
ونبدؤها: لعبةَ الأصدقاءْ

(٨)

باتَ المطربُ يشدو طولَ الليلِ،
وسائرُ منْ بالحفلِ نيامْ
حين استيقظ من بالحفلِ لكىْ يستمعوا..
وجدوا أنّ المطربَ نامْ

(٩)

الزنابقُ التى قد علتْ نعشها،
فى بهاء الصباحْ،
وصفاء الندى..
ليس من بينها
أيُّما واحدهْ..
فى بهاء التى..
أو صفاء التى..

تحت تاج الزهورْ
سكنت راقدهْ

(١٠)

مثقلاً بالصبابات جئتُكِ..
هل تدركين مدى ما **تجشّمتُ**،
حتى أجيئكِ، تحملنى **خطوتى** اللاهثهْ.
أتيتُك..
أحملُ وَطْءَ السنين التى **قد مضتْ**..
والسنين التى سوف تأتى..
لأنى سأرفعُ حُبّىَ نيراً **وأمضى**،
إلى آخر العمر أشقى **بحبِّك**،
يا منْ تقاذَفْتنى والعذابَ،
ومارستِ بى كلَّ أهوائك **العابثهْ**

(١١)

نَمَوتُ مرّتينْ..
فمرّةً نموتُ حينما **تشدُّنا لحتفنا** الأسبابْ
ومرةً نموتُ حينما نغيبُ **عن** ذاكرة الأحبابْ

(١٢)

الهرَّةُ التى قد داهمتْها لوثةٌ،
فالتهمتْ صغارَها..
منْ يومها،
صارت تهابُ همْسةَ الذكورِ،
فى المساءِ،
أو فى هْدأَة الليل البهيمْ.
فلم تزلْ فى حلْقها مرارةٌ،
تَشِى بكلِّ ما أنزله بها غباؤها **القديمْ**

الرياض ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م

قصائد قصيرة

(١)

من أوراق السندباد

للمدى يُبحرونْ..
دافعٌ لا يقاوِمُ،
توقٌ إلى خوْضِ أقصى المدى المستطاعِ،
فيمضون في نشوةٍ خالصةْ
مثلما كنتَ يوماً،
بهذا الزمان البعيد السعيدْ.
ولكنك الآنَ تقبعُ،
مسترخياً

فوق صمت الرمالِ التى أدمنتكَ
وأدْمنْتَها..
أما عاد فيكَ الحنينُ القديمُ،
التولُّه بالبحْرِ،
هذا التوهّجُ حين تخوضُ العبابَ،
نزوعاً وراءَ مُنىً لا تُنالُ،
وُصولاً لأقصى مدى لا يُطالُ
أضيّعتَ هذا؟
إذنْ فانتحرْ..
أيّها السندبادُ العجوزْ.

(٢)

حكاية يمامة

تلك اليمامةُ التى غنّت نشيدَها مُبكراً،
وقد عَلَتْها نشوةُ المباغتةْ
فرفرفت مزهوّةً،
لمّا رأتْ صغارها
ـ ولم يَحِنْ بعدُ أوانُ طيْرها ـ
نحو السماء صاعدهْ
غُصّتْ بمرِّ حُزنها مُبكراً،

وأطرقت كسيرةً،
لما رأت صغارَها..
تخذُلها المجاهدةُ..
تسقطُ من سمائها،
لتستقرَّ فى مخالبِ الشركْ..
واحدةً فواحدةْ.

(٣)

من أقوال مؤمن عادى

أقرأُ كلّ صباحٍ ما يتيسَّرُ من آياتِ القرآنْ
وأُؤدِّى الفرْضَ لوقتهْ..
وأُضاعفُ صلواتى فى رمضانْ.
وأصومُ،
وأُعطى ما يُوجبه الوسعُ من الإحسانْ.
وأغضُّ الطرْفَ حياءً،
حتى يُورىَ جارتَنا منزلُها..
وأوزِّعُ بعضَ اللُّعبِ على أيتام الحارةِ..
فى الأعيادْ..
لكنّى..
لا آمنُ أن تتصيّدنى طلقةُ إنسانٍ موتورْ،

حين أُترجمُ عن رأيى،
مختلفاً عما أورده الشيخُ..
من التأويلِ لبعضِ قراءاتِ الفرقانْ.

(٤)

بحثا عن الوجه القديم

يخايُله الوهمُ أنْ سوفَ يوماً يراها..
فيمضى ينقّبُ بين الوجوهِ
يفتّشُ عنها..
على أملٍ أنْ يشاهدها ذات يومْ
الفتاةُ التى كان يعرفها من ثلاثين عامًا.
التى أبعدته المقاديرُ عنها،
فسافرَ..
ما ودعته، ولا ودّعا
ها هو الآن مُذْ عاد يبحثُ عنها
يحدّقُ بين الوجوهِ..
يحاول رسْمَ الملامحِ،
يخلقُها من جديدٍ،
يعاودُ رصْدَ التفاصيلِ،

يمحو فعالَ الزمانِ العديِّ..
التجاعيدَ،
وخْطَ المشيبِ،.
الترهّلَ،
يمحو ويرسمُ،
يمحو ويرسمُ،
ما هو يفلحُ..
لكنه حين أفلح فى بعْثِ صورتها الآنَ،
كانَ..
ويا حسرتا!!
كان قد ضيّعَ الصورةَ السابقةْ

١٩٩٥م

أغنية للسلوان

أوَ هكذا تنسين موعدنا الذى..

يا كم حلمتُ بأن يكونْ..

وتركْتِنى نهبَ الوساوسِ....

والتساؤلِ والظنونْ.

والشكُّ يهمسُ لى...

بأنكِ لم تحبّينى، كما قد كنتِ يوماً تدّعينْ.

* * *

لو كنتِ حقًّا تَصدُقين الحبَّ..

كنتِ أتيتِ حسبَ الوعدِ.

وغمرتنى بنعيمِ عشقِكِ..
بالغرام المسعدِ..
وشملتنى بلطيف إحساسٍ..
وصدْقِ تودّدِ.

* * *

لكنّ حبّك فى الحقيقةِ..
لم يكن إلا خداعْ
أبديته لى ذات يوم..
ثم ها ولّى وضاعْ..
وتركتنى فى وحدتى...
أبكى على العهد الجميلْ.
هذا الذى عشناهُ فى يومٍ من الأيامِ..
تنعمُ فى حمى ظلٍّ ظليلْ.

* * *

وإذن فقد كان الذى أبديْتِه..
محْضَ ادّعاءْ.

وهمٌ ـ لعمرى ـ خلتُه صدقاً..
ولم يكُ فى حقيقةِ أمرهِ إلا هُراء.

* * *

فلتغربى عن عالمى...
شمساً تغيبُ بلا شروقْ.
أنا قد نسيتُكِ سالياً..
وعلى السلوِّ، مع المدى...
سأروِّض القلْبَ المشوقْ.

الرياض ـ يونيو ١٩٩٧م

فى ذكرى عبدالله السيد شرف

صناديدٌ تلكَ أرى،
أم تُرى أخطأتْ قدمايَ إليها السبيلْ؟
صناديدُ تلكَ تُرى،
أم تراني تنكّبتُ دربْي إليها؟
من معالمها ذلك البدرُ...
يستقبلُ الوافدين إليها...
ينافحهم بالضياءْ النبيلْ!
كان شوقي إلى مجتلاه الدليلْ
ترى أين غابَ؟
ألم يكُ من يفجأُ الناسَ بالنورِ؟...

إذن أين هذا الضياءُ تُرى؟...
أم ترانى أنا من ضللتُ إليها السبيلْ.
وليست صناديدُ هذى...
وإلا فأين الحبيبُ الذى كان يحيا هنا مُشرقاً كالمنارةِ؟
نلتفُّ من حوْلِه،
ونغنّى..
عصافيرَ من كلّ دربٍ...
تُسَقْسقُ بالضوءِ صادحةً...
وحمائمَ شدوٍ تناغى...
فتُسْكِرُ أرواحنا...
بالهديلْ.

لم يبقَ لى أحدٌ سواك!!

كلٌّ تخلى،

الجميعُ أدارَ لى ظهراً وسارَ،

وهأنا وحدى، أعانقُ هذه الفلواتِ،

لا أحدٌ يمدُّ يديه،

يُرشدنى إلى مأوى قريبْ.

* * *

لم يبْقَ لى أحدٌ سواكَ،

فأنتَ وحدكَ مُنقذى،

فامْدُدْ إلىّ يديكَ،

أخرجْني من الكهفِ الكئيبْ.

* * *

الوهمْ ساق خُطاى نحو الكهفِ،
هأنذا، ووحشُ الظلمةِ العمياءِ يسحقنى،
تكادُ الروحُ تُزهقُ،
أنتَ وحدكَ من يُخلِّصنى،
يُعيد البُرْءَ لى،
فامدُدْ إلىَّ يديْكَ،
لا تتركْ فتاكَ تلفُّهُ الظلماتُ،
تخنقُه،
فإنَّ الأُفقَ مهما امتدَّ تطمسُه سحابات المغيبْ!

* * *

لْم يبقَ من أملٍ سواكَ،
وإنَّنى من يوم ان غادرتنى، وأنا أفتِّشُ عنكَ،
أبحثُ مثل أعمى يذرعُ الفلواتِ،
من دربٍ إلى دربٍ،
فتشتبهُ الدروبْ.
أملٌ يراودنى بأنِّى مُلتقيكَ،

فما كللتُ،

ودائباً في البحث عنكَ دخلتُ هذا الكهفَ،

ما أقسى عمايَ!

الوهمُ خايلني بأنك فيه،

ـ إنَّ الكهفَ غيرُ الغارِ ـ،

كيفَ سُلبتُ نورَ الحدسِ،

كيف استسلمتْ نفسي لحضْنِ الكهفِ،

تحسبُه ملاذَ الروحِ،

ويْلي من ضراوةِ ذلك الوهم المريبْ!

في قبضةِ الأوهامِ هأنذا،

وكنتَ النور يهديني،

يقودُ خُطايَ،

كيف تركتني هشاً كذرِّ الرملِ،

يدفعُهُ الكثيبُ إلى الكثيبْ؟

* * *

لم يبقَ لي أحدٌ سواكَ بهذه الدنيا،

فهلْ يُرضيكَ أن أبقى أسيرَ الوهمِ،

من دربٍ إلى دربٍ،

ومن وادٍ إلى وادٍ،
بلا فيء، بلا زاد،
وحيداً في فيافي العيشِ،
وحدكَ أنت
من سيعيدني لهداي،
يمحو غربتي،
يُبرى سقام الروح،
ليس سواكَ من يحنو على العاني الغريب

***

ويبقى شاعراً

فى رثاء نزار قبانى

«شاعر العربية الكبير»

يهدأ الجسمُ، ونبضُ الشعرِ حىْ   يملأُ الدنيا صداهُ العبقرىّ

شاعراً كانَ.. ويبقى شاعراً   طالما رفرفَ فى الكونِ روىّْ

يا بناتِ الشعرِ: لا ترثينه   إنهُ مازالَ حياً فى الندىّْ

صوتُهُ مازال يسرى بيننا   يُطربُ الأسماعَ بالشّدوِ الشّجىّْ

هائماً مثل شعاعٍ حالم   يعبُرُ الآفاقَ بالوحى السّنىّْ

لم يزلْ يُصغى له الكونُ كما   كانَ يُصغى دائماً والجسمُ حَىْ

لمْ يمُتْ منْ كـــانَ فى إبداعـــه مـــثلُ ذياكَ الغناء البـــابلىْ
لم يمتْ من عـاشَ شـعـراً عُمـره إنه يحـيـا الربيعَ الســرمــدى/

* * *

يا هزارَ الشِّعْر، يا قــيـــثــــارةً لم يُجـزْ فـرْدٌ مـداها الشـاعـرىْ
كنتَ تجـرى سـابقـاً فى حلبـة لم يكُنْ غـيـركَ فـيـهـا الألمـعىْ
فـبـرزْتَ الكلَّ فـيـهـا واصــلا دونمـا جـهـدٍ إلى الشـأو القـصىْ
أيـهــــا الـنـاعـى عـلـيـنـا عَجْزَنا فى زمـانٍ مـا به غـيـرُ القـوىْ
كُنتَ صـوتَ الحقِّ فى عـصـرٍ به ضـاعَ صـوتُ الحقِّ.. قـدْ مـاتَ النبىْ
كُنتَ سـيْفَ العـدلِ فى وجْه الأُلى أسلمـــوا العـــدْلَ لجـــزَّارٍ عَتىْ
وسـتـبـقى تُشـهـرُ السـيفَ لهم تبــــعثُ العــــزّةَ والروحَ الأبىْ
أنتَ إنْ متَّ فلنْ يخطوا بمــــا ينشـــدون اليــــومَ منْ نومٍ هنىْ
شـعـرُكَ البـاقى سـيـحـيـا سيْفُه مـصلتـاً مـثل القـضـاء الأبدىْ
لعنةً تبــــــقى بأعنـاقِ الأُلى أسلمــوا الشّعبَ لجـــلادٍ دعىْ

ثنائية: المرايا والوجوه

(١)

المرايا

أتحاشى المرايا
أمر عليها بغير التفات
أحاولُ ألا يكونَ لها أَثرٌ فى حياتى
ففيها أرى فِعْلَةَ الدهرِ بى،
مثلات الزمانْ.
أشاهدُ ما أحدثتْهُ الصروفُ بوجهىَ،
ما صار يملؤُه من ندوبْ.

وما مسّنى من لغوبْ.

فلو كان فى مُكنتى أن أُحطم كلَّ المرايا..

فعلْت..

وهَبْ أننى قد تمكنتُ من أن أحطّم كلَّ المرايا

فماذا سأصنعُ بالأعينِ الراصداتْ؟

العيون التى كلّما طالعتنى

وحدقتُ فيها

تمعنت فى داخل الحدقاتْ

تبيّنْتُ فى عمقها صورتى

فعادت تذكّرنى من جديدْ

بما أحدث الدهرُ بى من ندوبْ

وما مسّنى من لغوبْ.

(٢)

الوجوه

الوجوهُ التى طالما ارّقتنى،

طالما حاصرتنى،

إلى أن تمكّنتُ منّ محوها،

طمستُ معالمها داخلَ الذاكره.

فما عاد فى باطنى صورةٌ واحدة.
وكانت تسدُّ عليَّ المسالكَ،
كانت تحاصرنى كالقضاءْ.
لماذا تعودُ،
لتفجأنى اليومَ،
تُثقلَ قلبى بهذا الحضور الغريبْ؟
هذا الصباحَ أهلّتْ على خاطرى كلُّها..
دفعةً واحدهْ..
أكان هباءً إذنْ كلُّ هذا العناءِ؟
كلُّ ما قدْ تكبّدتُه من عنتْ.
كلُّ ما قدْ تجشّمتُ حتى تمكنتُ من محْوها؟

* * *

فيا هذه الأوجهُ الشائهة
لماذا تطلّين كاللعنة الجائحة
لماذا تواليننى بالظهورْ،
إذا كان فى داخلى منكِ هذا النفورْ؟

وردتها الحمراء

رشقتْ فى عروةِ ثوبى وردتها الحمراءَ.. وغابت..
ظلّت رائحة الأُنثى تفعمُ روحى بأحاسيسِ النشوةِ حتى ساعاتْ
كنتُ إذا ما مرت كفّى فوق وريقاتِ الوردةِ..
تغمرنى الصبواتْ
أشعرُ بطراوة ملمسها تحت أناملىَ المرهفة الإحساسْ
فأفيضُ بنهرِ الفرحةِ
أسكرُ برحيقِ الإيناس

* * *

ذبلتْ وردتها بمرورِ الوقت..
فذابتْ رائحةَ الأُنثى وتبخّرَ إحساسى بالنشوةِ

وانداحت كلُّ الصَّبواتْ
لـمَّا مرَّتْ كفي فوق الأوراقِ اليَبِساتْ
عاينتُ خشونةَ ملمسها
فتوقف تيَّار الفرحةِ في الأعماق
فرميتُ الوردةَ فوقَ الأرضِ
وداستها الأقدامْ

الأنامل وإيقاع الزمن

كنتُ إذا مرّتْ كفّى فوقَ أديمِ الوجهِ الأملسِ ـ

وأنا فى شرخ شبابى

قالتْ: ما أشهى تلكَ اللمساتْ!

لما امتد العمرُ وأربى

صرتُ إذا ما طافت كفّىْ فوقَ رياضِ الوجهِ النّاعم

قالتْ: ما أدفأ تلكَ اللمساتْ!

والآن إذا ما عبرتْ كفى فوقَ الوجه برفق

قالتْ: ما أبردَ تلكَ اللمساتْ!

أسألُ..

هلْ قد صرتُ عجوزاً جداً حتّى هذا الحد؟!

بذور الشر

(١)

حِرابٌ من العُشبِ تبرزُ فى كلِّ ركنٍ،

تمدُّ ذوائبها المشْرَعَاتْ

فتادٌ قتادٌ، هنا وهناكَ..

ونبضُ الأسى موغِلٌ فى النفوسِ،

وما زال وقعُ السؤالِ الحزينِ،

يُسرسِبُ أصداءه فى الصدورِ..

أما عاد من موضعٍ بالحديقةِ،

يصلحُ حوضًا لبضعِ زهورْ؟

(٢)

تُرى مَنْ يبثُّ بذورَ القتاد،
يوزّعها فى نواحى الحديقة،
مَنْ قدْ تعهّدها بالرعاية،
من هؤلاء الذين يوالونها بالسمادِ
لتنمو فى كل ركنٍ،
تلوحُ على وجهِ بستانها كالبثور

(٣)

يهلونَ والليلَ،
تسترهم غاشياتُ الدجى،
يتقنون التسلُّلَ من فرجاتِ السياجِ،
يدسون فى غائراتِ الشقوقِ،
عميقًا عميقًا يوارونها فى الترابِ،
يروونها بالدم المستباحِ،
بذوراً..
وأبئسْ بها من بذورْ!

(٤)

يعودون من حيث جاءوا..
خفافًا كما الجنّ ينسربونَ،
تُواريهمُ الهيئةُ الشبحية،
تخفي ملامحهم عن عيونِ الأُلى يرصدونَ،
فلا يُدركون..
إلى أي دربٍ مضوا هاربينَ..
ليُخفوا معالم ما دبّروا وسْطَ تلكَ الجحورْ!!

هل كان الشيخ نصر الدين؟

(١)

فى ركنٍ منعزلٍ ناءٍ،
من مقهىً منعزلٍ خالٍ،
يحتلُّ رصيفاً منعزلاً..
فى أقصى الشارعِ،
من إحدى المدن. المنعزلة،
وعلى طاولةٍ منعزلة..
قد كان هنالك يستخفى خلف العدساتِ السوداءِ
هرباً من نظرات الناسِ..
قلتُ لنفسى: أيكونُ هو؟!..

أيكونُ الماثلُ منْ غابت صورتُه عنىّ أعواماً؟
وإذنْ فلأقتحمْ خلوتَه..
من يدرى؟ قد يصدُقُ حدْسى!!

(٢)

ـ وأخيراً؟
ـ ماذا يا ولدى؟
ـ أو لم تعرفْنى؟
ـ لا يعرفنا إلاّ مَنْ ـ حقّاً - يعرفُنا.
ـ أجزمُ أنكَ مَنْ أعرفُه
ـ مَنْ تقصدُ يا ولدى الطيب؟
ـ شيخى المستخفى سنواتٍ عنى..
مولاى البازغُ بالأسرارْ،
قُطبى، وملاذى، نصرُ الدين.
ـ أخطأتَ طريقَكَ يا ولدى،
لستُ المستودَعَ فى ذاكرتك،
فتدبّرْ أمْرَك:
ـ بل إنّك هُو..
مهما أخفيتَ بألوانِ التمويه هويّتَكَ،

إمامى..
تبديلُ الأزياء مُحالٌ أن يَمْحوَ أصْلَ حقيقتنا،
فالمعطفُ لم يحجبْ عنّى هيئتَك الأولى،
فى الخرقةْ..
هل لو تستبدلُ قبعةً بعمامةِ عهْدكم الأوّل؟
هل ذلك يطمسُ فى نفسى جوهرك،
الكامنَ فى روحى؟
هل يُخْفِى الظاهُر من سمْتك،
مارسخَ بنفسى من شامخِ هيئتك الأولى؟
لا يا شيخى..
لا يا شيخى..
حدّقَ فى وجهى لحظاتٍ،
منْ خلف العدساتِ السوداءْ..
ومضى منسحباً نحو الباب،
لم ينطقْ..
حتى لو كلمة،
وبومضةِ برقْ..
انطلق إلى الشارع يعدو
وأنا، كالطفل، أناديه

ـ لا تذهبْ عنى يا شيخى.
فأنا منْ بعدك كالأيتامْ.
إنى مِنْ غيرك كالأيتام

القاهرة: ١٩٩٨م

أوراق قاهرية(٢)

تمهيد

لكِ أن تُشيحى الوجهَ عنى..
أن تُديرى الظَّهْرَ لى..
أن تزْدرينى مثلما تهوينَ..
أن تتنكّرى
لكِ أن تصدّينى كما يقضى الجزاءُ..
ولا ملامَ عليكِ..
لا تثريبَ،
إنّى قد هجرتُكِ فى زمانٍ..
أنتِ فيه أشدُّ ما كان احتياجُك للبنينَ..

لكىْ يصدّوا عنكِ ويلاتِ **التتارِ**..
القادمين إليكِ من خلْفِ **البحارِ**..
ومن كهوفِ الليْل فى **قلْبِ الديارِ**،
وإننى راضٍ بما تبدينه **نحوى**..
وهأنذا أكفّر عن عقوقى **الآنَ**..
عن هذا الجحودِ، لكلِّ **فضلكِ**..
فاتركينى راكعاً، أبكى **لدى قدميْكِ**..
ألثمُ هذه الأعتابَ..
ولْيمدُدْ سماحُكِ لى يدَ **الإحسانِ**..
أحنى فوقها وجهى..
أمسّحُ جهْتى فى طيبها
علىَّ إذا أحسسْتُ بُرْدَ رضاكِ،
يا معبودتى..
أنْ أستريْحُ.

* * *

ورقة أولى:
نفس الخُطا المتعجلاتْ..
نفس اندفاع المركباتْ..

نفسُ ازدحامِ الحافلاتْ..
لا شيءَ فيها قد تغيَّرَ،
فالحياةُ هى الحياةْ..
هى ذى كما غادرتُها، والناسُ فيها يركضونْ..
وكأنهم ـ ولحكمةٍ تخفى على مثلى ـ جميعًا فى سباق..
وأنا أقود سفينتى وسْطَ الجموعْ..
أنسابُ فى نهْرِ الزحامْ..
وكموجةٍ فى إِثْرِ موجةْ..
تتدافعُ الأجسادُ، تقذفُ بى مع المتدافعينْ..
وأقولُ: يهدأُ بعد حينْ..
لكنما النهر العجيبُ يظلُّ ـ فى صخبٍ ـ يثورْ..
وأنا بلا هدف أدورْ..
وأظلُّ أنظرُ فى الوجوهْ..
بحثًا عن الرفقاءِ،
لا أحدٌ هناكْ..
وسْطَ الزحامْ..
ما ثمَّ وجهٌ من وجوه أحبَّةِ العهْدِ القديمْ..
رحلوا جميعًا مثلما رحلتْ سرّاتُ الحياهْ..

وأظلُّ وحدى فى الزحامْ..
بين الخُطا المتعجلاتْ..
بين اندفاع المركَباتْ.

* * *

ورقة ثانية:

وتهلُّ يا يومَ الثلاثاء الأثيرْ..
بطقوسك المتعيِّناتْ.
وأحثُّ خطْوى نحو «ريشْ»
لكنَّ «ريشًا» لا تزالْ..
مردودةَ الأبوابِ، من عهْدٍ بعيدْ..
فأُدير وجهى فى سكونْ..
سعْيًا إليها..
زهرةَ البستان تقبعُ فى الزقاقْ.
حيث الرفاقُ تجمّعوا فى كلِّ ركنٍ يلغطونْ.
وأظلُّ أصغى للحرافيشِ الصغارْ،
يتبادلون الثرثراتْ..
عن آخر المتغيراتْ..
فى عالم الشعرِ العجيبْ.

شعرٌ ولا شعرٌ وأطنانُ الهراءْ.
والكلّ يعزفُ كيف شاءْ.
ضاعت معاييرُ الكلامْ
تاهت فلا فنٌ هناكَ، ولا نظامْ
والجنسُ والتجديفُ أقنومانِ لا يتغيرانْ
فأفرُّ من هذا الرطانْ..
وأحثُّ خطوى وجهةَ الميدانِ،
ألتمسُ النجاةْ
من كلِّ تلك الترهاتْ.

* * *

ورقة ثالثة:
ولمحتُها وسْطَ الزحامْ..
معبودةَ الأمس البعيدْ..
فهتفتُ: يالله!!
ألقاها، وقد ذهب الشبابْ؟..
أفبعدَ هذا العمرِ يجمعُنا الزمان؟..
هى لم تزلْ فى مثل فتنتها القديمةِ،
آيةً فى السحْرِ،

تُزهى بالجمالْ
أمّا أنا..
فالشيبُ حاصرنى ودبَّ بىَ الهزالْ.
وأخذتُ سمتى نحوها..
والقلبُ يخفقُ فى الضلوعْ..
مترقّباً أشهى لقاءْ
ومددتُ كفّى للسلامْ
لكنها نظرت إلىَّ ودهشةٌ كبرى..
تعانقُ وجهها، وعلى الشفاه تلوحُ بارقةُ ابتسامْ.
ومضتْ تشقُّ طريقها وسط الجموعْ..
بينا أنا فى وقفتى وسْط الزحام
والنفسُ تسخرُ فى دهاءْ
وتقولُ لى: ياللغباءْ!!
فلقد نسيتُ بأنَّ منْ قد خِلْتُها حسناءَ يومى
كان آخِرُ مرةٍ شاهدتُها..
من نحو ما يربو على عشرين عامْ!!

وشم على شفةِ المدينة

إلى مجاهد عبدالمنعم مجاهد

وَشْمٌ على شفة المدينة..
هذه الشجراتُ عانقها الخضَارُ،
تمدُّ كفَّ غصونها للزائرينْ:
«فلْتدخلوها آمنينْ».
دخلتُها..
بحثًا عن الرفقاءِ،
آخر صُحبتى فى ذلك الزمن الضنينْ..
خِلٌّ أمينْ..
واعدْتُه أن نلْتقى فى حضنِها،

من نْحو عامْ..
وْفتاة أحلامِ سَقَتْنِى من شهِّى رحيقها،
يومًا من الأيامِ،
ورْدىَّ الغرامْ.
ووصالِ شيْخٍ، عارفٍ باللهِ..
واعدنى بأنْ يجلو أمامَ بصيرتى،
نورَ الحقيقةْ
ودخلتُها..
لا الشيخُ كانَ، ولا الحقيقةْ
وفتاةُ أحلامى التى وعدتْ، فما أوْفَتْ،
ولا الخلُّ القديمْ.
الكلُّ أخْلفَ ما وعدْ.
ووجْدتُنى وسْط المدينةِ،
لا أحدْ..
إلا خيالٌ من صدى الوشْم الذى..
قد كان محفوراً على شفة المدينةْ.
وفلولُ أطيافٍ حزينةْ

قصيدة قديمة

شهيد بور سعيد

الجسمُ آخر منحة للأُرض
يرجعها الشهيد..
والروح كانت للسماءِ فردها..
لم يبق من دين عليه
حتى الكفن..
من قلبه دفع الثمن
والدم آخر ما تجود به
يد البطل الشهيد..
روحى على كفى

وجسمى فى التراب
وعلى الحشائش بقعتان من الدماء
يا رفقتى ذهب الشباب..
وأنا أقبل كل زاوية وباب
أتحسس الجدران فى شغف
وفى صدرى حنين..
فهنا ولدت..
وهنا نموت..
وهنا لهوت..
وهنا أودع كل شىء..
أهلى ودارى والحديقة
كل شىء..
أنى أموت وملء عينى ابتسام
وصدى غمام..
مطراً سيهطل فى الدروب
حباً سينبت فى القلوب
أنى أذوب
وليس فى عينى دموع
لا شىء من ألم هنا

بين الضلوع
فأنا شهيد..
والدمع آخر ما تفيض به
عيونك يا شهيد..
أنى بذلت لأجلكم كل الحياة
أنى أموت هنا لأمنحكم حياة
أنى أموت وفرحة ملء العيون
أنى أموت وبسمة فوق الشفاه
واريت قلبى فى التراب
ومنحت روحى، للسماء
ووهبت أهلى نقطتين من الدماء
ورجعت للأرض الحبيبة
جسماً بلا روح ولا دينَ على
ما أسعد الإنسان حين يموت
لا دينَ عليه..
وينال ما يهفو إليه..
ويعانق الدنيا بكل قوى يديه

العصافير.. لا تعرف الوهم

العصافيرُ مُمعنةٌ فى الرحيلْ
بينما أنتَ...
تنتظرُ المستحيلْ
فإلامَ انتظارُك فى قبضة الوهمِ،
والوهمُ يُسْلمنا لارتقابٍ طويلْ
ارتقابٍ عقيمٍ..
كأشجارِ هذا الزمان العقيمْ
والعصافيرُ لا تعرفُ الوهمَ...
تمضى منقبةً
بينما أنت فى كهْفِ وهمْكَ تقبعُ..

قُمْ، واطْوِ ثوبَ انتظارِكَ هذا الذى طالَ

هيَّا، ولا تَعْتذِرْ بالجناحِ الهزيلْ

أيُّها النورسُ الذى استمرأ الوهمَ..

هأنتذا فى ارتقابكَ ما سوف يأتى..

تقولُ:

يجيءُ...

وليس يجيءْ

قلت: يأتى مع الصبحِ،

والصبْحُ ولّى...

وما جاءَ،

يأتى مع الظهرِ...

والظهرُ غاب وأسلمنا للمقيلْ

قلتَ: يُقبلُ والعصْرَ...

والعصرُ راحَ،

وها هىَ شمسُ هذا المغيبِ،

تميلُ إلى الغربِ...

إنّ الغروبَ يؤذِّنُ فى الطيْرِ،

أنْ سارعى بالرحيلْ

وما زلتَ فى قبضةِ الوهمِ..

ترتقبُ المستحيلْ
والعصافيرُ تُشرعُ مُمعنةً فى الرحيلْ
بينما أنت...
تستمرئُ المُكْثَ...
تغرقُ فى جوف هذِا السرابِ الجميلْ.

دعوة للغناء

بالشجرةِ متّسعٌ أكبرُ لغناءٍ آخرَ..
فلماذا لا أدعُ الشادينَ،
فيشدو منْ شاء اليومَ بما شاءَ؟
هل أصبح من حقّى وحدى...
أن أصدح؟..
أطلقَ أغنيتى،
تتردّدُ بين الآفاقِ..
تنسابُ كما النسمةِ حرّه
تجتازُ فضاءً وفضاءَ؟

والآخرُ؟

فى الطرف الآخر..

أو ليس لهُ الحقُّ يغنّى..

ينطلقُ بما شاءَ غناءَ؟

إنْ كان لى الحقُّ لأشدو...

فالآخرُ، مثلى، يملكُه،

والعالمُ يُصغى،

ليبارَك منْ منّا يبقى

يتحققُ شدْوًا وحُدَاءَ.

فتعالوْا يا كلَّ الأطيارِ نُغنِّى..

فالشجرةُ تمتدُ غصونًا،

كى تسعَ الشادين جميعًا.

ولْنملأْ دوْحتنا شدْوًا..

تتآلفُ..

تختلفُ الأصواتْ،

لكنْ تتعانقُ فى ودٍّ صافٍ..

مادام غناءٌ يتردّدْ

يسترسلُ عذْبَ النغماتْ.

تسمعُه آذانُ الدنيا،
تُصغي..
تتجدَّدُ إصغاءَ.

متون.. وهوامش

(١)

لـمن هذه الصـــهـــواتُ تُلقى قـــيـــادَها

إذا أنْت لـم تركـبْ فـــمن ســـوف يركـبُ

وهذا النبـــيـــذُ المـــرُّ من ذا يســـيـــغُه

إذا أنت لـم تشـــربْ فـــمن ذا ســـيـــشـــربُ

الهامش

حين تُصيبُ الشيخوخةُ روحَ الفارسِ
لا يملكُ إلاّ أن يلزمَ دارَهْ.
تُسكرُه صبواتُ السبْقِ الأولى،
يْبقى مُلتذًّا بالذكرى، يأبَى أنْ
تسلبُهُ عثراتُ اليومِ وقارَه

(٢)

بدون جناحٍ كيف للطائر الذى
أعار جناحيه الرياحَ سيرتقى
فكونى جناحى يا طيورُ فأغتدى
إلى فوق ما يرقى مَدارُ المحلّقِ

الهامش

نسرُ الأمسِ الهاجعُ فى ذاكرة النسرِ
الآن توهّم أن بلوغَ مدًى ما أيسر
ما كان يحقّقُه بالأمس، من الإمكانْ.
لما حاول، داهمَه العجزُ، فأقسم
من هذا اليوم: بألاّ يحلُم يوماً بالطيرانْ.

(٣)

سكبتُ دِنانى فوق أرضٍ بقفْرةٍ
لعلَّ الخمورَ العُتْقَ تُحيى مواتَها
وها قد مضتْ بضعٌ وعشرون حجةً
وما أطْلعتْ أرضُ البوارِ نباتها

الهامش

الأرض البورُ امتدّت وامتدّتْ
حتى غطّت كلَّ الساحاتْ

ما جدوى أن نغرسَ، **والغرْسُ**
ستأكلهُ حين يُبشِّر **بالأُكُلِ الآفاتْ**
لما أدرك فلاَّح الضيعةِ **حجم المأساةِ،**
طوى جفنيه وماتْ

(٤)

نذرْتُ جـــيـــادى **للرياحِ** تقـــودُها
إلى حــــيـثُ لا تدرى ولا يُتــــوقَّعُ
فـــإنْ تبلغْ القـــصْدَ **الذى** قـــبلُ بيَّتَتْ
فـــذلك **أقْصى** مـــا يُتـــيحُ التـــوقُّعُ

الهامش

نحلم أحياناً أنَّ بمُكْنتنا **أنْ نبلغَ**
ما كنَّا بالأمسِ بأيسر ما **نبذلُه من**
مسفوحِ الجهدِ ننالُه.
لكنَّ الواقع يكشفُ **عمَّا صار إليه**
الحالُ، فيأوى الواحدُ منَّا **لحقيقته،**
قد أقعدَهُ حالُهْ.

(٥)

وقـفتُ على باب **الجـمـيلة** حـالمـاً
بنظرةِ **عيْنٍ** يُسَـــتطابُ نوالُهـــا

فـعـــاينتُهـــا عـــمـــيـــاءَ لا تُبـــصـــر الأُلى
هناك سُكارى قــد ســبـــاهم جــمـــالُهـــا

الهامش

لما طاش العشقُ بعقل المجنونِ مضى
يتلمّس ليلى في نائي الفلواتْ
لم يدْرِ المجنونُ بأنّ طريدتَه،
تستسْقي كأس العشقِ، تلوذُ بأحْضان
الآخر، لا يفصلهُا عنه سوى خطواتْ

(٦)

ذهبتُ لعـــــــرّاف المــــــــدينة علّه
يُمــــيط عن الحظِّ اللثــــامَ ويكشفُ
فـــألفـــيـــتُه يبكي على ســـوء حظّه
فــهل كــان بالســهم المــبـيّت يعــرفُ

الهامش

ذهبَ العرّاف إلى عرّافٍ آخر كيْ
يُنْبئَه عن سرّ تسلُّل بعض العرافينَ
إلى داخله حتّى هتكوا أسرارَهْ
فارتاع العرّافُ الآخرُ ممّا قال
وأغمض عينيه على السِّرِّ ونامَ،
ولم يبرحْ من تلك الليلةِ دارَهْ

(٧)

تسليتُ عن ليلى بلُبنى لعلّني

من الحبِّ بالحبِّ المغايرِ أشتفي

فما زادني الحبُّ الجديدُ سوى ضنىً

متى القلبُ من داءِ الصبابةِ يكتفي

الهامش

لما امتحنت أيوبَ العلّةُ داوى آلامَ الأمسِ

بآلام اليوم..

لعلّ الألمَ الطارئَ يُنْسى ما قرَّ من الآلام

فامتزجتْ آلامُ اليومِ بآلام الأمسِ

فصارتْ جبلاً..

هل يقوى أنْ يحملَهُ؟

هذا ما سوف تكشّفُ عنه الأيامْ.

(٨)

لسُعْدى خباءٌ دقَّ سمْتاً ومظْهرا

فلَيْس يراهُ المرْءُ إلاَّ تصوُّرا

همستُ لنفسي حين لأْياً بلغتُه

وليس الذي يُنْبا كمن هو أبصرا

الهامش

نبْنى أحيانًا من لَبِنَاتِ الوهم قصورًا،
تتطاول..
حتى تُمسى أهرامًا..
يختلطُ الواقعُ بالحلم،
يذوبُ الواقع..
تُصبحُ كلُّ حقيقتنا أحلاما.

(٩)

لغــيْرى ســبــيلُ الوصْلِ ســهلٌ مُوطّأٌ
وليس لمــثْلى فى الوصــال نصــيبُ
فكيف؟؟ وغــيْرى بالقليل ينالُه
ومِثْلى، وقَد بذل الكثــيرَ يخــيبُ

الهامش

هذا زمنٌ لا يبلغُ فيه الغايةَ..
إلاّ منْ يعرفُ كيف تنالُ الغايهْ
ليس بقدْرِ الجهد..
ولكنْ بوسائلَ أيْسَر،
لا يحذقها غيرُ العارفِ بأُول اللعبة
فتعلَّمْ لغةَ العصرْ..
تحقِّقْ سائرَ ما تبغيهْ
والفَطِنُ الحاذقُ..
من يبلغُ غايته قبْلَ أخيهْ

(١٠)

زمـــانُك هذا غـــيـــر كلٍّ الذى مـــضى
لهُ كـلَّ يومٍ وجْهُهُ الـمـــــتـــــغـــــيِّرُ

فـلا تَنْشُدَنْ فـيـــه الحـقـيـقـةَ، إنّهـا
غـــدتْ مـــثلمـــا العنقـــاء، بلْ هى أندرُ

الهامش

ذات صباحٍ، من يومٍ لا أذكرهُ..
قابلتُ العنقاءْ
كانت فاتنةً جدًا..
ساحرةً جدًا..
أجْمَل من كلْ خيالاتِ الشعراءْ.
مدَتْ لى كفيْها،
أقبلتُ عليها..
ومددتُ ذراعىَ لأحْضنها..
فأفقتُ على وطأة إحساسى بالصدمةِ..
كنتُ أعانق مَحْضَ هواءْ.

سارق النار

إلى عبد الوهاب البياتي

(١)

لمنْ تكشفُ النارُ عن سرِّها..
وتصقلُ جوهرهم بالنبوءةِ،
بالوهج السرمديْ..
إذا لم يكنْ للأُلى يكتوون بصهْد الحقيقهْ؟
فيا سارقَ النارِ!..
هأنتذا
تُضوِّئُ أعماقَكَ الخابياتِ،
بغْيضِ الألقْ.

وتكشفُ عن صدرك المحترقَ
فنلمحَ ما خبّأتْهُ السنون العجافُ،
بأعماق روحك من أنجمٍ..
قد توارتْ هنالك..
حتى تبدّى لنا فجرك المنبثقْ.

(٢)

لماذا «تُهشّم تلك الأباريقَ» ؟
هل ذاك من أجل بعثٍ لها من جديدٍ،
تُرى؟
أم هو الموتُ يعلنُ بدء الحياهْ؟
لك المجدُ يا «قمراً» بازغاً،
تجلّيتَ فى أفق «شيرازَ» ليلاً..
تُبارك «مملكةَ السنبلهْ» ،
ليبقى لـ «بستان عائشة» سحرُهُ..
فيُخْمدَ هذا الوميضَ الغريبَ،
الذى لم يزلْ نابحاً فى «عيون الكلابِ» ..
كلابِ حفائرنا «الميتةِ» .
فيا سارقَ النارِ:

طَوِّفْ بنا..
عبر «أبوابِ عالمك السبعة» المشرعاتِ،
وأشعِلْ حريقَ الكلامِ..
أَنِرْ عتمةَ الكلماتْ
هي «النارُ والكلماتُ» إذنْ؟..
لك المجدُ..
هأنتَ تأتي،
لماذا إذنْ «ليس يأتي» الذي..
طالما بشَّرتْنا به سانحاتُ الحروفْ؟
أ «نكتبُ للطينِ» من فوق طينٍ..
ليبقى لطين الحقيقة هذا الخلودُ،
برغم اعتسافِ الحتوفْ؟

(٣)

على باب «مدريدَ»..
أَم بابِ «غرناطةٍ» كان هذا اللقاءْ؟
أ«لوركا» تُرى؟
أمْ هو «الشيخُ» يومئُ مُستنْفراً؟
أ«بابلونيرودا» الذي كان؟

أم كان «ناظمُ» ؟
منْ منهمو كان هذا الدليلْ ؟
وأينَ ؟
إلى أين يمضى السبيلْ ؟
هو «الشيخُ» كانَ..
وهذى دمشقُ،
وذا قَاسِيُونُ..
يفتحُ أحضانَه للعناق..
هنا قُربَ شيخك نمْ مستريحًا..
أما آن أنْ تستريحَ.
تُزيحَ العباءةَ،
بُرْدَ المنافى الذى طالما قد علاكَ..
إذنْ جنْبَ شيخك نَمْ، أيُّها الطفلُ..
طفلَ الحياةِ الجميلْ.

القاهرة فى أغسطس ١٩٩٩

للحب أغنى
١٩٧٦

الإهداء

إلى النبتة الطيبة..
سناء عبد المنعم..
أهدى هذا الديوان

عبد المنعم عواد يوسف

قصتى مع الشعر

أيها القارئ العزيز:

اسمح لى أن أسرد أمامك **قصتى مع الشعر**، وهى قصة تبدأ منذ كنت تلميذا صغيراً، يحاول **محاولات** ساذجة لكتابة الشعر، ولا أدرى كيف ضاعت هذه المحاولات، **فكم هو طريف** أن يقرأ الإنسان محاولاته الأولى المليئة بالكسور العروضية، **والأخطاء اللغوية** والنحوية، قبل أن تستوى أداته الفنية، ويتمكن من النظم السليم. **فشعرى** المبكر، الذى مازلت أحتفظ به حتى الآن، صحيح من الناحيتين **العروضية** واللغوية، أما المحاولات الأولى المتعثرة، فلا أدرى كيف فاتنى **أن أبقى** عليها، فغالتها يد الإهمال.

وأول محاولة مكتملة لكتابة **الشعر**، قصيدة كتبتها عام ١٩٤٨، مشاركا بها فى معركتنا مع العدو الصهيونى، **التى** احتدمت هذا العام وكنت يومها تلميذا فى الصف الأول **الثانوى، وقت** أن كانت مدة التعليم الثانوى خمس سنوات، ولا أذكر من **هذه القصيدة** إلا هذه الأبيات الثلاثة:

دمـــاء تســيل ، ودمع يســيل

وهـذا يقـــوم وذاك يمـــيل

وشـعب ينادى فـيـأتى الرفـاق

يقـولون: جـئنا نصـد الدخـيل

سنهـــزم كل عـــدو لـدود

وســوف نبـيـد العـدو النزيل

وأذكر أن مدرس اللغة العربية، وأسجل اسمه هنا اعترافًا بفضله على، وهو الأستاذ «سيد سلامة» ما كاد يستمع إلى هذه القصيدة حتى صفق إعجاباً، وسارع باستدعاء السيد ناظر المدرسة لأعيد إلقاء القصيدة على مسامعه، وما كاد الناظر يفرغ من سماع القصيدة حتى إنهالت من فمه على عبارات الثناء والتشجيع، ويومها أدركت لأول مرة أننى بدأت خطاى على درب الشعر الصحيح.

وكانت الخطوة التالية أن أؤكد هذا الاعتراف الشفوى، بإعتراف تحريرى، ومن ثم بدأت أرسل شعرى إلى أركان الأدب بالصحف والمجلات المصرية، وانتظرت شهوراً دون جدوى، حتى بدأ الشك يساورنى فى قيمة ما أكتب، وأميل إلى الاعتقاد بأن حفاوة مدرسى بإنتاجى ما هو إلا لون من التشجيع لطالب صغير، حتى وقع الأمر الذى أعاد الثقة إلى نفسى، يوم طالعت ذات مساء إحدى قصائدى منشورة فى «ركن الأدب» بجريدة «الزمان» وكان يشرف عليه الشاعر الكبير المرحوم «محمد الأسمر».

كانت قصيدة صغيرة من ستة أبيات بعنوان «بائس رحل» أقول فيها:

بكى من هول ما لاقى من الأرزاء والحمم
وألفى السم ترياقا فداوى زائد الألم

* * *

مضى الموت مختارا يروم الراحة الكبرى
فقالوا: كافر غارا سيغشى النار بالأخرى
ألا بالله لو علموا من الأوصاب كم حملا
لما سخطوا، وما نقموا وقالوا: بائس رحلا

وجاء هذا الاعتراف التحريرى بشاعريتى ليؤكد اعتراف أستاذى بها، فاطمأنت نفسى، وآمنت بميلاد شاعر صغير، وكان عمرى يومها ست عشرة سنة تقريبا.

وتوالى ظهور قصائدى على صفحات «جريدة الزمان» حتى بات «ركن الأدب» بها لا يخلو من قصيدة لى كل أسبوع.

والواقع أن هذا الركن الأدبى العتيد كان نافذة أدبية أطل منها إلى الحياة الأدبية مجموعة كبيرة من الشعراء، لأول مرة أذكر منهم الفيتورى ومحمد مهران السيد، وفتحى سعيد، وإبراهيم عبد الحميد عيسى، وكيلانى سند، وكمال نشأت والمرحوم هاشم الرفاعى ، والدكتور الربيعى، وغيرهم كثيرون.

وكان احتفاء الأستاذ الأسمر» بشعرى. حافزًا لى على التطلع إلى مجالات أخرى للنشر، ومن ثم واليت المجلات الأدبية بقصائدى وكم كانت فرحتى عظيمة يوم بدأت قصائدى تظهر على صفحات مجلة،

«الثقافة» التى كان يصدرها المرحوم «أحمد أمين». وكيف لا تستبد الفرحة بطالب الثانوى وهو يطالع إنتاجه الشعرى منشوراً إلى جانب إنتاج كبار الأدباء.

وكان غروراً منى، فى ذلك الوقت، أن أفكر فى النشر فى «رسالة» الزيات. فلم يكن أستاذنا «الزيات» رحمة الله عليه، يفتح صفحات مجلته العريقة «الرسالة» إلا للأقلام الراسخة فى مضمار الأدب، وكان باب «الرسالة» فى العادة موصداً أمام ناشئة الأدب وفى الحقيقة كان النشر فى الرسالة بمثابة شهادة بأن هذا المنشور له أديب مرموق، وكثيراً ما كان «الأستاذ الزيات» يصرح بأن النشر فى «الرسالة» شهادةً اعتراف بالأديب أهم له بمراحل من الحصول على مؤهل جامعى فى الأدب.

ويوم أرسلت إلى مجلة «الرسالة» قصيدتى «أطياف» كنت يومها طالباً فى «الثقافة العامة» ولا تتصور مدى سعادتى حين نشرت «الرسالة» القصيدة: بقلم (الأستاذ الشاعر: عبدالمنعم عواد يوسف)، وهكذا بدأ إسمى يظهر على صفحات «الرسالة» إلى جانب كبار الأدباء، وأنا مازلت طالباً فى المرحلة الثانوية.

وفكرت فى لقاء أستاذنا «الزيات» وفى مجلة «الرسالة» كان اللقاء وياليتنى ما فعلت، فبعد هذه الزيارة ووقوفه على حقيقة وضعى الدراسى، خلع عنى لقب الأستاذية وأصبح شعرى ينشر بقلم «الشاب: عبدالمنعم عواد يوسف».

وودعت المدرسة الثانوية، وانتقلت إلى كلية الآداب، جامعة القاهرة، وفى قسم اللغة العربية بها، كان لقائى بأساتذتى الذين كنت أقرأ لهم وأنشر معهم على صفحات «الرسالة» و «الثقافة». أستاذنا الكبير الدكتور طه

حسين، وأساتذة الأدب الجهابذة الدكاترة: سهير القلماوى، وعبد الحميد يونس، وشوقى ضيف، وعبد العزيز الأهوانى، وإبراهيم سلامة، وشكرى عياد هؤلاء الأساتذة الذين غذوا موهبتى بعلمهم، فأفدت منهم الكثير.

غير أن التغيير الحاسم فى مجرى حياتى الشعرية فى هذه الفترة، إنما نتج عن إحتكاكى فى كلية الآداب بمجموعة من الزملاء؛ أصبح لهم الآن وزنهم الكبير فى حياتنا الثقافية، أذكر منهم الأصدقاء الأعزاء: رجاء النقاش، وبهاء طاهر، وكامل أيوب، ومحفوظ عبد الرحمن، وعبد المنعم صبحى، وكذلك الصديق الكريم الدكتور عبدالمحسن بدر، الذى كان يسبقنا بسنة أو سنتين دارسيتين، أقول كان الإحتكاك الفكرى بهؤلاء الأصدقاء خلال جلساتنا فى «بوفيه كلية الآداب» وبين ممرات الكلية، له أثره الحاسم فى حياتى الشعرية، فبدأت أتخلّص شيئاً فشيئًا من إتجاهاتى الرومانسية وأتحول نحو الواقعية، والارتباط بالمجتمع والتعبير عن مشكلات البشر.

وفى هذه الفترة كتبت.. «جوزيف مات.. والكادحون والغرباء.. وسر المنظار الأسود.. والصامدون، وكما يموت الناس مات».

وكان التجاوب العميق بينى وبين الطلبة حينما كنت ألقى شعرى أمامهم فى «الجمعية الأدبية» دافعاً لى إلى التجويد، ومعاودة النظر فى أدواتى الفنية، وإتجاهاتى الفكرية باستمرار.

فى عام ١٩٥٢ نشرت قصيدتى «الكادحون» فى مجلة «الثقافة» وقت أن كان يشرف عليها أعضاء «الجمعية الأدبية المصرية».. وهذه القصيدة هى وقصيدة «من أب مصرى إلى الرئيس ترومان» لعبد الرحمن الشرقاوى

وقصيدة «أبى» لصلاح عبد الصبور، وكلها نشرت فى هذا العام، هى أول قصائد من الشعر الحر تنشر لشعراء مصريين.

وفى عام ١٩٥٣ كتبت قصيدتى المعروفة «وكما يموت الناس مات»، واذكر أننى لم يتح لى نشرها إلا بعد سنة كاملة، حيث نشرتها مجلة، «الرسالة الجديدة» وكان صدى نشرها بعيداً فى كل الأوساط الأدبية، حتى أن ندوات كاملة كانت تعقد لتقريظ هذه القصيدة المحظوظة، بل إنها كانت تناقش فى بعض المحاضرات الدراسية بكلية الآداب كنموذج للشعر الجديد، تطبيقاً عملياً للرؤية الشعرية المعاصرة، كما ينبغى أن تكون.

وكان نجاح هذه القصيدة دافعا لى على مواصلة السير فى هذا الاتجاه، وكنت كلما سرت قدما فى إتجاهى الجماهيرى فى الشعر، كلما إزددت إنحداراً من الناحية الفنية، حتى كانت غاية الانحدار الفنى قصيدة بعنوان «من شاب عربى إلى الرئيس إيزنهاور»، نشرت ضمن مجموعة من الشعر الجماهيرى السىء إسمها «أغانى الزاحفين» رحم الله أستاذنا الشاعر «كامل الشناوى» كان يطلق عليها إسم «أغانى الزواحف».

ولعل النقد الصارخ الذى قوبلت به هذه القصيدة، كان العامل الأول الذى أيقظنى من هذه الغفوة الفنية، ومن ثم صححت مسارى وعدت إلى طريق الشعر الصحيح، موازناً موازنة سليمة بين متطلبات الفن، ومتطلبات الحياة فى شعرى، واضعا نصب عينى أن الشعر لابد أن يظل شعراً قبل أى اعتبار.

بقيت عدة نقاط لابد من إستيفائها حتى أكون قد قدمت قصتى مع الشعر تقديما وافيا إلى حدٍ ما.

النقطة الأولى تتعلق بالشكل.. وفيما يتعلق بى شخصياً، فأنا وإن كنت من أوائل الشعراء المصريين الذين كتبوا الشعر الحر، أو من إيماناً أكيداً بضرورة بقاء اللونين: الشعر العمودى والشعر الحر.

ولن نمل من تكرار القول بأن الحداثة ليست هى مجرد النظم على طريقة الشعر الحر .. فربما كتب شاعر قصيدة بهذا الشكل الجديد، بينما هى أبعد عن المعاصرة بصورها وأفكارها، وطريقة تناولها للحياة. وربما كتب شاعر آخر قصيدة عمودية، هى نموذج للشعر الحديث بصورها وأفكارها ومواكبتها للحياة.

المهم أن تكون القصيدة شعراً.. وشعراً حديثاً، بروح المعاصرة التى تشيع فيها، وحداثة الرؤية الشعرية التى تسودها.

ولعل قصيدتى، التى نشرتها فى مجموعة شعرية سابقة «الأطفال والذرة» خير نموذج لهذا التصوير للشعر. فهى قصيدة تقليدية، من حيث الشكل، ولكنها مضموناً وأفكاراً وتناولاً للحياة من الشعر الحديث بلا جدال.

ولهذه القصيدة قصة. فقد كانت لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ترفض الاعتراف بالشكل الجديد، وبالتالى ترفض الاعتراف بشاعرية من يكتبون الشعر بهذه الطريقة، وتعتبر أن لجوءهم إلى النظم بهذه الطريقة ينبع من عجزهم عن النظم بالطريقة التقليدية، فأردت أن أثبت لهم خطأ تصورهم هذا، ومن ثم تحينت فرصة إجراء إحدى مسابقات المجلس الشعرية، فكتبت هذه القصيدة بالشكل العمودى، واشتركت بها فى المسابقة المذكورة، وكان فوزها بالجائزة الأولى وتقريظ أستاذنا المرحوم «العقاد» لها وتفضيلها على غيرها من قصائد الشعراء الملتزمين بالأوزان

الخليلية المكتملة وحدها، إعترافًا بأن كتابة الشعر الحر لا تعنى العجز عن النظم بالطريقة التقليدية، بل إنها لا تكون إلا لضرورة فنية ملحة.

نقطة أخيرة أحب أن أقف عندها قليلا.. هذه النقطة تتعلق بموضوع الشعر.

وأنا من الناس الذين يؤمنون بحرية الشاعر الكاملة فى اختيار الموضوع الذى يتناوله فى شعره.

ليكتب الشاعر فى أى موضوع يشاء، المهم أن يكون صادقا مع نفسه قبل كل شىء. وليقصر شعره على الموضوعات العاطفية الخالصة، إن شاء، ولا يغرق نفسه فى مشكلات الناس إن أحب. المهم أن يكون شاعرًا بمعنى الكلمة. شاعرًا يضع الشعر قبل كل اعتبار، أما تسخير الشعر تسخيرًا معتمدًا من أجل قضية سياسية، أو مشكلة اجتماعية، فهذا ما أرفضه تمامًا، لقد عانينا كثيرا من شعر «الشعارات»، هذا الشعر الذى حول الشعراء إلى مجموعة من الأبواق تهدر بصخب لفظى لا جدوى منه.

لنرجع إلى الشعر وجهه المشرق، وليصبح الشعر غناء عذبا، وحداء صافيا يواكب قافلة الحياة.

أيها الشاعر. ليكن وقوفك إلى جانب الإنسان، مع التقدم، مع وجه الحياة الخير الشريف، مع الناس فى كفاحهم الدءوب من أجل مستقبل سعيد. ومن أجل إيقاظ الضمير والعودة إلى نبع الفطرة والنور والهدى.. إلى الله سبحانه.

ثم إصدح بما شئت من غناء، وليصدر عنك الشعر صافيا، متفجرًا من الأعماق، ينبوعا رقراقا، لا تحده شطآن، ولا تحبسه أطر مصنوعة.

والآن أيهاالقارئ العزيز.. بعد أن صحبتنى مشكورا خلال هذه السياحة. أتركك مع قصائد الديوان.

إنها مجموعة مختارة مما كتبته خلال فترة تمتد أكثر من عشرين عاما. وقد توخيت فيها أن تمثل إنتاجى الشعرى خلال هذه المرحلة من سنى حياتى الأدبية.

وآمل أن تخرج من قراءتها وأنت مقتنع أنك قرأت شيئا يستحق القراءة. وأن وقتك لم يضع هباء منثورا.

والله أسأل أن يوفقنا جميعا إلى ما فيه خير الناس.

عبد المنعم عواد يوسف

أم القيوين. دولة الإمارات العربية المتحدة.

نوفمبر ١٩٧٥م.

عودة محب

دقت يدى، فتساءل الباب

«من ذا هناك؟» فقلت: جواب

أين عصى، وأنى ليسألكم

صفحاً، فهل تقصيه أبواب

* * *

عاد الغريب، فقل لمن عادا

«أهلا بنى» وقدم الزادا

جوع الطريق، أمضنى زمنا

والجود فى كفيك قد نادى

* * *

نادى، فـــجـــئـت لأنهل النورا

وأطوف بالردهات مـــبـــهــــورا

فــإذا ظمــئت، فـــمن سنا نبع

عــذب الرضـــاب، أعب مــســرورا

* * *

عـــاد الغــريب، وملء عــينيـــه

رؤيا طريق شـــد ســـاقـــيـــه

فـــإذا انثنى من أســـره وأتى

فــــابعث بنورك ملء برديه

* * *

يارب، وخــز الشــوك فى قــدمى

مـــازال يورى خـــابى الألـم

أنا قـــد رجـــعت، ترى أتقـــبلنى

أم ســوف تغـضى الطرف عن ندمى

* * *

أنا قـــد رجـــعت بكل أشـــواقى

والحب يســـبح ملء أحـــداقى

فـــافـــتح لى الأبواب يا ربى

حـــــتى أبدد بعض إرهاقى

* * *

يارب، كـــان البـــاب مــفــتـــوحـــا

للقلب، هل مـــازال مــفــتـــوحـــا

بـالأمس جـــــاز البــــــاب فى برء

أفـــهل يرد اليـــوم مـــجـــروحـــا

* * *

غــــــــامت بنا الفلوات يا ربى

تهنا، فلم نعـــثــــــر على درب

حـــتى لمـــحنا الواحـــة الكبـــرى،

تومى لنا، بالشـــــــوق والحب

* * *

أومت، فـــرحنا صـــوبهـــا نعـــدو

يحـــــدو خطانا الحب والوجــــد

يا رب، هل قـــد حـــان أن نثـــوى

فى ظلهـــــا، أم لم يحن بعـــــد

* * *

فى حب الرسول

معزوفة من حركتين

(١)

قبْل البعَثة

فلتخسأ أبرهة المغرور.

قسما لن تطفىء هذا النور.

أبدًا، لن ينتصر الديجور.

كفكف من حدة هذا التيه

فالبيت له رب يحميه.

* * *

إسودى، إسودى، يا آفاق.

وازدحمى بالطير أبابيل.

ولتتساقط حمم الأحراق

حتى تسحق أصحاب الفيل.

رجما بقنابل من سجيل.

تجعلهم كالعصف المأكول.

من أى مكان يقبل هذا الويل.

من أى مكان؟

عن أى جحيم يصدر

هذا، الهول، الويلُ الويلُ

الويل لكم أصحاب الفيل.

* * *

وتظل الكعبة، بيت الله.

نوراً يتدفق عبر الدهر سناه.

حتى يأتى يوم موعود

ويرقرق فى الأحداق ضياه.

* * *

تترقب هذا اليوم صبيّةْ
تخشى أن توأد ذات صباح
يترقب هذا اليوم غلام.
أرهقه الرق أسى، ونواح.
تترقبه أمة، يدفعها للشين السيد، لا تبكى..
يكفى أن تنفجر فى الأعماق جراح.

* * *

فلتقبل من أعماق الغيب.
يا يوم البعث لآلاف الموتى الأحياء.
يا يوم الفرح لآلاف التعساء.
أقبل. أقبل.
أرهقنا الشوق إلى لقياك.
أقبل من أجل المظلومين.
أقبل نصراً للمقهورين
أقبل ظلا للمطحونين

* * *

كن بسمة بشر للمحزون.
كن كسرة خبز للجوعان.

كن جرعة ماء للظمآن.

كن مرفأ أمن للحيران

كن حصن سلام للهفان

كن أملا، كن إشراقاً، كن نوراً وهداية.

كن درباً منفتحا يهدى كل شريد.

كن صرحا مأمونا يأوى كل طريد.

* * *

(٢)

بعد البعثة

وأتى محمد بالضياء

بالنور بالأمل المرجى، بالإخاء.

بالعدل جاء.

بالحق جاء.

بشريعة الرحمن، بالقرآن، بالحرية الغرّاء بالسنن الوضاء

* * *

أو ليس وعداً أن يعم الخير كل الأشقياء.

أوليس وعداً أن تحرر من قيود الرق آلاف الإماء.

أو ليس وعداً أن ترفرف راية الأحرار، تعلو فى الفضاء.

أو ليس وعداً أن يبيد البغي، ينتشر الصفاء.

أوليس وعداً أن تجلجل بعد طول الصمت آيات السماء.

أو ليس وعداً أن يهل البشر، يقتلع الشقاء.

وعد من الله العظيم.

ووعد ربك ليس يخطئه الوفاء.

وانساب ركب المسلمين مشتداً أسمى بناء.

رفعوا لواء الحق خفاقا، يرفرف في العلاء.

أكرم بذلك من لواء.

في كل ركن من ربوع الأرض قد بذروا الرخاء.

في كل ركن من ربوع الكون قد غرسوا النماء.

نشروا الحضارة، والضياء.

زرعوا الأخوة والصفاء.

شادوا بناء راسخاً، أشرف بذلك من بناء.

حنين

[وحى سنوات الغربة]

ودعت كل مسافر وبقيت أنتظر الرحيل.
يا موطنى.
يا كعبة الآمال، كيف إليك يا وطنى السبيل.

* * *

أهفو إلى وطنى البعيد.
ويلج بى شوق عنيد.

* * *

أهفوا إلى حى الحسين، وجلسة المقهى العتيق.
آوى إليه مع المساء، أفر من صخب الطريق.

ورغيف خبز طيب، حلو المذاق.
ويدى وكوب الشاى ذابا فى عناق.
الله، ما أحلى الحياة.
وأنا هناك.
آوى إلى كنف الحسين

* * *

أتراك تذكر، أم تراك نسيتنى وسط الزحام.
إنسا كنى صخب الحياة.
يا مقعدى الحجرى يجثو فى حمى النيل العظيم.
وأنا أحدق فى الوجوه.
حينا.
وحينا فى المياه.
وذوائب الأهرام تشمخ من بعيد
تمتد شاهدة على المجد التليد
«من شيدوا الأهرام مازالوا كباراً فى الحياة»
ويعيدنى صوت المياه.
لأرى الحياة.
والناس من حولى حياة.

* * *

أهفو إلى نور ترقرقه المآذن في سماء القاهرة

أهفو إلى تلك المساجد بالطهارة عامرة.

وتظل عيني ساهرة.

أبدا تحدق في السماء.

تزف أية طائره.

فلعلها تسرى إلى بلدى.

أجل، فلعلها تمضى.

لتطفئ شوقها بالقاهرة.

عن الأم

مازلت أذكر قصة، كانت لنا تروى صغارا.

يا طالما حكيت مراراً.

وبرغم بعد العهد أذكرها، فمازالت تضىء.

فى غور وجدانى مثالا للأمومة.

عن هرة دخلت وراء صغارها فى جوف تنور يزمجر بالغضب.

لم تخش ألسنة اللهب.

من أجل إنقاذ الصغار.

أنا لست أذكر. يا صحاب بم انتهت تلك الحكاية.

أنا ليس تعنينى النهاية.

لتكن إذن ما قد تكون.

هل أنقذت أطفالها من قبضة الموت العنيد.
أم ماتت الأم الرءوم، ولم تحقق ماتريد.
أنا كل ما أدريه: أن الأم لم تخش اللهب.
لم تخش ألسنة اللهب.
حمراء، تزأر بالغضب.
من أجل إنقاذ الصغار.
وتظل قصتها تضىء.
فى غور وجدان البشر.
مثلا أغبر.
مثلا ينير لنا الطريق
مثلا على أن الأمومة.
أقوى من السيل المدمر، والعواصف، والحريق.
وتمر أيام الحياة، وينطوى الزمن العجول.
ويظل فى أغوار وجدانى حديث.
يضوى كلؤلؤة نفيسة.
فتدبروا هذا الحديث.
هل تذكرون.
لما أتى رجل رسول الله، يسأله الخير.
«قل لى، أيا خير البشر».

«من ذا بحسن صحابتى، فى هذه الدنيا، أحق؟»
فيجيبه الهادى، رسول الله: «أمك».
ويعود يسأل من جديد.
ليفوز بالرأى الأكيد.
«من ذا بحسن صحابتى، فى هذه الدنيا؛ أحق؟»
فيعيذ سيدنا رسول الله: «أمك»
ويعود يسأل من جديد
شوقًا إلى الرأى الأكيد.
فيجيب: «أمك»
ويعود يسأل من جديد.
«من ذا بحسن صحابتى فى هذه الدنيا، أحق؟».
فيقول سيدنا الرسول: «وبعدها يأتى أبوك».
وتظل نفحات الرسول.
نوراً يضىء لنا الطريق.
شمساً تبدد من دجاه.
مثلا على أن الأمومة.
أغلى وأنقى يا صحاب.
من كل ما تحوى الحياة.
يا أم، يا نبع الحنان.

يا أم، يارمز الأمان.

يا من بفضل رضائها عنا، يباركنا الإله.

وتضمنا غرف الجنان.

يا أم، يانبراس نور.

يضوى على مر الدهور.

يا رمز كل التضحيات.

يا نبع كل الأمنيات.

كل العطاء إلى جوار عطائك المغداق شح.

نزر يسير.

أنا لو وهبت لك الحياة.

ما كنت ضحيت الكثير.

فقد بذلت لنا الكثير.

حول الحب.. وأشياء أخرى

الحب والذهول

نسير في الطريق ذاهلين..

نقابل الأحباب، لا نبصرهم..

نفوتهم.

نمر عندهم مرور عابرين..

وأنت، يازنبقة الفؤاد، تعتبين..

ـ بالأمس، قد مررت دونما التفات.

أتصدقين ؟» .

* * *

حبيبتى.
إذا رأيتنى أسير فى الطريق، نبهينى..
فإننى أسير فى الطريق نائماً.
ككل أهل ذلك الزمان.
يذهلون دائما.
فلتقصرى العتاب، يا حبيبتى، فلتقصرى العتاب.
يا ويلنا من زمن، يذهلنا حتى عن الأحباب.

الحب والنسيان

أنكرتنى.
ومضت دون التفات.
وكأنى لم أكن ذات زمان.
... ...
وكأنى لم أكن يوما لها شمس الشتاء
نسمة الصيف.
وإشعاع القمر.
فى ليالى الصحراء.

* * *

أنكرتني.

ومضت دون التفات.

يا إلهي.

أو تنسى كل ما قد كان يوما بيننا.

وأنا

وأنا من عشت مذ قد فرقت بين طريقينا الحياة.

هائما.

أجتر أحلام اللقاء.

واثقاً من أننا ذات صباح أو مساء

نلتقي.

فإذا تم اللقاء

مسحت كف الرضا.

كل حرمان مضى.

يا إلهي.

فإذا تم اللقاء.

أنكرتني، ومضت دون التفات.

* * *

الحب والجوع

سيدتي.

بالأمس كنت جائعاً، فما ذكرت موعدك.

معذرة.

لا يتقن الغرام من خلت من الطعام معدته.

والجوع حينما يضيق الخناق.

على عواطف البشر.

تموت كل عاطفة.

فلا يعود غيره، متوجا، على النفوس.

سيدتي.

للجوع تنحنى الرءوس.

معذرة، إذا نسيت موعدك.

ولتتركى الأشواق، فى دعه.

فالجوع، كان موعدى معه.

١٩٧٠م

السندباد أبدا

ألا ما أضيع الأيام، حين تذوب فى الأيام.
ألا ما أبخس الأعوام، حين تضيع فى الأعوام.

* * *

وأنت تقول: «كان، وكان».
فما معنى لما قد كان.
إذا ما كان، سوف يكون، ثم يكون، ثم يكون.

* * *

وعدنا من بحار التيه، يرهق روحنا التطواف.
وصارعنا عتى الموج، حتى حطم السكان والمجداف.

وعاد شراعنا ممزقا.

فماذا كان مغنمنا سوى الأعشاب والأصداف؟.

لعل هناك لؤلؤة، وما من شيء.

ألا ما أضيع العمر الذى عشناه.

ألا ما أفدح الجهدا

ويا أبهظ به ثمنا تكلفناه.

وقلت: «ولن أعود لها.

كفانا ما تجشمناه.

* * *

وحين يحل نفس الوقت.

نفس الموعد المضروب.

تفجأُروحى الأشواق.

فتمسح سائر الإرهاق.

وأشعر أن شيئا ما ينازعنى إلى الإبحار.

فأدرك أنه قدرى.

* * *

الطريق والحب

إليك يا صديقتي، تحية الصباح.

وقبلة أعف من جناح.

وزفرة إرتياح.

صغيرتي؛ بلغت شاطئ الأمان.

* * *

قد كنت، يا صديقتي، أسعى بلا دليل.

وزورقي الصغير، ريشة في قبضة الرياح.

والليل، يا صغيرتي، .... الليل والجراح.

وفجأة، لمحت من بعيد.

جزيرة تلوح.

صديقتى، بسمت للحياة.

وأشرق الرجاء، زفرة على الشفاة.

وأقبل الصباح.

* * *

عيناك، يا صديقتى، نبعان من حنان.

ومرفأ أمان.

وفيهما يخيم السلام.

صديقتى، ويورق الربيع كل عام.

أما هما، فمورقان؛ زهرتى، على الدوام.

* * *

فى الفجر، يسقط الندى صديقتى، على الزهور.

فيمسح التراب.

ويوقظ العبير.

وحبك الكبير.

نفضة من الندى.

أودت بما قد كان فى قلبى من الهموم.

وأيقظت بشاشة الربيع.

فى أعمق الضلوع.

وأرجعت نضارة الحياة.

وأوقدت شموع.

شموع عمر شاحب حزين.

صديقتى، ودعت عالم الشجون والدموع.

وطابت الحياة.

وأورق الربيع.

مبدداً كآبة الشتاء.

ووحشة العراء.

والحب، يا صغيرتى، يجدد الحياة.

ويبعث الأمل.

ويوقظ الرجاء.

وكنت يا صديقتى، أحيا بلا رجاء.

* * *

قد كنت يا عزيزتى، أحيا على الدموع.

وأشرب الهوان.

ودربنا الطويل، وحدة وجوع.

وسكة الكفاح، ياعصفورتى، طويلة.

وليس ما ينير دربنا الطويل.

صديقتى، وكنت أزرع القفار.

وحدى؛ بلا دليل.

وجاء صوتك الحنون؛ وصوتك الحنون نفحة من السماء.

يقول؛ إننى معك.

«فسر ولا ترهب زوابع الطريق.

«وعتمة المساء؛ يا رفيق.

«وذاك؛ نجمة تنير.

«فتابع المسير.

«وشيد الحياة؛ من جديد».

صديقتى؛ لن أرهب الطريق.

«ما دام قلبك الصديق.. يا صديقتى معى.

مجلة الشعر – يونية ١٩٦٥م

العائدون.. والأمل..

ـ ١ ـ

صبراً يا رفقائي صبرا.
بات الشط برمية عيني، لا تنزعجوا
لحظات، ونقول وصلنا.
ذاك عبير الأرض الحلو.
ما أجمل أنفاس الصبح.
بعد قليل سوف نعانق روح الأرض
ونذوب بأمواه غدير صاف.
ويرددنا الطير نشيداً.
وأخيراً عاد الغرباء.

- ٢ -

عادوا للأرض، بلا يأس.
عادوا من بحر الأهوال.
يا أبناء الأرض، أجيبوا.
أتراكم عدتم بالسر، رفاقى.
أم أن السر سيبقى.
فى قلب المجهول حكاية.
تروى للناس.
رفقاء الرحلة فى بحر الأهوال.
الليل حزين، يارفقائى.
ما لليل حزين.
إنى ألمح نجماً حائر
يمرق عبر ستار الليل.
يعبر فوق تخوم الليل.
وعذارى الأفق شريدات.
يرقبنى البدر، بلا غاية.
يا نجما يبرق عبر سماء الحب الخالد.
لا تحجب أضواءك عنى.
لا تحرمنى دفقة حب.

من كأس لا تنضب.

أخبرني؛ أيعود الغائب يوماً.

أتراه يعود.

حين يعانق روح الأرض نسيم الفجر.

ما أجمل ألحان العودة.

ـ ٣ ـ

لا تغمس خبزك في زاد النسيان.

لا تملأ دلوك من بئر الآلام.

فستذكر يوماً أنا قد عشنا أعواماً في البحر.

أعواماً في حضن الأمواج.

أترانا كنا نحيا أم كنا أموات.

أنا لا أذكر شيئا إلا أن ذراعا مسحورة.

كانت تجذبنا أبداً نحو القاع.

لكنا كنا أبطالا.

ولكم حاولنا أن نجتث أصابعها الملعونة.

ولكم نادينا من أعماق القلب.

لا؛ لن تفلح؛ يا بحر الأهوال.

لا، لن تسلب منا إلا اليأس.

\- ٤ -

وأخيراً عاد الفجر بباقة زهر.

وتراءت فوق الماء وريقات خضراء.

وتثار ورود تلثمها الأمواج.

وهناك بقلب مدينة.

تهجع فى أحضان الشوق.

تأكل من أوراق الورد.

تجتر الأحلام المسحورة.

مازالت عذراء تنتظر العائد فى الشرفة.

يوما سوف يعود الغائب يوماً.

«يا فارس أحلامى الأسمر.

يا نجما ترفل فى أحضان المشرق.

يا أملى.. يا أمل الناس.

فوق فراشى ينبع نهر دموع.

ويصب ببحر الأحزان.

وأنا فى كل صباح؛ أهرع للشباك.

كى أسرد قصة حبى.

فى أذن العصفور.

كى أسأل أنسام الصبح الوردية.
أترى سيعود.
وأظل أحدق من خلف الشباك.
وأمد خيوطاً من عينى.
وأظل أفتش بين وجوه الناس.
وأعود بعودة شمس اليوم.
أحمل فى أعماقى حسرة يوم فات.
وأهدهد فى صدرى أحلام الغد.
وعلى الماء بقايا زهر ذابل.
ووريقات خضر ماتت من أيام.
ريشة طائر.
جثة وردة.
وإذن قد عدنا للشاطئ.
ما أجمل أن يحيا إنسان بعد الموت.

ـ ٥ ـ

لا تترك مركبنا فى كف الأمواج.
فالشط قريب.
سيقول الناس «وكنا نحسبهم أموات».

وأخيراً عادوا؛ لا ؛ لم يحدث شيء.
مركبهم لم تأكله الأمواج.
أبدا يا رفقائي أبداً؛ لنْ يفنى إنسان.
إنسان يؤمن أن كفاح القلب.
قطرات تسكب في صحراء النفس.
كي تنبت يوماً ما زهرات.
ولكم كافحنا في بحر الأهوال

ـ ٦ ـ

عدنا يا رفقائي عدنا.
لم نفقد شيئا يا أصحاب.
ليس كثيرا أن تسلبنا الأهوال ثلاثة.
ما دمنا عدنا بالسر.
عدنا للأحباب.
عدنا منصورين.
عدنا، والأمل البسام.

الآداب ـ يوليو ١٩٧٥م

وكما يموت الناس مات!!

وكما يموت الناس مات.

لا، لم تنح أرض عليه، ولا تهاوت شامخات.

لا، لم تشيعه الطيور إلى القبور... مولولات.

وكما يموت الناس مات.

* * *

وتقول نجلاء.. «وكان.

يضفي على الدار الحنان».

وتروح تنظر والرجال.. عبراتهم متحدّرات..، والمكان.

والنعش يخترق الزقاق.

يجتاحه يأس، وكان.

* * *

وتروح تبرق من بعيد.
عينان، والهم الشديد.
ونعيب غربان هناك.
والنعش فى خطو وئيد.
عبر الأزقة والدروب.
ينساب والصمت المديد.

* * *

وتذكرت عهداً بعيد.
وحذاء شرطى عنيد.
وجحافل المتسكعين هناك فى السوق البعيد.
الزبد يأخذها بأسعار التراب.
للسيد المأمور.. «للبيه المجيد».

* * *

وتروح نجلاء تعد دريهمات
وتظل تحسب والدموع.
لو لم أبع فى السوق بالثمن الزهيد.

لو لم يكن فى الأرض أذناب الطغاة.
لشربت ما يبغى سعيد»
وتروح تبكى والهموم محدقات.

* * *

وتذكرت عهد المصحة والقطار
وذهابها فى كل أسبوع هناك.
السلة العجفاء فى يدها تنوح.
البرتقال بها وأرغفة صغار
وهناك فى جوف المصحة والرفاق
يحيا، وليل اليأس يعقبه نهار.

* * *

وتظل تنحدر السنون ولا شفاء.
والحقل يشمله إصفرار.
والنعجة البلهاء تزعق فى الفضاء.
والفأس ترقد فى انكسار.
وبهيمة شوهاء يعلوها ارتخاء.
وتظل تنحدر السنون.. ولا شفاء

* * *

لا .. لم يلح فجر، .. ومات.

ومضى كما ذهب الرفاق.

عبر الطريق بلا حياة.

لا .. لم تنح أرض عليه ولا تهاوت شامخات.

وكما يموت الناس.. مات

الرسالة الجديدة ـ أبريل ١٩٥٥

وجهان للحب

الوجه الأول.. الحب والقنابل

هذا كون لا يستحسن فيه الحب.

من يدريني؟.

قد يشتعل المقعد تحتي، وأنا أجلس في بستان.

قد تتفجر زهرة فل، تصبح قنبلة في كفي.

تصفع ذاكرتي في عنف.

قد أتناثر شلواً شلواً.

يصبح قبري حوض زهور.

يا سيدتي؛ لن نتقابل هذي الليلة.

ألغي الموعد.

لن نتقابل حتى يصبح هذا الكون العاصف كون أمان.
كون صفاء. كون حنان.
كونًا لا تتحول فيه حقول الفل.
كيما تصبح.
تصبح ماذا؟
تصبح قاعدة ذرية.

الوجه الثانى.. «الحب والسلام»

وحينما أغمضت عينيا
أستقبل الموتا
أتيتنى أنتا.

* * *

يا منقذى، من أين أقبلتا.
أنا كل ما أدريه أنك حينما جئتا
وطرقت بابى.
كنت قد أغمضت عينيا.
أستقبل الموتا
لما طرقت الباب. كنت أظنك الموتا.

تمتمت: أهلا بالخلاص أتى
مضيت لأفتح البابا
رباه!!
لا، لم تك الموتا.
هذا الصبوح الوجه، هذا المجتلى سمتا.
ويجيء صوتك، دافيء النبرات يشجب ذلك الصمتا
ـ هلا سمحت لنا؟!
ـ يشرف نورك البيتا.

* * *

ودخلت
شاع الصحو؛ ذاع العطر
أودع خطوك المغداق كل حنية نبتا
الزهر، فى الدهليز، فى الحجرات.
يطلع أينما سرتا
ورداً وريحاناً، ندى كنتا
ومكثت عندى مثلما شئتا
ورحلت عنى وقتما شئتا
يامنقذى، من أين أقبلتا
أنا كل ما أدريه أنك حينما جئتا

وطرقت بابى؛ كنت قد أغمضت عينيا
أستقبل الموتا.
فأتيتنى أنتا

مجلة الكاتب ـ يناير ١٩٧٥

يوم أن مات الأمير

ذات يوم من شتاء
ومساء
خافت الأصداء، داج
مات مولانا الأمير.
وانطفا مثل سراج
وأتى الصبح علينا
شاحب الوجه حزينا
لم يكن بالأفق شمس تتهادى
لا ، ولا طير يغنى
غير أصداء حزينة

لطيور تتباكى من بعيد

خلف غابة

تملأ الأفق عبوسا وكآبة.

وبكى البلبل فوق السنديانة

وهوت من هول ما حل وماتت أقحوانة

فالذى مات أمير.

«ياحبيب الناس، يانبع حنان، يا إله.

«أنت ياسر الحياة

«من لها بعدك، من للناس، من للبسطاء.

«من لأسراب الحيارى الضعفاء

«أترى تشرق من بعدك شمس

«أترى ينبت من بعدك غرس

«أنت ياسر الرخاء

«أنت يا أصل النماء

«أنت يا كل الرجاء

أنت يا من كنت تعطى

كان مولانا كريما

ألف دينار وبردة

كان أجراً لقصيدة

قلتها بين يديه مرة ذات مساء

«من لها بعدك، من للناس، من للفقراء

«من لأسراب الحيارى الضعفاء

وغدا سوف أصوغ

درة فى مدح مولانا الجديد

ربما كان كريماً كأبيه

ربما أترع كيسى بالنقود

وانطلقنا يا رفاق

نعبر الحارة فى خطو كسير

نحمل النعش الصغير

حارس البستان مات

فانظروا أى نصيب، أى حظ يا رفاق

أنه مات كريما يوم أن مات الأمير

يا رفاقى الطيبين

أفسحوا الدرب قليلا

بعد برهات سيمضى من هنا نعشى الأمير

نعش مولانا الأمير

وهنا سوف يسير

موكب الموت العظيم

يملأ الدرب الكبير

حاملو الأعلام، والأسياف، صف الوزراء

وبنوه الأمراء

ووفود السفراء

وجموع الكبراء

فاحجبوا النعش الحقير.

أحجبوه

ربما آلم مرآه الأمير

وهو بالنعش قرير

وهو بالنعش يسير

قصيدة رومانسية

بدا الصباح – زهرتى – بمطلع حزين

لبلبل حزين

ممزق الجناح

طعامه الأسى، شرابه الحنين

* * *

أتى لمنزلى البعيد، ذلك الحزين

البلبل الغريب

وكان ثم وردة حمراء

فى ثغره الصغير

وكان صامتا، كذلك الصباح

وكان دمه. ينساب من جناح

قد كان غائر الجراح

ولم يفه بأى لحن، ثغره الصغير

* * *

ومن خلال كوة الجدار جاء

وفوق ذلك الفراش

فراش نومة المرض

رمى إلى ما حمل

الوردة الحمراء، بسمة الأمل

وفرحة الرجاء

وفجأة شعرت بالألم

أحسست أن خنجراً يجوس فى الضلوع

فقد لمحت فى إحمرارها دمه

وسالت الدموع

* * *

ولم يقل، من أين قد أتى بها

لكننى نظرت فى إكتئابها

فأدرك الفؤاد سرها العجيب

وسر صمته الكئيب
وسر جرحه المهيب
عرفت كل شيء
فلم يزل فى قلبك الكريم لى مكان
يائرة الحنان

* * *

أومأت للجريح، أننى ممنون
وقلت فلتقل لها، لقلبها الحنون
«هذا أنا، أموت
وليس من رجاء»

* * *

يا أيها المداهم الغريب
يا أيها المحارب القذر
يا أيها الجبان
قتلتنى.. طعنتنى. سلبت كل زاد
ألقيت سهمك المسموم فى الفؤاد

* * *

البلبل الغريب عاد
من كوة الجدار مثلما قد جاء، عاد
وغاله الأفق

وغاب في شعاع المغرب الأخير
ولا غناء، لا صفير
وعندما أحسست أنه قد راح
تيقظت في داخلي جراح

مجلة العالم العربي ـ يونية ١٩٥٨م

النسر والطيور

رفقائى، ها نحن الليلة فى قصر الجبار.
تغشى أعيننا الأزنوار.
والقاعة تسبح فى الضوء.
إنتبهوا!!.
كى لا يغرب عنكم وجه الحكمة.
فيما يحدث تلك الليلة.

* * *

رفقائى: هذا شخص ما يتكلم.
إنتبهوا!!
لا يبهركم جرس اللفظ.

عما يكمن خلف اللفظ.

فاللفظ يشفّ

واللفظ يجفّ

بقدر رهافة أذن السامع.

* * *

ـ مولاى، قصصت عليك حكاية نسر.

ـ أذكر هذا، كان قويًا كالأقدار.

كان عنيفًا مثل الموت.

ـ هذا كان.

ـ كان؟ وكان قويًا يرعى أرضه.

يأبى أن ينزلها غيره.

ـ وذكرت ـ رعاك الله ـ بأن بغاث الطير.

كانت تخشاه.

أبدًا أبدًا، ما اجتاز حماه.

طيركى يألك م نثمرات الله.

إلا واغتاله

ـ ماذا عنه؟ ماذا عن ذاك النسر الأعظم.

ـ مولاى.

ـ ماذا قتل؟

ـ النسر قتل.

أصمت.

ـ مولاى، صرع.

ـ أسكت.

ـ كنت هناك من ساعات.

ألفيت الشمس تغيب وراء سحابة.

فنظرت.

ـ ماذا أبصرت؟.

ـ أبصرت زرافات الطير.

هبت من كل مكان.

أفواجًا تتبع أفواج.

وانحطت كالصاعقة النكبا.

كالعاصفة الهوجاء.

لحظات؛ ثم وجدت النسر بقايا عظم

ونثاراً من ريش مصطبغ بالدم.

ـ هذا كذب.

أن يقتل هذا النسر محال.

ما قلت الساعة نسج خيال.

ـ مولاى.. الصدق أقول

ودليلك؟

ـ آتيك بهيكل ذاك النسر.

ـ فأذا لم نفعل؟

ـ سيافك ممتثل بالباب.

ومضى المسكين ليعبر باب القاعة.

كى يحضر هيكل ذاك النسر.

مزهوا يسحب ذيل النصر.

* * *

رفقائى؛ ما زلنا فى قصر الجبار.

تغشى أعيننا الأنوار.

والقاعة تسبح فى الضوء

إنتبهوا!.

كى لا يغرب عنكم وجه الحكمة.

فيما يحدث تلك الليلة.

* * *

أومأ الجبار، إلى أربعة من فرسانه.

وانساب الهمس كفحّةِ أفعى.

ـ إنطلقوا.

إنطلقوا فى إثر المأفون

وانتظروه لدى الأسوار.

فإذا ما عاد يجر ذيل فخار.

وبقايا النسر معه.

كى يعبر أبواب مدينتنا الغراء.

بلا إبطاء.

إنقضوا، جذوا رأسه.

والقوا بالنسر بأول بئر.

تنويعات شعبية..
على معزوفة وطنية

آه، يا بلدى، يا بلدى.

والجرح بأعماقى يعوى، يا بلدى آه.

آه من شوقى، من قلبى. مما قاساه.

مشتاق أبداً والله، أبدا مشتاق.

لسعتنى نار الأشواق.

والجرح جحيم، أتقلب فى حر لظاه.

آه يا بلدى، يابلدى.

يا بلدى آه.

وقديماً قالوا: إن الشوق لظى، حراق.

* * *

آه، يابلدى، يابلدى.

والغربة تدفعنى دفعا، يابلدى آه.

أكلتنى الغربة يا ولداه.

وأنا سواح، أتنقل، أتغرب فى أرض الله.

صدرى بركان، أتلهب فى حر لظاه.

شوقى إعصار لايدرى مخلوق فى الكون مداه.

* * *

قالوا: من يرحل فسيرجع يوماً لعيون الأوطان.

يغرق فى دفء الأحضان.

يأوى لظلال الأجفان.

يتقلب فى بحر حنان.

وأنا من عهدان إجتزت الآفاق؛ حدودك يا وطنى.

يا وطنى، الأما.

وأنا حيران حيران.

أتجرع أيامى هماً.

من ذا يرجعنى لبلادى

* * *

عينى، يا عينى، من حظ القانى فى بحر الغربة.

فى سكة ريح سواحة.

تدفعنى قبضتها الصلبة.

يا مركب أيامى رفقًا، رفقًا بغريب سواح؛ ظلمته الأيام الصعبة.

عذبنى طول الطواف.

ما بين ضفاف وضفاف

والغربة أكلت مجدافى.

* * *

من ذا يرجعنى لضفافك، يا عين حبيبى العسلية.

من ذا يأخذنى لأمانك: يا صدر حبيبى؛ يا وطنى.

يا روح الأرض المصرية

أتجرع من نبع حنانك

أتشمم عطراً منبعثًا من عمق الأرض الطينية.

ياما فى نفسى أن أبقى مزروعاً فى طين بلادى.

كنخيل النيل؛ كصفصافة.

لا تسأل عن يوم حصاد.

لكن الأقدار رمتنى فى بحر الغربة؛ كالريشة.

هل طير يقرضنى ريشة.

لأطير بأجنحة النشوة.

وأحط بأحضان بلادى.

* * *

عينى؛ يا ليلى؛ ياليلى؛ يا عينى آه.

ليلى، يا عينى؛ ياعينى؛ يا ليلى آه.

أكرم من نيلك يا وطنى.

أخصب من أرضك يا وطنى.

أروع من ليلك يا وطنى، لا شىء هناك.

أعذب من صبحك يا وطنى؛

أندى من فجرك يا وطنى؛

أجمل من أفقك يا وطنى؛ لا شىء هناك.

أسطع من شمسك يا وطنى؛

أبهى من بدرك يا وطنى.

أوفر من خيرك يا وطنى، لا شىء هناك.

فلماذا تجذبنا الغربة.

لدروب الأيام الصعبة؟.

ولماذا ننأى عن وطن؛ يمنعنا **بسخاءِ** حبّه

يا حبة عينى يا وطنى.

يا أجمل شىء فى الدنيا.

١٩٧٥م

الموتى لا يبكون

عبثا ستحدق فى عينى.
لن تبصر شيئا فى عينى.
لن تلمح دمعاً فى الأحداق.
فالدمع ترسب فى الأعماق.
والموتى لا يبكون.

* * *

وتساءل إنسان؛ من أنت
من أى بقاع العالم جئت.
ونظرت إليه بنظرةِ ميت.
جمجمة خالية من روح.

وهمست: عجيب.

أو حقا لم تعرفنى بعد.

لاتفزع، إنى أنت.

أو لم تنظر فى المرآة

أو لم تنفذ خلف زجاج المرآة الأخرس.

انظر، وهناك ستعرف إنى لست غريب.

إنى منك قريب.

أقرب منك إليك.

إنى نفسك.

أو لم تعرفنى بعد.

أو لم نتقابل فى اللحد.

فى قبر الأيام الأكبر.

لاتنكر.

إنى مثلك صورة.

مانحن سوى صور شوهاء مكرورة.

أجساد خالية من روح.

كانت تحيا ذات زمان.

* * *

ذات زمان.

ذات زمان كنت أعيش.

فردا يحيا مثل الناس.

ينبض فى صدرى الإحساس.

كنت أغنى مثل البلبل.

حرا أسعى مثل الجدول.

كان العالم فيه زهور.

يغمر كل مكان نور.

كان الكل يغنى.

لا أشجان، ولا أحزان.

لا آلام، ولا أضغان.

لا أشواك ولا نيران.

وتيقظ يوماً شيطان.

عملاق ملعون أسود.

بذر الحقد بكل مكان.

نشر الشر وراح يغنى بين لهيب بين دخان.

يرقص فى فوهة بركان.

قتل الأنفس، سلب الروح.

ترك الناس بغير ضمير.

***

يا ويلى، يا ويل الناس.

ويلهمو، فقدوا الإحساس.

موتى قد أضحوا دون ضمير.

أجساداً لا تنبض فيها الروح.

صرنا غرباء.

صرنا غرباء يالله.

أكلتنا الغربة يا ولداه.

أكلتنا، هرستنا، جعلتنا أمواه.

أمواها فى بئر آسنة الأعماق.

أبداً، يا رفقائى أبداً، ما هذا عالمنا.

عالمنا مفروش بالأزهار.

عالمنا تملأه الأنوار.

وتغرد فيه الأطيار.

عالمنا تترعه الأشواق.

عالمنا يسكنه العشاق.

أبدا لا تلمح فيه النار.

كاللعنة تبرز ليل نهار.

عالمنا مزدان بالورد.

عالمنا ملآن بالحب.

عالمنا يحكمه القلب.

عالمنا حلو. حلو.

أرشدنى، إنى تهت.

حيرنى التيه بكل مكان.

يا أملى يا درب النسيان.

أرشدنى كيف أجىء اليك.

مازلت أسائل كل الناس عليك.

لو بينك يا نسيان وبينى سبعة أبحر.

لعبرت بحار الهول وجئت إليك.

لو كنت هناك بسابع أرض.

لنفذت إلى الأعماق وكنت لديك.

لو يفصل بينك يا نسيان وبينى، سبع سماوات شماء.

لركبت بساط الريح إليك.

لكنى لا أعلم أين تكون.

وأنا عاجز.
حتى الدمعة لا أملكها.
فالدمع تجمد فى الأعماق.
والموتى، لا يبكون.

* * *

وخرجت أفتش ذات صباح.
وبكفى يلمع مصباح.
مصباح يجرح ضوء الشمس.
إنى أبحث عن إنسان.
إنسان مازال يعيش به الإنسان.
وذهبت إليه بكل مكان.
انفقت على التنقيب زمان.
ورجعت ولم ألمح إنسان.
ويكفى مازال المصباح.
ويمر صباح تلو صباح
وأنا لا أعثر بالإنسان.
قتلوه جبابرة القرن العشرين.
السفاكون.
شنقوه.

ألقوا جثته، فى الطين.
إنى أبكى، أبكى موت الإنسان.

* * *

اللحن يضيع بكل لسان.
الحلم يموت على الأجفان.
والورد علاه نثار دخان.
أنسجة بالية من أكفان.
عبثا أبحث عنك.
يا نهر اللوعة أين تكون.
أمنحنى قطرة دمع. إنى أبكى لكن أين الدمع.
كم يشفى الدمع شجون الروح.
الرحمة للقلب المجروح.
لا تنشب عينك فى أحداقى.
أهبط بفضولك فى أعماقى.
لن تلمح دمعاً فى الأحداق.
فالدمع ترسب فى الأعماق.
والموتى لا يبكون.

* * *

أغنية لطائر غريب

بالأمس زار غرفتي مغرد صغير.
وحط فوق قائم السرير.
رنا إليّ رنوتين.
رمى إليّ غنوتين.
وغادر المكان.
مسافرا مع الرياح.
وغاب في الزحام مثلما أتى وراح.

* * *

كان غريبا هائما، كان غريب.
ومثلما أعيش مفردا، يحيا بلا حبيب.

أحسست ذاك من خلال نبرة النحيب.

تلك التى شاعت خلال لحتة الكئيب.

ما أتعس الغريب.

فى عالم لا يرحم الغريب.

* * *

هل يجذب الغريب للغريب شيء.

لكى يزورنى فيوقظ الجراح.

لكنه مضى وراح.

من بعد أن رنا إلىّ رنوتين.

من بعد أن رمى إلىّ غنوتين.

وغاب هائماً مع الرياح.

فى عالم يشقى به الغريب.

* * *

يا أيها الغريب.

مهما تطل مغازة الضياع يلتقى الحبيب بالحبيب.

فى آخر المطاف.

لا تبتئس.

أو تفقد الأمل.

ففى غد ستلتقى مع الأليف.

فى عشك الوريف.

مهما تطل مسافة الضياع.

مهما تمزق الشراع.

مهما تغرب الشريد فى البقاع.

وذاق لوعة الأسى وجاع.

فإنه سيلتقى بحلمه الوضىء ذات يوم.

وينعم الحبيب بالحبيب.

وعندها تضيع نبرة النحيب.

من لحنه.

من لحنه الذى لما يعد كئيب.

لأنه لما يعد غريب.

لأنه يحيا مع الحبيب.

عيون الأصدقاء

أصدقائى

ما الذى يرفع عن صدرى أطنان الضجر.

وأنا وحدى هنا.

صدئت نفسى، فمن يجلو عن الصدر سداه.

هرم القلب فمن يرجعْ للقلب صباه

أنا ظمآن إلى نظرة حب.

يا عيون الأصدقاء.

يا ينابيع صفاء.

تغسل الروح كحبات المطر.

أين ألقاك عيون الأصدقاء

وأنا أغرق فى بحر الضجر.

ها هنا وحدى وأحبابى هناك.

* * *

موطنى أنت، عيون الأصدقاء.

مرفئى أنت ومرساى الأخير.

بعد تطوافى ببحر الظلمات.

* * *

تائها مازلت فى بحر السكون.

أتلفت.

علنى أبصر نبعا.

علنى آوى إلى صدر حنون.

كل ما حولى سراب.

والطيور العائدة.

مسرعات تنشد الدفء هناك.

بين أحضان أليف يترقب.

وأنا.

ثابت الخطو مكبل.

يا عيون الأصدقاء.

أرسلى نورك فى الليل جناحا.
أحمليني.
أنقذيني من سكون الموت فى هذا العراء.
أملى أنت ولا سواه.
فخذيني.
ولتقوديني لأبواب الحياة.
أنقذيني من سكون الموت فى هذا العراء.
يا عيون الأصدقاء.

١٩٧٥م

حكاية الذى انتحر

أتعرفون قصة الذى انتحر.

ونام بعد طول سعيه، وقر.

وعانق الجراح.

فرفرت هنيهة فى حضنه الصغير.

وأعقبت سكون.

فنام واستراح.

قد تجهلون من يكون ذلك السعيد.

أما أنا فأعرفه.

لأننى أنا الذى أغرقته.

لأننى أنا الذى أنقذته.

لأننى أنا الذى كفنته.

لأننى أنا الذى دفنته.

لأنه أنا.

أنا الذى انتحر.

* * *

رأيته يسير حاملا على كتف.

شقاء ألف عام

وحزن ألف عام.

وبؤس ألف عام

وناءت الأخرى بأحلام البشر.

بفرحة الميلاد، بالسرور، بالظفر.

أكانت الأحزان تعدل الأفراح.

لو كان ذاك، ما غفا، وما استراح.

لو كان ذاك، يا رفاق، ما انتحر.

ونام واستقر.

* * *

من أى بقعة من الوجود أقبلت جموعهم.

من أى ركن أقبلوا.

لا تسألوا.

لا أعرف الجواب. أيها الرفاق.

فليس بينهم تشابه أو إتفاق.

لكنهم تجمعوا.

مليون مليون من البشر.

وجوههم تنوء بالأسى، وبالكدر.

الشاطئ الصغير ماج.

وكلهم يشير «أنقذوه».

تسمرت أقدامهم، لم يبرز البطل.

وكلهم يصيح «خلصوه».

ولم يلح من بينهم. من ينقذ الغريق.

الجبن كبل الأقدام في الرمال.

فقلت. «فلأكن أنا البطل.

ورحت أدفع الزحام، أمخر الظلال.

الناس ينظرون

الخوف في العيون

«من ذلك المجازف الجسور؟».

«من ذلك الـ...، قفزت للمياه.

وضاع آخر السؤال.

وغصت في الأعماق.

طفوت بعد برهة، وفي يدى الغريق.

وهلل الجميع، هللوا مصفقين

لكنما الوجوم حل، بعد حين

فلم يكن معى سوى غريق.

بجثة بلا رمق.

بجثة رجعت للذين يرقبون.

قتلت في أعماقهم بقية الأمل.

النور ضاع في دجى الأفق.

* * *

تحولت جموعهم، وأدبرتْ بيأسها.

وخلفتنى قابعا، بلا أحد.

شعرت لضياع.

أحسست أنى سوف أبقى مفردا إلى الأبد.

فالشاطئ الصغير ما به سواى.

وجثة تغضّنتْ

تعفنت.

وفجأة نظرت حدقت في الغريق.

يا هول ما رأيت.

بكيت يومها، بحرقة بكيت.

لكل من مضى بلا أمل.

لكل ضائع شريد.

لكل من ثوى شهيد.

شنقت يومها، على أساى.

فالجثة الشوهاء، لم تكن سواى.

زائر منتصف الليل

كنت وحدى.

أنا والصمت وأفكارى الحيارى.

أرقب الليل، وأصغى لصدى الهمسْ البعيد.

لصدى الهمس البعيد.

البعيد..البعيد

أبلع الصمت، وللصمت مذاق

أحضنن الليل، ولليل عناق.

فأذوب.. دون حس

دون همس.

غير صوت من بعيد.

من بعيد.. من بعيد.

هائمًا ما زال، في أعماق نفسي.

* * *

وانتبهت.

ما الذي أسمع؟ من؟، من تراه.

يطرق الباب وقد نام الوجود.

بين أحضان الحياة.

قمت كي أبصر من!!

من يكون الزائر الطارق والليل انتصف.

وفتحت الباب: يا للنبل!!، ما هذا الجمال

أي سحر فاض في تلك العيون

أي إشراق من الأعماق سال

يا لنبل الروح!!، يا بوركت من وجه أهل

وعلى عمري أطل

قلت: من أنت؟ فأومأ، ثم قال

صوته الحالم ينبوع من السحر الحلال.

والشحوب الساحر الأخاذ تعلوه ابتسامة.

«لست تدري من أكون؟»

قلت لا.

قال: «حقاً؟؟ فاستمع: إنى الألم.

الألم.. الألم.

يا لسحر اللفظة العذراء فى أعماق نفسى

الصدى الساحر هز الروح، فى أروع همسى

قلت، أهلا بالحبيب.

ثم أحسست ببرد فى ضلوعى

كان غيثاً مغدقاً، كان دموعى.

بالصحرائى التى أضحت رياضاً.

اللظى المحرق فى الأعماق غاضاً

وارتوى قلبى، وقد سال المطر.

والحبيب المنتظر.. لم يزل بالباب، يرنو فى سلام

وجهه الشاحب يعلوه ابتسام

وفتحت الباب، بابَ القلب، للضيف الحبيب.

قلت: فلتدخل، وفى الأعماق نم

يا حبيبى.. يا ألم

صيّاد العيُون

كان الأمير يعشق العيون.

وكان كل عام يبعث الرسل

يفتشون في البلاد.

بحثا عن العيون

عن أجمل العيون

* * *

وكان بين بعثة الأمير فارس جميل

جماله، جمال طفل

عيونه، عيون صقر

وكان ماهرًا في الاقتناص

من يرمها بسهمه، تخر لا مناص

* * *

وبعد سعيه الطويل

يعود ذلك المحارب الأصيل

الفارس الجميل.

مزودًا بصيده الثمين.

كنز من العيون

زرقاء مثل زرقة البحار.

سوداء مثل ليل غامض تحار

في كنهه العيون.

وبعضها يهيمُ في عيونه الشفق.

ويختفي أفق.

لا يعرف المحال.

أهدابها ظلال.

وكان سيد البلاد ينتشي بهذه اللآل.

لأنه يهيم بالجمال.

ويعشق العيون.

وعندما تخيم السكينة.

وتنطوى فى صمتها الرهيب ضجة المدينة

يعود ذلك المحارب الأصيل

الفارس الجميل

لقصره البعيد.

وفوق مقعد وحيد.

فى شرفة تعانق الأفق.

وتحضن الحقول.

يظل ذلك النبيل هائما.

يراقب الفضاء ساهما.

وتنطفى الحياة فى عينيه تحت وابل الدموع.

وروعة الخشوع.

ويشرد المحارب الأصيل.

الفارس الجميل.

بوجهه الحزين.

مفكرا فى صيده الثمين.

وألف صيحة تصم مسمعيه.

«يا سارق النساء.

«يا حارم الأطفال منبع الحنان.

«يا سالب الأزواج مضجع الأمان.

«يا قاتل الغرام فى جوانح العذارى، يا لعنة الزمان.

* * *

ومن خلال غبشة الأفق.

وهدأة المساء.

يطل ألف وجه شاحب حزين.

فجأة يشق ذلك السكون صوت يشبه العواء.

يمزق الفضاء.

بجرسه المثير.

«سيسقط السجان ذات يوم فى قبضة الأسير.

«وينثنى المصير ضاربا من يملك المصير».

فيصرخ «النبيل» صرختين.

وتسقط العينان دمعتين.

ويرعد النذير.

* * *

ويفزع المحارب الأصيل.

الفارس الجميل.

ويصبغ الذهول وجهه النبيل.

وتهطل الدموع.

* * *

وذات عام، يرجع المحارب الأصيل

الفارس الجميل.

وفي عيونه أسى، وفي فؤاده غرام.

وخلفه يجر صيده الثمين.

من ساحر العيون.

وبعد أن يسلم الأمير ما حمل.

يظل في سكون.

يراقب الحسان.

وقد بدت في عينه ذبالة من الإبل.

* * *

ويأمر الأمير بالرحيل.

لكنه يقف.

كسائل ذليل.

هذا المحارب الأصيل.

الفارس الجميل.

وينثنى يخاطب الأمير فى خشوع.

وفى عيونه دموع.

وخفقة تدب فى الضلوع.

«يا سيدى الأمير، لى رجاء».

«لترج ما تشاء.

«أريد هذه الصغيرة.

«هدية من سيدى الأمير.

«لفارس صغير».

وينظر الأمير صوب ما يشير.

بنظرة الخبير.

فتلتقى عيناه بالضياء

يطل من عينين، مثل سحر.

ويصمت الأمير.

وينثنى مغمغما، فى همسة ابتهال.

«ما كنت أدرى أن فى الحياة مثل هذه اللآل.

«أو ذلك الجمال».

وينظر الأمير للمحارب الأصيل.

الفارس الجميل

ويخرج الكلام، مثل سهم.

«لتنصرف».

لكنه يقف.

ويرتجف.

فيصرخ الأمير هائجا، «لتنصرف».

ويرجع المحارب الأصيل.

فى عينه انكسار.

وفرحة تموت مثل ميتة الشعاع.

فى آخر النهار.

ولم تزل ترن فى الضلوع.

مطارق النذير.

«سيسقط السجان ذات يوم فى قبضة الأسير.

«وينثنى المصير ضاربا من يملك المصير».

عندما يصبح اليأس أملا

لو أن فتاتى قالت لا، لمضيت.

غلّقت على نفسى الأبواب قليلا، ثم بكيت.

فإذا مرت بعض الأيام نسيت.

وإذا ما استعصى النسيان، تناسيت.

لكن فتاتى، ما قالتها.

يا ليت فتاتى قالت لا.

* * *

ما أجمل أن يتصارح، بعد لقاء كان؛ إثنان.

«فليسلك كل منا دربه.

دربانا مختلفان.

والعاشق منّا حقا؛ سوف تلاحقه الأحزان.

لكن الأحزان سريعا، ما يأكلها النسيان.

* * *

حين تفرقنا آخر مرة.

كانت عيناها تبتسمان.

خيل لى أن الحب يعشش فى العينين.

وا أسفاه.

هل كانت تخدعنى العينان

* * *

ما أرحم أن نلتحف بدفء اليأس

نقلق يوما.

نحزن أسبوعين.

نبرأ بمرور الأيام.

لكن ما أبشع أن نبقى مشدودين لصارية الأمل الكذاب.

تتقاذفنا أمواج لا ندرى من أى بحار السوء تجئ.

* * *

يا ليت فتاتي قالت لا.

لو قالت «لا» لمضيت.

غلقت على نفسي الأبواب **قليلا** ثم بكيت.

فإذا مرت بعض الأيام نسيت.

الحزن قدرنا

هل السرور طارئ. أم الأسى؟
والأصل فى الحياة، ضحكها أم البكاء؟.
هل يستوى العويل والغناء؟.
كما يقول من ثوى رهين محبسيه.
بلا رجاء
فرغم أن عيشنا يثرى بموجب الفرح
ورغم أن أجود الخمور تملأ القدح.
فإننى أستشعر الأسى.
أحس أن حزننا قدر.
الحزن لعنة البشر.

***

ذهبت للطبيب، قلت: **يا طبيب**.

هل للأسى دواء؟.

فأطرق الطبيب واجما، **وغاب**.

وفى متاهة الظنون راح **باحثا** عن الجواب.

وكان فى دموعه الجواب.

ذهبت للعراف، اسأل **العراف**.

هل ثم من سبيل؟

فحدق العراف برهة **فى سفره وقال**.

من بعد ما رمى الكتاب

هناك فى المجاهل **البعيدة**.

من أرض واق الواق.

بئر بلا تخوم.

من نال منها جرعة، **لا يعرف الهموم**.

لكنما.. ويصمت العراف.

سألت: ما هناك؟.

أجاب: تدفع الثمن.

فقلت: والثمن؟.

ـ أن تسلب الإحساس، **تسلب** التفكير.

* * *

ما بين حيرة الطبيب
وحكمة العراف
أحسست بالضياع
وقفت حائراً، كزورق بلا شراع
اجتاز محنة اختيار
ويبرز القرار حاسما، كسيف
الحزن لا مفر
الحزن شطنا الأخير

* * *

يا حزن، يا عزاءنا
يا حزن، يا قضاءنا.
بوركت يا أساى
يا مهلكي، ومبرئي
يا منقذى من الضياع
أحيا، بلا حس، بلا تفكير
كالبهم، لا ماض، ولا مصير.
بوركت يا أساى، يا ملاذى الأخير

الآداب ـ إبريل ١٩٦٤م

ما دمت معى...
لا شىء يهم

ما ددمت معى، لاشىء يهم

تنقلب الدنيا، تتحطّم كل الأجرام؛ وتنتثر

لا شىء يهم

تضحك أيامى، أو يعبس فى وجهى القدر

لا شىء يهم

الدنيا أنت

وجودى أنت

وغيرك أنت

لا شئ يهم

* * *

فلتصبح أيامى قيظًا يلسعنى

لا شئ يهم

أو تصبح أيامى بردًا يلفحنى

لا شيء يهم

أو فلتتجرد أيامي؛ تصبح صحراء قاحلة

لا شيء يهم

أتفيأ ظل الأهداب

تدفئنى حر الأنفاس

تتحول صحرائى روضا

ينزلنى حبك بستانا

أحيا فى قربك نشوانا

لا أسأل: ماذا فى الدنيا؟.

مادمت معى.

لاشيء يهم

١٩٧٠

عندما يبتسم الصبار!!

(١)

يبتسم الصبار فى قبورنا

والميتون يضحكون

«ماذا عن الذين يولدون؟»

(٢)

وحينما وضعت قبلة بثغرها

أحسست أننى أموت

أحسست طعم الموت فى فمى

يشيع فى دمى

صرخت ميتة

وتومئين لى؟

ملعونة وسيئة

(٣)

غرست بذرة ذات صباح

وسدتها التراب

ومر عابر؛ فقال.

«أتدفن البذور؟.

ولم أعر كلامه إلتفاتا.

ومرت الأيام..

وذات يوم عدت، أبصر النباتا،

يا هول ما رأيت

«صبارة كبيرة؟!»

واستغرق الجميع فى الضحك.

أتبصرون زارع الصبار؟»

وصحت: «يارفاق.

لا تظلموا سمو مقصدى

فلم أكن أظن أنها ستنبت الصبار

بل لم أكن أظن قبل أن للصبار بذر»

(٤)

ذات نهار مشرق؛ ذات نهار

كان هناك ينثر البذار

فلاح قريتى العجوز، كان ينثر البذار.

وعند طرف حقله سقط.

وحين حل موسم الحصاد

أبصرت ملء حقله الصبار

وفوق قبره ــ كما يقول زائروه ــ كان

هناك ألف سنبلة

تموج بالأمل

(٥)

وحين كانت زوجة الصياد فى يد المخاض

كان هناك زورق يغوص

يغيب فى الأعماق
وحين أرسل الوليد صرخة الحياة
كانت هناك جثة تلفظها المياه
وألقت الأمواج بالغريق
للشاطئ القريب
«الطفل فى مشيمته؟!
وتصرخ النساء فى ارتياع.
«أما ترين ذلك الوليد.
يستقبل الحياة.
والشيب قد غزاه؟

(٦)

نعيش رغم كل شىء
وحينما يحل وقت نومنا ننام
ويرتقى الفناء بعضنا إلى مدارج الخلود
ويعبر العدم
وبعضنا يجتاحه النسيان
كأنه ما كان
وتستمر لعبة الحياة

أحاسيس وتوقعات

(١)

(الموت حبا)

يغمرنى إحساس أنى سأموت على صدر امرأة فى ليلة صيف محمومة.

أرشف قبلتها المسمومة.

فى دفعة حب مجنونة

أسقط فى العينين غريقا

أتوقع أن يغمر نفسى أروع إحساس بالراحة

والقلب يعانق إصباحه

أتلقى الموت، بلا فزع

أهوى للقاع؛ بلا جزع.

وأغنى للموت سعيدا

(٢)

النجاة... حباً

يغمرنى إحساس أنى سأتوه بجوف الصحراء

أتلفّت حولى فى رعب

أجرى فى هيئة مجنون

أبحث عن درب مأمون

يتشعب فى عينى الدرب

تتعثر خطواتى حيرى

أسقط من هول الإعياء

يغمرنى حر الصحراء

أتوقع أن أفتح عينى

لأرى عينيك تواجهنى

الحب، الأمل، الإشعاعا

«يا منقذ من ضل وضاعا.

«من قال بأنك تتخلى عمن أودعك الأضلاعا».

(٣)

الاكتفاء.. حباً

يغمرنى إحساس أنا فى ذات صباح نتلاقى
عيناك. الجنة والنار
عين تنقذنى من غرقى
عين ترجعنى للغرق
فى ذات صباح نتلاقى
نتلاقى لنموت عناقا
ينقذنا الحب، ليقتلنا
أتوقع ألا نفترقا
أن نصبح إعصاراً قلقا
يتجمع، يتجمع حتى يتحول شيئا خلاقا
يصبح جنيا عملاقا
يمنحنا الدنيا إن شاء
يسلبنا الدنيا إن شاء
فالحب النعمة والنقمة
والحب الدمعة والبسمة
وكنوز الأرض بغير الحب تكون هباء منثورا
والأرض القفر بلمسة حب تصبح روضا وقصورا

أغنية لمستمع لم يولد بعد...

ربما كان علينا أن نغنى ألف مرة.

قبل أن نسمع مرة.

ربما كان علينا أن نعيد اللحن مرات كثيرة

قبل أن نلفت أذنا.

غير أن اليأس لا يعرف بابا للألى لم يعرفوه

الألى فى وجهه قد أوصدوه

وسأبقى أرسل اللحن مراراً

أبعث الشدو مساء؛ ونهاراً

علَّ أذنـاً شاردة

فى مساء من أماسى الشتاء الباردة
تلتقى باللحن، تكسوه حياة، ووجودا
حينما تصغى إليه
وترى فيه جديداً
تلتقى فيه بشىء لم يقله
صادح من قبل فى دنيا النغم

* * *

قال لى «وفر غناءك
«ليس فى العالم من يصغى إلى هذا النشيد
ليس فى العالم، إنسان وحيد.
«ليس فى العالم، من يسمع شدوك»
قلت حقا؛ ربما الآن، ولكن
فى المدى الآتى، البعيد
فى السنين المقبلات .
«فى القرون الآتيات.
«ربما يولد من يمنح أذنا لغنائى» .
ولهذا المنتظر.
للذى مازال فى الغيب جنينا.

لم أزل أبعث فى الكون نشيدى.

وسأبقى أرسل الشدو سنينا.

أملأ الكون غناء، ولحونا.

للفتى المهدى، مازلت أغنى.

للذى مازال فى الغيب جنينا.

للألى لم يدخلوا العالم بعد..

* * *

أيها الشاعر ردد أغنياتك

ردد الأنغام لا تعبأ بشىء

لا تقل؛ من ذا الذى يسمعنى

لا تقل: من ذا الذى يفهمنى

ذات يوم سيجىء

ربما بعد سنين.

ربما بعد قرون، وقرون.

ربما مازال فى الغيب جنين.

وسيأتى ذات يوم.

يمنح اللحن حياة، ووجودا.

حينما يصغى إليه.

ويرى فيه جديدًا.

يلتقي فيه بشيء لم يقله.

صادح من قبل، في دنيا النغم.

ربما في ذلك الوقت نكون.

في ضمير الغيب كوما من تراب.

وعظاما نخرات.

غير أني عندها أغدو من البدء وليدا.

انثني بعثا جديدا.

ومع الألحان أحيا مرة أخرى سعيدا

ثلاثية

الشك

وحين شعرت أن الشك أغلق دوننا بابا.
وأن ستائرا سوداء قد مدت أمام أشعة الأمل.
هتفت: إذن لقد ضعنا.
فقدنا كل ما أملت أن يحيا ويزدهرا.
فإن منابع الأفراح قد جفت إلى الأبد.
وتلك حدائق الأشواق لن تعطى سوى الأحزان.
لأن هناك في الأعماق، شيئا مات.
شيئاً كان.

* * *

الخيبة

غرست الورد، لم أقطف سوى الأشواك.

رجعت، وملء سلاتى، حصاد الجوع.

وحتى وردة كانت بعروة ثوبى الأوحد.

ذوت، ومضى بها الإعصار.

فوا أسفاه!.

وا أسفاه، كم نرجو، وكم نحلم

ونحيا نرقب اللحظات

لكى نهنأ بما هو آت

وتأتى لحظة نصحو.

فلا نلقى سوى الحسرات.

***

التيه

ولما طالت الغربة

تناهت حيرتى فى مهمة الأيام، قلت أعود.

لعلى أقطف الإيناس من بستان أحبابى.

لعلى أشرب الراحة فى كاسات أصحابى.

ولما أن طرقت الباب.

تهادى الصوت. من بالباب

أجبت أنا.

فعاد الصوت، لن نفتح، عد من حيث **قد** جئتا

وهأنا عدت

أشرد فى دروب الغربة العمياء، **لا خلان**

أجرر لوعتى الخرساء

أحمل حيرة الإنسان.

وجهها والمرآة المهشمة

لتهدئى، حقيبتى الممزقة.

نامى على المائدة القديمة المجرحة.

وأنت يا مرآتى الكئيبة المهشمة.

أى حطام تعكسين أى رؤيا معتمة؟

* * *

يسألنى الشرطى: أين كنت يا؟.

ما أسخف السؤال.

قد كنت عند أمه الشريفة المعززة.

نحسو معا قُهيوة المساء نتكىء على الوسائد المطرزة .

نقدته نصف الثمن.

ألم تكن معى هناك أمه المبجلة.

* * *

وحين كنت أعبر الطريق، عائدة

أجرر الخطى، تعيسة ومجهدة.

لمحت شيئا لم أكن من قبل قد لمحته.

قد اكتشفت أن ظلى استطال واستطال

حتى غدا نهرا من الصديد والدم.

وحين مر واحد من الشيوخ فوقه بصق.

أحسست بصقة الشيخ الوقور فى فمى.

تطفو على دمى

أصاب مقتلى.

وحين بال فوق ظلى الطويل كلب.

تردد العواء داخلى.

* * *

أى ملاك باسم، يلوح فى مرآتى المهشمة.

فالتأمت جراحها.

ماذا أرى؟ صبية مبرعمة.

يالجمال ثوبها، يا للنقوش الحلوة المنمنمة.

يا للعجب!!

حقيبتى الممزقة.

بلمسة من الملاك قد غدت حقيبة الكتب.

لطفلة فى عامها السادس عشر.

تبعثر الخطى على الطريق ضاحكة.

تختال كالعروس

ففى مشارف الطريق، يرقب الفتيان مقدمك.

وأنت ترقبين أعين الفتيان فى حياء

وفى المساء تركبين زورق القمر.

لأجمل الجزر

وترجعين بعد رحلة الشباب ملء عينيك الأمل.

وحينما يدق كفك الصغير باب منزلك.

يطل وجه الغول: أين كنت؟ يصفعك.

تردد السؤال عاصفا.

ياللهوان؟ إنه الشرطى عاد هاتفا.

الصوت رن فى فراغ حجرتك.

فحطم المرآة، قد غدت مهشمة

الطفلة الصغيرة المبرعمة.

تناثرت أشلاؤها، بلا أمل

الغول يذبح الملاك، والحقيبة الممزقة

تغفو على المائدة الكئيبة المجرحة

وأنت يامرآتى القديمة المهشمة

أى حطام تعكسين؟ أى رؤيا معتمة

القطار.. ذو النوافذ المغلقة..

(مهداة إلى الأستاذ الكبير توفيق الحكيم)

قد أكون الراكب المليون فى هذا القطار.

قد أكون الراكب الأوحد فيه.

غير أن القاطرة.

لم تزل تزفر أطنان الدخان.

والنهار.

يسرع الخطو، ويتلوه المساء.

ثم يأتى الليل، والليل ستار.

والقطار

لم يزل ينعب، مسعور الصفير

لم يزل يصرخ فى جوف الظلام

* * *

قال لى «العامل» من أين أتيت؟

قلت لا أدرى.

فأومأ ثم قال:

ـ وإلى أين الذهاب؟

قلت: لا أدرى

فقال:

ـ مثلما تهوى وغاب.

ضاع فى قلب زحام العربات.

والقطار

لم يزل ينعب مسعور الصفير

لم يزل يصرخ فى جوف الظلام

* * *

ألف عين.

ربما مليون عين.

ربما مليون وأكثر.

كلها تنهش فى

كلها تجتاح أعماقى البعيدة.

كلها تغتال روحى.

يا وجوها كالحات.

يا عيونا شائهات.

اخبيئى، لا تقتلينى هكذا، لا تأكلينى

عبثا تستنزفين.

دمى الطاهر، لا لن تشربيه

أنا أقوى منك، من وحشك ذى الصمت الكريه.

ألأنى واحد تنتهزين

غربتى، كى تأكلينى

ثم أمضى، دون أن يدرى أحد.

مستباح الروح، ممضوغ الكبد.

بينما هذا الضجيج.

ذلك الصادر من جوف القطار.

سوف يعلو مُخفيا آثار الجريمة.

فأضيع

دون أن يدرى أحد

والقطار.. لم يزل ينعب مسعور الصفيرْ

لم يزل يصرخ فى جوف الظلام.

لم يزل يمضى، ويمضى لا يمل.

لم يزل يعدو، ويعدو، لا يكل

والصفير.

ألف إعوالة رعب، ألف صرخة..

صيحة الأموات والأحياء والجرحى جميعا

كلها تعزف فى هذا الصفير.

غنوة الهول، ومازال القطار.

مستميتا فى المسير.

فى لظى الهول يسير.

والوجوه الكالحات.

والعيون الشائهات.

لم تزل تنهش فىّ .

لم تزل تجتاح أعماقى البعيدة.

لم تزل تغتال روحى.

والقطار

لم يزل ينعب؛ مسعور الصفير.

لم يزل يصرخ فى جوف الظلام.

* * *

ها هو العامل يأتى من بعيد

من جديد

آه، لو يسألنى نفس السؤال.

لم أعد بعد، كما كنت جريئا لا أبالى

ما الذى سوف أقول؟.

إنْ يقل: من أين؟ ماذا أقول؟.

أترى! أرمى بنفسى من خلال النافذة.

كيف هذا والنوافذ

كل أبواب القطار

مغلقات

مغلقات

مغلقات

احتضان اليأس

بعد ماذا؟

بعد ما فات الأوان.

بعد أن أسلمتنى لليأس، هذا الأفعوان.

بعد أن أسلمتنى لليأس يمتص دمائى.

قطرة من بعد قطرة.

بعد أن أسلمتنى لليأس شهرا.

فاستحال الشهر عاما، واستحال العام دهرا.

أنا لا أقبل عذراً.

أنا لا أملك أن أصفح، هل يصفح ميت.

* * *

لم جئت؟

أوتأتى بعد أن روضت أشواقى.

فنامت واسترحت.

أو تأتى بعد أن أخمدت أصوات حنينى.

فاستكانت وهدأت.

أو تأتى بعد أن لففت نفسى بين أكفان امتثالى.

وغفوت.

لم جئت؟.

عد كما كنت، فقد فات الأوان.

عد كما كنت، فما تبصر إلا بعض ميت.

الأديب ـ يونيو ١٩٦٨م

الفارس الذى أتى أخيراً

- ١ -

كل السيوف قد تثلمت.

كل الرماح قد تحطمت،

لم يبق لك.

يأيها المحارب العجوز.

غير جواد أعرج، وغير سيفك الخشب.

- ٢ -

من أجل ست الحسن والجمال.

من أجل شعرها الذى يحكى جدائل الذهب.

من أجل عينيها اللتين عشش الصفاء فيهما ونام.

وأفرخ السلام.
من أجل وجنتين حبليين بالتفاح.
من أجل ربوتين فوق صدرها عانقتا الصباح.
من أجل ست الحسن والجمال.
خرجت أمتطى العذاب، أعبر القفار، أشرب الظمأ.
قطعت عمرى الحزين باحثا، كاد الجواد ينكفئ.
ولم يلح أثر.

ـ ٣ ـ

يا رفقة الطريق معذرة.
أرهقنى التجوال.
أود أن أريح جسمى الهزيل ساعتين.
وها هنا على الطريق واحة وارفة الظلال.
معذرة إذا اضطجعت نحوها؛ ونمت فى سكون.

ـ ٤ ـ

أبصرت ست الحسن والجمال
تشيرلى: «أنا هنا يا فارسى الحبيب
«يا منقذى من أسرى الرهيب

«إلى يا مخلصى البطل».
أبصرتها فى قصرها الرهيب ذى الأعمدة الشماء
هرعت نحوها فى لهفة المحب.
وجدت حول القصر ألف غول.
قد أبرزت أنيابها الحداد.
رفعت سيفى الخشب.
بضربة صرعت نصفها، والنصف فر هاربا.
يا رفقة السبيل.
من ذا الذى أيقظنى من حلمى الجميل
من ذا الذى قد أخرج المحارب العجوز.
من عالم الأحلام.
كاد يود أن ينام.
يُرح جسمه الهزيل
ماذا أرى؟ جوادى الأعرج مات.
وسيفى المركوز فى الرمال
ياللإله! ما الذى أراه؟ يا لحكمة القدر
الورق الأخضر شاع فيه وانتشر

مارس ١٩٦٧

عند بابك

«إلى زوجي الحبيبة ذكرى لقائنا الأول»

وتركت قلبي عند بابك، لا رفيق ولا أنيس.

ودخلت متقد الشعور أصارع الشوق الحبيس.

وأنا أتمتم: لا غرام.

فالقلب عند الباب، نام.

وجلست قربي، في سكون.

ونظرت نحوي، والعيون.

فيها رجاء.

فيها نداء.

فغضضت طرفي في حياء.

وحبست شوقى من جديد.

واهتز كوب الشاى فى كفى، على ثوبى، وسال.

فخجلت من نفسى، ولاح من العيون صدى ابتهال.

ونظرت نحوى، فى فتون.

وهتفت من خلف الجفون

لا لا تبال.

لا لاتبال

ومسحت ثوبى والعيون.

عينى وعينك فى سكون.

تتعانقان.

تتفاهمان.

فغضضت طرفى فى هوان.

وحبست شوقى، من جديد.

وسرى الكلام، ولا أحب من الكلام.

وتململ الشوق المكبل، فى احتدام.

وقرأت لى شعرا قديم.

وسرحت والشعر القديم.

ورجعت من كونى السعيد.

فحبست شوقى من جديد.

وسمعت صلصلة القيود.

عبر امتدادات الحدود.

متناثرات.

متحطمات.

وبدت هناك بباطنى تنمو ورود.

وسمعت فى الأعماق ألحان السعود.

وشممت أنسام الهوى العذب الجديد.

والشوق يرتع، لا قيود.

والوجد يسأل. هل يعود؟.

وشعرت بالحب الوليد.

وبأننى أحيا هنا فى قلب روض من شبابك.

وعرفت أنى، يا حبيبة، لم أدع قلبى ببابك.

١٩٥٦م

السقوط أبداً

(١)

الوسيلة

أتعرى تحت شعاع الشمس المشرع كل صباح.

أتجرد تحت ضياء القمر البازغ كل مساء.

أتنقى من زيف الأيام.

وكما شئت، نقاء وطهارة.

آتيك اليوم، تدافعنى الأحلام.

(٢)

المراجعة

تسألني سيدتي هل أنت أخوه؟.

سيدتي، لست أخاه

إني من تعنين

ـ لكن الآخر كان نقيًا كنسيم الفجر، قويًا كضياء الشمس.

أبيًا كرياح الصيف، نديًا كشعاع النور، رضيًا كالأحلام.

ـ سيدتي، ماذا نصنع بمدافعة الأيام؟.

(٣)

الجواب

صكت في وجهي الباب، وقالت: لست المعنى فعد من حيث أتيت

رجعت أجرر أذيال الخيبة، أسحبُ خطواً يتعثر في أقبية القهر

وأسائل نفسي: من كان إذا هذا المتطهر تحت شعاع الشمس.

المنتقي تحت ضياء القمر الحالم كل مساء.

فرضاً أني سوحت قليلا بين دروب الرجس؛

عبرت سراديب الغي لأيام، ذقت مقارفة الأشياء

أولا يشفع لي أني لم أطرق بابك إلا بعد تطهر جسدي؛ من رجس الأقذاء؟

(٤)

الدرس

وإذن لا جدوى

ماذا نكسب؟ لا فائدة من الشكوى.

ماذا يجدينا أن نذرف أطنان الدمع أمام الباب الموصود؟.

لن ينبت هذا الدمع ورود.

لن يطلع إلا الصبارات المرة.

كل مياه الأنهار ستعجز عن تطهيرك من رجس السقطة.

فاحذر أن تسقط مرة.

احذر أن تسقط مرة.

١٩٧٥م

الشيخ نصر الدين

والحب .. والسلام .. والأمل

شعر : عبد المنعم عواد يوسف

١٩٧٤



الإهـــداء

إلى روح جدى ..

المرحوم الشيخ « محمد منصور »

قطرة من فيض بحره ..

عبد المنعم

لقاء فى فصل لم يولد بعد
« فى انتظار الشيخ نصر الدين »

الراحلون يرجعون ، ذات يوم ..

مهما نأت مسافة الزمان.

مهما تباعد المكان ..

والناس عند وعدهم ..

وأنت قد وعدتنى تأتى، ولم تجىء..

فيا مواعدى الذى قد أخلف الميعاد..

متى تجىء..

متى تعود للذى ما زال ينتظر...

* * *

لما أتى الخريف...

فتشت عنك بين ذابل الزهر..

فى الورق المصفر ، فى نثائر الشجر..

فى برعم يقاوم الفناء ..

تشبثًا بلمحة من الأمل..

ولم أجدك...

وها أنا ما زلت أنتظر..

لعل من أتى بدونه الخريف..

يأتى مع الشتاء

* * *

وأقبل الشتاء مرعداً وعاصفاً..

فتشت عنك بين أسود الغيوم..

فى قطرة من المطر..

تعلقت بهدب عابره..

فى رجفة الأطراف، فى تلعثم الشفاه..

فى رعدة بجسم طفل..

مكوم على الرصيف..

عار، بلا أمل..

ولم أجدك..

وها أنا مازلت أنتظر..

لعل من أتى بدونه الخريف والشتاء..

يأتى مع الربيع..

* * *

وأقبل الربيع..

واخضوضرت ذوابل المنى..

وأينع الشجر..

فتشت عنك فى الورود، فى الزهر..

فى الورق المخضر، فى الثمر..

فى عين عاشق وعاشقة..

تعانقت كفاهما، وأورق الغرام فى العيون..

فتشت عنك، فى صوادح الطيور..

فى رقصة المياه، فى الجداول المصفقة..

ولم أجدك..

وها أنا مازلت أنتظر..

لعل من أتى بدونه الخريف والشتاء والربيع..

يجىء ذات صيف..

* * *

والصيف جاء..

لما أتى فتشت عنك.. بحثت عنك فى لآلئ العرق..

تتوج الجباه.. فى ناضج الثمر..

فى السحب البيضاء..

فى زرقة السماء..

فى تألق النجوم..

فى طلعة القمر..

ولم أجدك..

وها أنا مازلت أنتظر..

لعل من أتى بدونه الخريف والشتاء والربيع..

والصيف.. دونه..

يجىء ذات، ذات ماذا؟..

لم يعد هناك ذات..

لكننى مازلت أنتظر..

لم يأفل الأمل..

لأننا حتما سنلتقى..

أجل سنلتقى..

فى خامس الفصول..

فهل ترى انتظارنا يطول؟

طواف فى كتاب الشيخ نصر الدين

(١)

الباب المفتوح

وخيمتى نصبتها، على الطريق.
فتحت بابها لعابرى السبيل.
من يدخل الباب يجد عندى الأمان.
من يدخل الباب يجد كل الحنان.
فها هنا جميع ما تريد.

* * *

وعند ركن غامض من خيمتى.
جلست أقرأ الكتاب.

كتاب شيخنا الممجد الأمين.

الشيخ نصر الدين.

هذا الذى يلوح قبره هناك.

على فم الطريق.

يتوج الطريق.

* * *

ويبدأ الكتاب.

بمطلع فريد.

يدل كل تائه شريد.

لمرفأ الأمان.

* يا قارئ الكتاب.

* بحق سره العجيب.

* أن تجعل الكتاب يرتوى فإنه يموت.

* كزهرة تموت.

* إن لم يكن من فيضه نصيب.

* لكل حائر طريد.

* لكل من يريد.

* يا روعة الكتاب.

مداده نضار.

آياته مكتوبة بخالص الذهب.

وفى رموزها تحار.

مدارك البشر.

ويَعْظُمُ العجب.

لكن من يصل لسرها العميق، لا يضل.

ويقبس الضياء من خلال حلكة الظلام.

(٢)

آيات فى الحب

* لا تخترق مسالك الندم.
* من جاز مشرع الصفاء لا يناله عدم.
* هل يجهل الطريق للحبيب غير أعمى.
* ومن يضل سكة الحبيب لا يصل.
* من جاب دربنا الوديع، فليقل سلام.
* ومن أراد أن يطوف فليودع المنام.
* لنتخذ من القلوب معبراً لعالم وضىء
* ولنطعم الزهور حبنا البرىء.
* ولنلتمس بالحب مانروم.
* وغاية المرام.

* أن يزهر الغرام.

* ويلعب الأطفال فى حدائق السلام.

(٣)

آيات فى الرحمة

* لاتغرس القتاد فى الطريق.

* فقد يدوسه صديق.

* وربما يجتازها حفاة.

* الرفق سنة الحياة.

* وليس يجنى غارس القتاد غير شوك.

* من يزرع السموم يستطيع.

* أن يزرع الربيع.

* لتترك الطيور حرة تهيم.

* بروضك الهنىء.

* وتسكن الكروم.

* وتشرب الخمور كل صبح

من ثديها الرءوم.

* والفخ مخلب كئيب.

* لجرعة من الحليب.

* ينالها معذب رضيع

* تسلسل الحياة فى الضروع
* ياحسن أن نعيش للبشر
* أن نمنح الشفاء للعليل
* أن نمنح الثراء للعديم
* والحب، لليتيم
* وأن نشيع الألم
* مقابر النسيان».

(٤)

آيات فى السعى

* لتدرأ السأم بالعمل
* لتذهب الهموم بالأمل
* ولتصبح الحياة خصبة بكدٍّ
* ومن سعى وجد»
* أن تلزم الجدار مأمل حقير
* وتشتكى
* ما أبشع الحياة للفقير
* ومن يطف يجد
* والأرض واسعة

* وبعد سعيه الدءوب عاد
* للأرض سندباد.
* وقيل جاب سائر البحار.
* وعاد أسعد البشر.
* لكنه لما يكد يعود.
* حتى مضى وراح.
* ولم تُطِلّ طلعة الصباح.
* واسعد سندباد!
* يبدد السأم بالعمل.
* ويذهب الهموم بالأمل.
* ويذرع البحار.

(٥)

تأمل

ياحسن أن تطوف فى حدائق الكتاب.

وتقطف الثمر.

وتسعد النظر.

بما يموج بين دفتيه فى صور.

كم كان طيبا رحيما ذلك الأمين.

الشيخ نصرالدين.

كم كان يعشق البشر.

(٦)

زيارة خاطفة

وفي المساء جاز باب خيمتي غريب.

تطل من خلال وجهه المهيب.

وداعة الحبيب.

وحط قبلة على الجبين.

لما رأى الكتاب.

وبث فرحة، وغاب.

أكان ذلك الغريب.

الشيخ نصرالدين نفسه

وأسعد لو يكون!

(٧)

ظمأ

ويزعمون أن ذلك الكتاب.

قد عاش ألف عام.

وتدهشون.

* وكيف لم يحقق المرام.

* فيزهر الغرام.

* ويلعب الأطفال في حدائق السلام.

* ويمنح الشفاء للعليل.

* ويمنح الثراء للعديم.

* والحب لليتيم.

لأنه ظمي

الكل عن رموزه عمي.

لم يرتو الكتاب بعد.

ولم يزل هناك شيخنا الأمين.

الشيخ نصرالدين.

في قبره البعيد.

وروحه لم تعرف القرار.

لأنها تجدد المزار.

لكل من يطالع الكتاب.

فربما يصل.

ويبزغ الأمل.

وعندها تعود.

لقبرها البعيد.

فتخبر الأمين.

الشيخ نصرالدين

بأن في الوجود حب

ورحمة وعدل

وأنه قد رفرف السلام

فعندها ينام

لأنه قد حقق المرام

مجلة الشهر ـ ١٩٥٨

* * *

ثنائيات الشيخ نصر الدين

(١)

هذا زمان الغش والمداورة..

لو شئت فيه الفوز، فاحذق حرفة المحاورة..

(٢)

هذا زمان ليس يعرف فيه إنسان أخاه..

لو قلت آه، فلن يجيبك نصف مخلوق بآه..

(٣)

هذا زمان الضحكة المصنوعة..

من الذى يضحك فيه دون أن يحجب عن صاحبه دموعه..

(٤)

هذا زمان ليس فيه من برىء..
يأثم فيه المحسن والمسىء..

(٥)

هذا زمان الموت، حدق فى عيون من ثراه..
فربما يكون ميتاً يفتعل الحياة..

(٦)

هذا زمان الموت فاحذر أن تمس من ثراه..
فربما يكون دود الأرض قد أتى على عصاه..

(٧)

الناس فى هذا الزمان يسلكون دربهم، بغيرفكر..
هذا زمان يسكر الإنسان فيه دون خمر.

(٨)

خمرة ذلك الزمان تجلب الدوار..
لا نشوة فيها، ما بها سوى الخمار.

(٩)

يفوز فى هذا الزمان من رأى، وقال: لا أرى..

الويل للصريح، والنجاة للذى رأى وأنكرا..

(١٠)

يا ويلنا من زمن يصير فيه الحق باطلاً..

وا خيبة الشجاع فى زمان يخذل الجسور والمقاتلا..

(١١)

ماذا نقول حينما تختلط الأمور.

ويعجز الإنسان أن يميز بين الطيبات والشرور.

طوبى لصانعي السلام

«الشيخ نصر الدين يلتمس السلام»

لمحته يسير في المساء..
بسمته المهيب..
ونظرتاه مدتا ضياء..
ومن ورائه ينور الصليب

* * *

وحيث سار غنت الطيور..
وطأطأت ذوائب الشجر..
وشاع صوته العميق..
كأنه نغم..

* المجد للإله فى السماء..

* والأرض للذين يعشقون..

* وينثرون الحب حيث يخطرون..

طوبى لصانعى السلام..

* المجد للإله فى السماء..

* والنصر للبشر..

* ما أجمل الحياة، فى حمى السلام..

* وأعين الرجال والنساء..

* تشع بالغرام..

* * *

* المجد للإله فى السماء..

* والفرح للأطفال فى الحياة..

* ما أروع الصغار حين يلعبون..

كأنهم أرانب صغيرة..

* عيونها تشع بالصفاء..

* وتقرض الأعشاب فى هناء..

* الأبيض الصغير..

* والأسود الجميل قرب بعض..

* ما ثم من فروق..

* * *

* المجد للإله فى السماء..

* والنور للجميع فى الوجود..

* لا تشعلوا الوقود..

* إلا لكيما تنضجوا الطعام..

* وتصنعوا الكساء..

* إلا لكيما تنشروا الضياء..

* ولتصبح الحياة جنة البشر..

* * *

* المجد للإله فى السماء...

* والفوز للذين يصنعون..

* الحب والسلام..

* والأمن والرخاء..

* ليولد الرجاء..

* فى الأرض من جديد.

* * *

وغاب فى الشعاع.

كأنه ما كان..

ولم يزل على الأفق..

ينور الصليب..

يعانق الوجود، فى حنان.

* * *

لمحته يسير..

ومنذ أن لمحته، لم أعرف الرقاد

ومثلما قد هزنى مرآه..

وأنعشتنى نبرة الحنان فى كلامه.

قد أفزعتنى دمعة كئيبة..

فاضت بها عيناه

وكان يبدو أنه حزين

وأن قلبه طعين

وكان ثم بقعة حمراء

تزين الرداء

وتبعث الحياة فى المساء

برغم كل شيء

الناس فى المساء يرقصون

ويمرح الأطفال فى صفاء
لكن فى العيون
ورغم ليلة الميلاد والأضواء
يلوح طيف حزن
ولم يزل بسمته المهيب
يرن صوته العميق
كأنه نغم
* المجد للإله فى السماء.
* والأرض للذين يعشقون
* وينثرون الحب حيث يخطرون
*طوبى لصانعى السلام..

أيها الميتون!.. هبوا!!

«من وصايا الشيخ نصرالدين»

لاتلعقوا الصدأ.

تنفسوا، المصباح أن لم ينشق الهواء **ينطفئ**..

ومن يعش يشاهد الكثير، والذى يمشى **يعانق** الملأ.

من لازم الجدار، ضاع، مال وانكفأ.

يموت لا ذكر ولا نبأ.

* * *

الهاربون من شعاع الشمس فى البيوت **قاعدون**.

بجانب الجدار، صامتون، هامدون.

يتمتمون.

والرعب فى العيون.

تثار ضوء من خلال **بابهم** يلوح، يجرح الظنون.

فينظرون.

يحاولون يصرخون.

* الضوء، هذا المارد **الجرىء** يسمل العيون.

سُدًى تحاول الفرار **ثم يسقطون.**

* * *

لا تلزموا الجدار، **عانقوا الحياة** أيها المضيعون.

الموت حيث تقبعون.

البعث حيث تخرجون.

الضوء يغمر الوجود، **كيف تقعدون.**

تلفكم ستائر الدجون.

* * *

سُدًى نبعثر النداء، **انهضوا، أميتون.**

بل أنكم لا تسمعون.

أقسمت أنكم لميتون.

ستمكثون هكذا، **ستمكثون.**

يا لاعقى الصدأ، يا **ميتون.**

* * *

ورحت أعبر الحياة سابحا فى بحرها الكبير.

بزورق صغير.

مجدافه الكسير لا يكاد يدفع المياه، غير أننى أسير.

محركا مجدافى الكسير.

والنوء والإعصار والرياح والنذير.

أحس أننى كبير.

برغم أن زورقى صغير.

أعانق الحياة فى حبور.

وأعشق الفراش والزهور

أحب ضوء الشمس، يبعث السرور.

بقلبى الوديع، قلبى الذى يفيض نور.

ويكره الجحور.

ويمقت الذين يقبعون فى الحجور.

وأبعث النشيد كالصباح يستثير..

دوافع الحياة بالرجاء بالبشير.

يا زورقى الصغير، يا ملاذى الأخير.

ألا انطلق فى العالم الكبير.

لا ترهب الصراع والمصير.

فالموت فى الصباح، فى احتضان أفقك المنير.

أشهى من الحياة فى الحجور.
تذوب مثل قطرة فى واحد من البحور.
لا تعرف الفناء حية على المدى، من العالم الكبير.
فى ديمة، فى قطر الندى، لدى البكور.
والميتون فى جوانب الحجور.
يشيدون فى طريق الشمس سداً شامخا من الصخور.
لا يرغبون أن يهل نور.
فيهتك الدجى، ويكشف الذى وراء هذه الستور.
ويعرف الجميع أن هذه الحجور لم تكن سوى قبور.

مجلة الشهر فبراير ١٩٦١

عود إلى كتاب الشيخ نصر الدين

(١)

تذكرة

بالأمس زارنى الأمين «نصر الدين»..

بسمته الجليل..

وقال لى «نسيت!!»..

فقلت.. سيدى الجليل، ما نسيت..

* وإن أكن نسيت..
* فإننى إنسان..
* والناس من طباعها النسيان..
* لكننى، وحق سرك العجيب..

* وحق علمك الخصيب..
* وحق كشفك الكريم لى الحجب..
* فلم يعد ما بيننا حجاب.
* وحق نورك الشفيف، والكتاب..
* يا سيدى الأمين ما نسيت..
* فلم تزل معى..
* تنير أضلعى..
* وتملأ الحياة بالأمل..

(٢)

دعوة إلى الطواف!!

سنبدأ الطواف..
سنبدأ الطواف يا رفاق..
فمن يحب أن يطوف، فليجىء..
شعارنا يأيها الرفاق: كلمتان..
* الحب، والسماح..

(٣)

ترنيمة المريدين!!

يا شيخنا، يا شيخنا الجليل..
يا شيخنا، يا شيخنا المجيد..

نعود للطواف، راغبين..

نعود للطواف من جديد..

فلنفتح الأبواب للحجيج..

لتدخل النفوس والقلوب..

فنحن يا مجيد عائدون..

نئن تحت وطأة الذنوب..

يا شيخنا، يا شيخنا الحبيب..

بنوك عائدون للطواف..

ولهفة المريد، ما تزال..

تمس من قلوبنا الشفاف..

فنحن ظامئون، ظامئون..

وأنت، أنت خمرة المريد..

نعود للطواف راغبين..

نعود للطواف من جديد..

(٤)

صفحة فى السماح!!

الطيبون فى الورى قليل..

طوبى لعاشقى السماح..

الله للذى لم يطو قلبه على ضغينة..

فعششت في نفسه السكينة..

وأفرخت حمائم الأمان..

أن تعتدى على المسيء ليس صعبا..

الصعب أن تحبه، وتصفحا..

وترتقى السماح سلماً، إلى عواطف البشر..

كيما تعيش وسط واحة السكينة..

وحولك القلوب، كالأزاهر..

أريجها مشاعر..

ونفحها صداقة وحب..

وليس مثل العفو مدخل إلى النفوس..

ما أجمل السماح..

العفو يبرئ الجراح.

ويفتح القلوب عالماً على مدى ماحده حدود.

* * *

من أجل هذا الشيء، فلنصح..

لا تذبحوا الأمل..

وليصبح السلام نامياً، ومزدهر..

من أجل سائر البشر..

تبت يد الألى يُقتّلون، يذبحون، يسرقون رغبة الحياة..
من أعين الأطفال..

* * *

من أجل نظرتين..
فى عينى عاشق، وعاشقة..
تحدقان، ترنوان للبعيد..
لعالم سعيد..
يلهو به الأطفال هانئين..
من أجل أن يظل الزهر يانعا..
من أجل أن تدوم خضرة الزروع..
من أجل أن تردد البلابل الغناء..
صونوا حمى السلام..
الله للألى يرقرقون فى الوجود نوره..
الله للذين يزرعون حولنا زهوره..

(٥)

صفحة فى السلام!!

هناك شيء كامن فى أعين الأطفال..
يود أن يعيش، أن ينمو، ويزدهر..
لنجعل اسمه الأمل..

لنجعل اسمه إرادة الحياة..

والويل للذين يضرمون جمرة الحروب..

ويغرسون الرعب فى القلوب..

(٦)

صفحة فى الوفاء!!

نريق ماء قلبنا، بلا ثمن..

لو لم نجد جزاء بذلنا الوفاء..

والغدر مخلب ينوش صدرنا، فنرتمى بلا عزاء..

وا ضيعة الحياة..

لو كان بعد خوضنا موارد الهلاك..

لو كان بعد دوسنا القتاد واللهب..

لو كان بعد شربنا ثمالة الألم..

من أجل من تحب..

لو كان بعد كل ما بذلناه، بلا انتظار ربح..

الغدر كسبنا الوحيد..

وا قسوة الوجود..

* * *

ليصبح الوفاء سنة البشر..

ما أبشع الخيانة..

والغدر سبة البشر..

وتنثنى الطيور عائدة..

لإلفها الذى هناك، ينتظر..

والغدر سبة البشر..

وتعبر الجبال والبحار..

وترتقى الضباب والغمام..

وتلتقى مع الهلاك ألف مرة..

لكنها لا تنثنى..

وفى صراعها مع الرياح.

تنوء بالجراح..

ويلتوى الجناح.

لكنها، تظل صامدة.

فبعد رحلة العذاب والضياع:

هناك إلفها الوحيد

فى الموطن البعيد.

والطير من خلاله الوفاء

والغدر سبة البشر.

وعندما نريق عمرنا، حياتنا، من أجل من نحب..

فنحن لا نود مكسباً، ولا جزاء..

لكن فقط نود أن نجوز معبر الندم..
حين نحس أن تضحياتنا كانت بلا هدف..
حين نحس أن بذلنا قد أعقب النكران..

(٧)
فى ازدهار الكلمات

يقول شيخنا الجليل «نصرالدين»..
ما أضيع الكلام..
لو ظل جاثمًا على الورق..
بلا حياة.
ويخصب الكلام بالعمل..
يخضر، يزدهى، ينوء بالثمر.
كلامنا بذور..
وفى السماء ريها، سمادها العمل..
فحولوا كلامنا إلى عمل..
يخضوضر الأمل..

المجلة أغسطس ١٩٦٤

من كلمات الشيخ نصر الدين

عن النصر والأمل

يقول الشيخ نصرالدين:

* صلوا دائما للنصر.
* يعود النصر ممتطيا جواد الفجر.
* يحمل راية الأمل.
* وتصدح غنوة الأفراح فى المقل.

يقول الشيخ نصرالدين:

* لا تستسلموا للعار.
* هبوا من كهوف اليأس، واغتسلوا بضوء الشمس .
* غنوا غنوة الأمل الربيعية.

** تغرد فى نفوس الناس أحلام.

* تزغرد فى القلوب أحب أمنية.

يقول الشيخ نصرالدين:

* لا تصغوا لصوت البوم.

* لا تصغوا إلى الغربان.

* فالآمال تكشف عن نضارتها.

* غدا تسم الآمال.

* بزهر فى النفوس الحب والأمل.

* فلا تصغوا لصوت البوم.

* لا تصغوا إلى الغربان.

* من أعماق بئر اليأس تنشلوا.

يقول الشيخ نصرالدين:

* ويومًا ما، سينقشع الضباب.

* يطل وجه الصحو، تشرق فى حدائقنا الشموس الزهر

* حبلى بالسنا الألاق، بالأفراح، بالآمال والبهجة.

* ويوما ما، سيبزغ من خلال غيومنا السوداء.

* رغم الليل والظلمة.

* بدر ليس يشبه نوره نور.

* يرفرف ضوءه عطرا.

* يبث الفرح والبشرا

* ويوماً ما، سينبثق الربيع هنا.

* يبدد كل هذا الجدب يملأ أرضنا خصبا.

*ويزرع حقلنا حبا.

يقول الشيخ نصرالدين:

* أنبئكم عن البدر الذى حملت به الأيام.

* أنبئكم عن الشمس التى ستزيح كل ظلام.

* أنبئكم عن الزهر الذى نبتت براعمه بقلب الصخر.

يقول الشيخ نصرالدين:

* أحدثكم بأن الليل مهما طال يأتى بعده صبح.

* وأن البرعم الراقد فى أعماق هذا الطين.

* يبرح قبره، من نومه يصحو.

يقول الشيخ نصرالدين:

* لا ليل بلا صبح.

* ولا غيم بلا شمس.

* ولا محل بغير غطاء.

* ولا داء بغير شفاء.

* فلا تتعجلوا الأقدار، كل فى مواسمه.

اللقاء الثالث مع الشيخ نصر الدين

(١)

دعابة!!

سألت سيدى:

ـ هل منتهى الحياة مبتداها؟

أجابنى..

ـ بل مبتدى الحياة منتهاها.

ضحكت، وفى الضلوع تورق الجراح.

فلم أكن أعلم أن سيدى.

يجيد صنعة المزاح.

* * *

(٢)

حكمة

سألت سيدى:

ـ أما لديك حكمة جديدة؟

أجابنى.

ـ وحكمة العام الذى مضى، ألم تكن جديدة؟.

أجبته..

كانت. كذاك يومها.

لكن عاما ينقضى يخلق منا ماقشب.

أجابنى..

قديم يومنا، جديد أمس.

ولا تضيع جدة الكلام.. لمحت نجمة تمزق الظلام.

هتفت: شكراً سيدى المجيد.

فقد أجبتنى لما أريد.

(٣)

رأى!!

سألت سيدى:

ـ أما بلوت حرقة الغرام؟

أجابنى..

ـ وهل وجدتنى أغط فى لفائف الكفن؟

سألته:

وما علاقة الغرام بالحياة؟

أجابنى: وفوق ثغره يرف برعم ابتسامة.

علاقة الحياة بالغرام.

(٤)

نصيحة

سألته:

ـ ما قول سيدى المجيد، فى واحد من العدا.

يهزمنى ببغضه، بكل ثورة الحسد.

فكيف أهزمه؟

أجابنى: وقد علت جبينه ،سحابة من الأسى.

ـ بالحب تهزمه.

(٥)

سر!!

سألت سيدى:

ـ ما سر بسمة بثغرك الوضىء لا تريم.

أجابنى:

– ما يملأ الفؤاد من هموم.

سألته:

– هل يعرف الهموم من يود أن يخلص الوجود من أساه.

أجابنى..

وهل ترى تبددت كآبة الحياة؟.

لما عرفت سره بكيت.

(٦)

عمل!!

سألته:

ما قول سيدى.

قد ضاع منى الكثير.

والعمر ينقضى كما تمر غيمة بصيف.

ولا أحس أننى صنعت شيئاً مجديا.

فى كل ما مضى من السنين

أجابنى..

ألست تستطيع غرس غصن ياسمين؟.

سألت: غصن ياسمين؟

أجابنى: تكون قد صنعت فى حياتك الكثير.

(٧)

عجيبة!!

سألت مرة:

ـ يا سيدى المجيد.

أليس من عجائب الزمان.

أن يموت بعضنا من ندرة الطعام؟

أجابنى..

ـ بل من عجائب الزمان.

أن يموت بعضنا من وفرة الطعام.

لمحت بازيا ينقض فى ضراوة القدر.

على خيال بلبل صغير.

وحينما أبصرته، بين المخالب الحداد يحتضر

أدركت ما عناه شيخنا الكبير

(٨)

ورقة دواء!

سألته:

ـ يا سيدى الجليل

ما القول فى عليل

أعجزني شفاؤه

قد مرت السنون، مابرئ؟

أجابني:

ـ لا بأس أن يصاب جسمنا

ما دامت الروح بخير

هتفت:

ـ سيدى، عليلنا لا يشتكى من علة الجسد.

فاربد وجه شيخنا وقد علت جبينه سحابة من القلق

وكان ثم غيمة سوداء تعبر الأفق

وقال لى

ـ يرحمه الإله..

(٩)

دمعة على الطريق!

يا شيخ نصرالدين، دربنا طويل

ـ نقطعه بصبرنا الطويل

ـ يا شيخ نصر الدين، عبئنا ثقيل

ـ نرفعه بعزمنا الحمول، وليس فى الحياة مستحيل.

ـ يا شيخ نصر الدين، زادنا قليل

ـ أفضل من أن نسأل البخيل، نجوع دون لقمة البخيل

ـ يا شيخ نصر الدين، عمرنا قصير

ـ أدعى لأن نحقق الكثير

ـ يا شيخ نصر الدين حظنا ضرير

ـ لكنما زماننا بصير

ـ يا شيخ نصر الدين، نجهل المصير.

ـ لكننا لا نجهل المسير

مايو ٦٥

قطرات من الفرح

سياحة للشيخ نصر الدين

خرجت فى هذا الصباح، أزمع الفرح.
أملأ من بشاشة الوجود فارغ القدح
فلتذهب الهموم للشيطان

* * *

وفى الضحى، وجدته يبكى، بلا عزاء
سألته، وقد همت بداخلى منابع الرثاء
ـ ماذا ترى يبكيك يا صغيرى العزيز
أجابنى: أريد خصلة من شعر هذه العزوس
نظرت حيثما أشار

وجدتها تغوص فى الغلائل البيضاء
جميلة، يا أنت، يا عروسة الضياء
ـ يا بهجة السماء
وكان ثم حقل حنطة.
نزعت حزمة من السنابل الصفراء.
وقلت. خذ، يا أجمل الأطفال.
جديلة من شعر من تحب

* * *

وحينما تضرمت حدائق اللهب.
وانتصب النهار واقفا، كمارد من نار.
وابتسمت عرائس القيلولة.
كان هناك واقفًا برأس حقله الشحيب.
يستعطف الشادوف، عله يجود..
بقطرة من المياه..
تعيد نضرة الحياة..
لحقله الجديبْ..
الله للشيخ العجوز..
قدكان ما يسيل من جبينه من العرق..
أغزر مما ينزف الشادوف من دماه..

هتفت: خل عنك يا أبى..

شمرت ساعدى..

نفثت فى الشادوف نفحة الشباب.

فانبعثت مياهه، كأنها المطر.

وابتسم العجوز عن فم قد غاب ساكنوه..

ـ الله للشباب!!

وانطلق النماء ضاحكا، عن ثغره الوضىء..

واهتزت العيدان راقصة..

ـ إلى اللقاء سيدى..

ـ سلمت للرخاء يا بنى..

***

وأقبل المساء..

وكان ليلا أسودا، بلا نجوم..

أحسست أنه يود أن يريق كل ما جمعته..

فى كأسى الصغير..

من غامر الفرح..

وتحت ظل باهت لضوء..

ينزفه، بلا حماس، واحد من هذه المصابيح المبعثرة..

كانت هناك تنتظر..

تعرض ثديها للبيع..

بأبخس الأثمان..

وفى عيونها، تجمد النداء..

وضعت فى يمينها كل الذى كان معى من النقود..

وعدت فى سكون..

الطائر السعيد عاد..

يشدو بلا شجن..

فؤاده، خال من الحزن.

فلتذهب الهموم للشيطان!!!

المجلة ـ فبراير ٦٧

من خماسيات الشيخ نصر الدين

(١)

الليل يعرينا، حتى آخر ثوب.

لكن بطولتنا أن نبقى رغم العرى الفاضح مستورين.

نهتف فى وجه الآتين فخورين.

ليس الماجد من يستره الثوب المجدول من الصوف.

إن الماجد من يستره الثوب الشفاف.

(٢)

أن تطعننى هذا شأنك.

تشرب منى، حتى آخر قطرة دم، هذا جائز.

لكن غير الجائز والمعقول.

هو أن تخفى عنى الخنجر.

خلف ستار البسمة والأحضان.

(٣)

فى زمن، كزمانى هذا، يكثر فيه الدجالون.

يلبس فيه اللص ثياب القاضى.

يسرق فيه الفاسق ثوب الواعظ.

من ذا يأخذ عمرى كله.

كى يرشدنى: أين الحق وأين الباطل؟.

(٤)

انظر. هذا طفل أشيب.

لا تتعجب.

فى زمن يتضح بالهول.

مثل زمانك هذا، يصبح ما يدهشنا حقا.

هو أن يبقى دون مشيب طفل أوحد.

(٥)

لما خفضوا الصوت، تباهرت الأنفاس.
لايفزعني، مثل الصوت الهامس.
قد يكمن في جحر الصوت الهامس أفعى.
وتكون الكلمات نيوبا، تنفث سما.
تنفثه في صلب الحق.

(٦)

في زمن، أمهر من فيه القردة والبلاب.
تشمخ فيه شجيرات العليق.
نفض كتفك.
من يدرينا؟ علّ هناك على كتفيك.
يتسلق إنسان ما..

الآداب يونيو ١٩٦٨

عناق الشمس

١٩٦٦

الإهداء

من وحى عينيك اللتين تفجّران لنا الضياءْ

من وحى ثَغْرك وابتسامته التى توحى الصفاءْ

أَشدو بشعرى يا منى عمرى وآمالى الوضاءْ

وأبوح بالنغم الشفيف وبالنشيد وبالغناءْ

وأحسه وحى السماء، وإنه وحى السماءْ

شعر سرى من ذوب روحك أنت..

ياولدى علاءْ

تقديم

بقلم الشاعر صالح جودت
(العضو بلجنة الشعر بالمجلس)

تلفتُّ للشاعر صاحب هذا الديوان لأول مرة حينما وقعت عيناى على قصيدة اشترك بها فى مسابقة من مسابقات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، منذ سنوات قريبة.

كان عنوان القصيدة «الأطفال والذرة» وهو عنوان خليق بأن يلفت الوجه ويجتذب الاهتمام وقرأتها وحدى مرة ومرتين ثم أحببت أن أقرأها على زملائى المشتركين فى التحكيم من أعضاء لجنة الشعر وقلت، لهم: قد يكون فى صياغتها ما لايصل إلى ذروةعالية أما فكرتها فلاشك فى أنها من اللفتات العالية فى التفكير الشعرى الإنسانى المعاصر.

وكان أستاذنا العقاد ـ رحمه الله ـ يرأس الجلسة فقال بعد أن سمع القصيدة كلمة طيبة، لا أذكر نصها وإن كنت أذكر أنها فسحت للقصيدة مكاناً حفياً بين القصائد الفائزة فى تلك المسابقة.

من حسن الحظ أن هذه القصيدة **واردة** ضمن قصائد هذا الديوان وهى تروى قصة الشاعر مع زوجه التى **تنتظر** حادثاً سعيداً في خلوة حالمة يتخيران للوليد القادم اسماً محبباً **ومهنة مفضلة** وإذا فكرة طارئة قاتمة تهبط على خيال الزوجة فتفسد عليها **أحلامها**.

إن للإشعاع الذرى أثراً على الجنين **فى** بطن أمه قد يخرجه إلى الوجود مسخاً مشوها.

لماذا يقسو العلم كل هذه القسوة **على** أحلام الآباء ويجنى كل هذه الجناية على حياة الأبناء؟

وهنا... يتلفت الشاعر إلى **الإنسانية** جمعاء ويناشدها الرفق بأولئك وهؤلاء..

وباسم الله والأمـجـاد **والأخـلاق** والدين
وباسم حدائق الليـمـ**ون** والزيتـون والتـين
أغيثـوا من لظى الذرّة **آلاف** المسـاكين
وباسمك زوجتى الحسناء باسم وليدك القادم
وباسم غـرامنا الخـلاق **باسم** ربيـعنا الدائم
أدعـو الله من قلبى **لردع المـجـرم** الآثم
ليجعل كوننا المجنون **فردوس** المنى الباسم

لقد كان العنصر الإنسانى دائماً **من القيم** الكبيرة فى تقييم الشعر وقد تجلت هذه الحقيقة فى عصرنا هذا **أكثر** مما تجلت فى أى عصر غابر

إلى حد. أصبحنا لاننظر إلى الشاعر على أنه شاعر حق إلا إذا أحسسنا فى أعماق شعره وفرة العنصر الإنسانى وهو الشىء الذى نظفر به فى كثير من قصائد هذا الديوان كاستهلاله لقصيدة «أنشودة السلام» بقوله:

بسحر عينيك يا حبيب بثغرك الباسم الرطيب

بنشوة الوجد فى المآقى ببهجة الحب فى القلوب

لن يهدموا السلم ياحياتى

لن ينشروا الهول فى الدروب

وسوف يحمى حماك سيفى

لو أشعلوا جمرة الحروب

وفى حنان أمد كفى

مصافحاً سائر الشعوب

وسوف أمضى مع الأنام مردداً نغمة السلام

* * *

على أنَّ هذه النزعة الإنسانية فى هذا الشاعر لم تجرفه بعيداً عن وطنه ووطنيته وقومه وقوميته وهذا هو الأصل فى التفكير الإنسانى السليم لأن الإنسان لا يستطيع أنْ يحب وطنه الكبير ـ وهو العالم بأسره ـ إلا إذا كان هذا الحب مستمداً فى أوله من حبه لأوطانه الصغرى: قريته.. ثم دولته.. ثم قوميته.

وشاعرنا هذا نشأ فى ظل القرية ولمس آلامها واستطاع أن يحسن الترجمة عنها فى أكثر من قصيدة منشورة فى هذا الديوان. تصور حياة

الفلاح فى هجير الإقطاع ثم حياته فى ظل الثورة، فهو - منذ ما قبل الثورة - يصرخ فى وجه إقطاعى قريته قائلا:

أجل إنه قصركم يا طغاة.. يشارف أكواخنا البائسة
يطل علينا بوجه غريب.. تكشف عن سحنة عابسة
فيا مرتع الفجور.. يا ابن الظلام.. أناديك فى هتفة يائسة
غداً سوف تجرفك العاصفات.. وتذرو أزاهيرك اليابسةْ

ثم هو بعد ذلك مصرى ملتهب المصرية يرى عدوان الاستعمار على وطنه أجيالاً طويلة يبلغ ذروته فى معركة بور سعيد الخالدة فيجعل للمدينة البطلة قسط الأسد من شعره، منها هذه الأبيات:

بلادنا بلادنا الجميلة
بلادنا فينانة الخميلة
قد فتحت عيونها الكليلة
من بعد تلك الغفوة الطويلة
وودعت حياتها الذليلة

ومنها فى تحية بور سعيد هذه الأبيات:

مدينة اللهيب والضياء
مدينة الحياة والنماء
والحب والسلام والرخاء
يانغمة الكفاح والدماء

ياصـيـحـة الجـهـاد والإباء
ياصـرخـة تنسـاب فى مـضـاء
تحـمل فى طيـاتهـا العـداء
والمـقت والدمـارَ والفناء
لحـفنة من أحـقـر الشـعـوب
تدل بالخـراب والحـروب
وتضـمـر السـمـوم فى الجنوب
لشـعـبنا المـقـدس الحـبـيب

* * *

ثم هو بعد ذلك عربى أصيل ينزل الفكرة الوحدية منزلة الإيمان وتهزه أحداث فلسطين والجزائر فيغنى لها جميعاً فى نفس حلو قائلاً:

باسم ركب عربى الزحف... دفاق المشاعر
باسم إطلالة فجر يتحدى الليل ثائر
باسم مليون شهيد عانقوا ترب الجزائر
اطلعوا الصبح شذيا يتغنى بالبشائر
باسمهم ارفع صوتا عربى الروح فائر

* * *

وأخيراً أقف عند آخر ديوانه، عند تلك الملحمة التى صاغ فيها باباً كاملاً من أبواب الميثاق شعراً تبين فيه جميع خصائص شعر هذا الشاعر من موسيقية ووطنية وإنسانية، وإذا كان ينقصها اليوم شىء فهو أنضج ما يكون فى غد قريب.

صالح جودت

الأطفال والذرة*

وألقتْ رأسَها النشوانَ، في مرحٍ على كتفي
وراحت ثمَّ ترقبني
بطرفِ العاشقِ الدنفِ
وملءُ عيونِها نبعٌ
من الأشواقِ والشغفِ
وباح الثغرُ عن لحنٍ
من الأفراحِ موتلفِ

* * *

* الجائزة الأولى بمهرجان الشعر بدمشق: عام ١٩٦٠.

وَرحتُ أُقَبِّلُ الآمـا

لَ في إشراقةِ الثَّغْرِ

وذاك الخافقُ النَّشوا

نُ كالعصفور في صدري

وكفِّي زورقٌ حيرا

نٌ، بين تموُّجِ الشَّعْرِ

وكانت لحظةٌ بالعمر

أو تربى على العُمُرِ

* * *

وفاض اللحن منسجمًا

نظيمَ الدرِّ، من فيها

وقد راحتْ تحدثني

بشوقٍ عن أمانيها

وتحكي عن منى غدها

ذُرا الأحلام... تُعليها

وفي أعماق أعماقي

فؤادٌ راح يطربها

* * *

وراحت زوجـــــتي تـحكـي
بصـــوتٍ فـــاتن خـــاشعْ
تـحـــــدثني عن الطفـل الـــ
ـذي في شـــهـــره الســـابعْ
وكــيف تحــسُّه شـــيـــئًا
جـــمـــيـــلاً ســـاحـــرًا رائعْ
وكـيف ســيـبـــهـــرُ الدنيـــا
بضـــافي نورهِ الســـــاطعْ

* * *

سنلبـــســـه فـــســـاتينا
قـــشـــيـــبـــات طريّاتِ
وســـوف نحـــوطه بالحبِّ
في أهـنـا الأُويـقـــــــاتِ
نهـــــدهده بألحـــانٍ
بديعـــاتٍ شـــجـــيـــات
ســيـــصـــبح نور حـــاضـــرِنا
وبهـــجـــة عـــمـــرِنا الآتي

* * *

ولكن يا منى عمرى

تُرى ماذا نسميه؟

وتأخذ زوجتى تستعـ

ـرض الأسماءَ فى تيه

فهذا الاسم يعجبُها

وذلك ليس تبغيهِ

وما زال لوليد البكـ

ـر غيباً ليس ندريهِ

* * *

وتسأل زوجتى: إذا

ترى ستكون مهنته

أجراحاً نطاسياً

تهز الأرضَ شهرتهُ

أيصبح ضابطاً بطلاً

تروق العين هيئتُه

يلبى دعوة الأوطا

ن، لو تدعوه أُمتُه

* * *

وبينا نحن في مــــــــرحٍ

نبثُّ الكون ألحــــــــانًا

رأيت على مــلامــحــهــا

شــــروداً مــــوحــــشاً رانا

وألــقــى ظــلــه الــمــنــكــو

د فــــــوق الوجـــــه ألوانا

ولاذت زوجــــتي بالصـــمتِ

إطراقـــــــا وإذعـــــــانا

* * *

فــقلتُ لهـــا: فـــتـــاة الرو

حِ، أي أسى تعــــــانينا؟

ومـــا ســـرُّ انقــبــاض النفــ

س، مـــاذا ثمَّ تخـــفـــينا؟

فــقــالتْ: يا حــبـيب القلـــ

ـــب: هل حـــقاً يقـــولونا؟

فــقلتُ لهـــا: ومـــا هذا الـــ

ــذى راحـــوا يقـــصـــونا؟

* * *

فـــقـــالت: إنهـا سـمـعتْ
بـأنَّ «قـنـابـل» الـذرةْ
تشعّ نظائر التـدمـيـر
فـي عـنـفٍ وفـي شـرةْ
وإن لـهـا لتـأُثيـراً
علـى الأزهار والخـضـرةْ
على الأطفـال قـبل «الوضـ
ـع»، يا للوعـةِ المـرةْ

* * *

أحـقاً ذلك الإشـعـا
عُ قـد يودى بآمـالى
وقـالوا قـد يشـوهُه
يشـوهُ طفلى الغـالى
وقـد يلقى به مـسـخاً
إلى الدنيـا، بإهمـالِ
وقـد يُرديه فـى جـور
فـيـمـحـو نورِ إقـبـالى

* * *

فـــــأى جـــــريمـــــــةٍ نكـرا

ءَ.. يـرتكبـــــون فـى حـــــقّى

وراحــت زوجـــــــتـى تـلـقـى

عنيـفَ الـقـــــــولِ فـى حنـقِ

فـــرحتُ أضـــمـــهـــا نحـــوى

بـرفـقٍ، غـــــــــايـة الـرفـقِ

وأرنـو نحـــــوهـا شـــــغـــــفاً

وأســـقـــيــهـــا جنى شـــوقى

***

وقلـت لـهــــا أطمـــــئنُهـــــا

فـــــــتـــــــاتـى، أيـن ذامِنّا

فـــإشـــعـــاعـــاتهـم هـذى

بـعـــــــيـــــــدٌ شرُّهـا عـنّا

فـــــــلا تَخْشى عـلـى طـفـلـى

وقـــرى فـــتنتى عــــينا

ورغـم كـــــــلامـى الـمـنـظـو

مِ لـم أســـتـــشـــعـــرْ الأمنا

***

فـــــمنذا يمنعُ الإشـــعـــا
ع أنْ ينســــــاب منطلقًا
ويمــــضى هكذا كـــالهـــو
لِ، عــبــر الأُفق مُخـتــرقــا
ليـــــقــــتل طفلنا الآتى
ليــــحـــجب تلك الألقَا
فكم أخــشــاهُ، كم أخــشــا
هُ، هذا العـــــابث النزقَا

***

وحـــتَّى لو نجـــا طفلى
فلم يلحق به شـــــرّهْ
فكم مسّ الشـعـــاعُ الشـؤْ
مْ طفـــلا مُرْتَجىً، غـــيرهْ
إذن، ســــــأظلُّ فى قلقٍ
وألـــعـــنُ هـــذه الـــذرةْ
إذا كـــانت ســــلاح أذىً
يبـــيـــد النسل والنضـــرةْ

***

فبـاسم الحب والأطفـا

لِ، أدعـو سـائر النـاسِ

لكى يقـفـوا تجـاه الشـرّ

فـى عـزم وفـى بـاسِ

ليـشـرق مـبْسِمُ الأيا

مِ عـن بـشـرٍ و إِيـنـاسِ

ويـمـضى النـاس أحـراراً

بـلاَ ألـمٍ، بـلا يـاسِ

* * *

وبـاسـم الـلـه والأمـجـا

د والأخـلاق والـديـنِ

وباسم حـدائق الليـمـو

ن و«الزيتـون والتـيـن»

وباسم مـشـاعل الآمـا

ل فى ليـل «المـلايـينِ»

أغـيـثـوا من لظى الذرّة

«آلافَ» المـسـاكـين

* * *

وباســـمك زوجــتى الحــسنا

ءَ، بـاسـم وليـــدك القـــادم

وبـاسـم غـــرامنـا الخـــلا

ق، بـاسـم ربيـــعنـا الـدائمْ

ســـأدعـــو الله من قلبى

لـردع المـــجـــرم الآثـمْ

ليـــجـــعل كـــوننا المـــجنو

ن فـــردوسَ الـمَـنـى البـــاسم

ولدى علاء(*)

مَن وحْيِ عينيكَ اللتينِ تفجّرانِ لنا الضياءْ
من وحيِ ثغرِكَ وابتسامته التى توحى الصفاءْ
من وحيِ قهقهةِ الطفولةِ فى شفاهكَ والهناءْ
أشدو بشعرى يامُنى عمرى وآمالى الوضاءْ
وأبوحُ بالنغمِ الشفيفِ وبالنشيدِ وبالغناءْ
وأُحسه وحيَ السماءِ، وإنه وحْيُ السماءْ
شعرٌ سرى من ذوبِ روحكَ أنت يا ولدى علاء
ولدى علاءُ: وكنتَ سراً بعدُ فى حكمِ القدرْ

(*) فازت بالجائزة الأولى فى مسابقة رابطة الأدب الحديث فى عيد الثورة العاشر عام ١٩٦٢.

أمــلا يداعــبنا، ويزهو **بالخــيــالات** الغُرُرْ
وأنا وأُمُّكَ جـالسـان هناكْ **نسـتـدعى** الصُّوَرْ
طوراً نراكَ ببـدلةٍ حـمـراءَ **تمـضى** فى ظفـرْ
أو راكبا فوق الحصان **وأنت لا** تخشى الخطرْ
طورا نراك مــقطِّبــا **والوجــهُ** يعلوه الكدرْ
فنهبّ نحضر ما تريد ليبـسمَ الثـغرُ النضـرْ
ويضىءُ وجـهُكَ يا عـلاءُ **وأنتَ** سرٌّ مستـتـرْ

* * *

ولدى علاءُ: وجئتَ ينبوع **السنا** نورَ ابتسامهْ
فزرعتَ فى قلبى البشاشةَ **والسعادة** والسلامهْ
وحصدت من نفسى **التعاسةَ والشقاوةَ** والندامهْ
والفرحُ قد أوفى ـ مُنى **عمرى وأفراحى** ـ تمامهْ
لمـا أتيتَ محققاً حلماً صبـا قلبى، ورامهْ

* * *

ولدى علاءُ: وكان **عمرى قبل** أن تأتى هباءْ
أنا لا أُحس به، ولا **ألقى له**، أدنى ضــيــاءْ
اليــأسُ صــوَّح كلَّ **أزهارى**، وذرَّاها الهــواءْ
الهمُّ أطفــأَ كلَّ أنوارى، **فلم** ألمحْ رجــاءْ
فمضيتُ ألتمس المصيرَ **ولا** شعاعَ، ولا اهتداءْ

حتى أَتيتَ لتصنع المعنىٍ لعمرى، يا علاءْ
فأشعتَ فى نفسى السعادةَ والسلامةَ والهناءْ
وجعلتنى أَنسى تهاويل التعاسةِ والشقاءْ
وأعود بعد الموت للدنيا وأضحك فى انتشاءْ
بُوركتَ يا ولدى علاءُ، ودمت لى رمز العلاءْ

* * *

ولدى علاءُ: وسوف تكبر ذات يوم يا صغيرى
ولسوف تدرك أىَّ ظلم عشتُ فيه وأىَّ نيرِ
أنا واحد من أهل جيلٍ كان يحيا فى سعيرِ
أنا واحد من أهل جيلٍ عاش مضطرب المصيرِ
جيل أضاعوه بعهدِ غائم الرؤيا... ضريرِ
جيل المآسى والعذاب، وصولةِ الظلم المثيرِ
حكامه ألقوه للأهوال، فى حقدٍ حقيرِ
ورَمَوْهُ بالأَرْزاءِ، والآلام، فى سود العصورِ
أسمعتَ هذا ياصغيرى، حسناً تذكَّر ياصغيرى

* * *

لا، لا تُروِّع ياعلاءُ، فإن ذاك الليل راحْ
وأطل فجرٌ عاطرُ الأضواءِ، بسامُ الصباحْ
الثورة الكبرى أماطت عن سنا النصر الوشاحْ

لا لن ترى ما عشت فيه من المآسى والجراحْ
فاهنأْ بنىّ بعهدك الوضاح واضحكْ فى مراحْ
واغنمْ ثمارَ جهادِنا الدامى وأيامِ الكفاحْ
فالليلُ، ليلُ الظلم راح، وضمَّ واديك الصباح

* * *

ولدى علاءُ: وفى سبيلك أنت كم يحلو النضالْ
مهما تشردنا وراءَ العيش والرزق الحلالْ
أنا ليس يرهقنى العناءُ أسى، ولا سهرُ الليالْ
مادمتُ أسعى فى سبيلك أنت ما أدنى المحالْ
لا ليس تفزعنى المصاعب لا، ولا المحن الثقال
حتى أعود بكل ما تبغى وأُشرق فى ابتهالْ
ولدى علاءُ: لقد أطلت عليك. هل دبَّ الملالْ
حسنًا كفى هذا، ولكن يامُنى قلبى، تعالْ
حتى أبثك قبلةً، من ذوب أشواقى الطوالْ
ولدى علاءُ تدوم لى.. وتعيشُ لى فى خير حالْ

* * *

غداً نزرع

غداً نجمعُ ما قد خطّت الأيدى.. غداً نجمعْ
ونزرعهُ هنا فى أرضنا أملاً.. غدا نزرعْ
فبالكفِّ التى تبنى.. وبالعينِ التى تدمع
سنصنعُ ثورةً كبرى هنا فى أُفقنا تسطعْ
ويرقص حلمنا الزاهى... على إرعادة المدفعْ
وتطفر ملءَ أعيننا دموعٌ ثرة... تلمع
أَخى فى الحقلِ، فى الحانوت، فى المعهد، فى المصنع
أَما تسمعُ هذى الصيحة الكبرى... أما تسمعْ؟
أما تلمح هذا الأمل الحلوَ... الذى أينعْ؟
لقد صاحت بنا الأَيام أن هبوا.. ولن نرجعْ

* * *

عندما يموت البطل

فى طريقى.. سرت وحدى.. حامل قيثارتى
ومعى كأسٌ صغيرٌ.. فيه بعض الخمرةِ
من دموعى.. من ضلوعى.. من دمائى القانيهْ
علَّها تطفى سعيرى.. فى جحيم الأَوديه

* * *

فى طريقى... كان جندىٌّ على الدرب.. ينوحْ
وبكفيّه دماءٌ.. وبجنبيه جروح
وعلى الثغر نداءٌ.. وعلى الوجه دموع
وكأَنى قد شممت الدمع أَعطار تضوعْ

* * *

قلت: ياجنديُّ.. مــا بالك تبكى.. وتئن
هل تُرى للوطن المحبوب تهفو.. وتحنُّ
أم تُرى تبكى شباباً.. بات كالزهرة يذوِى
مثل نجم راح من آفاقه للأرض يهوِى

* * *

قال: آه، ويحَ قلبى من جراحى.. من سهادى
إنها ياصاحبى الطعنة.. قرَّتْ بفؤادى
ياصديقى.. إنها فى الشرفة العذراءُ تنظر
ربما عدت إليها.. فى ثيابِ النصر أخطرْ

* * *

غير أنى يارفيقى.. بعد هذا لن أعودْ
ها هى الرعشة تسرى فى كيانى، والجمودْ
يارفيقى.... هاتها من خمرك المسحور جرعهْ
ثم خذ ياصاحبى فى الكأسِ من عينىَّ دمعهْ

* * *

وامزجْ الدمع - صديقى - بقَليلٍ من دمائى
ثم أَرسلها إليها... إنها رمز وفائى
قل لها: «الغائب ماتْ» هاتفاً يا أُخت باسمك
لم يكن والموتُ فى عينيه يبدو غير رسمَكْ

* * *

كـان يا أُختـاه يرجـو.. منك قـبل المـوت نظره
نظرةً تمـــلأُ بالرحـــمـــة والأنوار قـــبْرهْ
مات في الميدان يا أُختاهُ... مجروحاً شريدا
أغمض الجفن وأغفى.. نازفَ الصدر وحيدا

* * *

قُلْ لها: لا تيئسي، روى بهذا الدمع زهرهْ
إننا كنا غـــرسناه ســـوياً ذات مـــرَّهْ
ربمـا عـادت لهـا روحي مع الزهر الينيعْ
حين تزهو فوق ثغر الكون أنفاس الربيعْ

* * *

ثم غـشَّاه سكون المـوت.. جـبـاراً عنيـدا
وأنا أبكيه في يأس، على الدرب شـهيـدا
وإذا الكون سكون وشـــجـــون.. ودمـــوعْ
وإذا بالطير يبكيـه حـزيناً.. في خـشـوع

* * *

والشهيد الحر في بحر الدم القاني حطامْ
وأنا مـازلت وحـدي بين أحـضـان الظلامْ
باعـــثاً باللعنة الكبـــرى إلى من قـــتلوهْ
ومن الحبِّ وأحـلام الصـبـا قـد حـرمـوهْ

* * *

المسيح الجديد

أنا المصلوبُ يا دنيا
على صلبان أحزاني
أنا المصلوبُ يا دنيا
على صلبان أشجاني
أنا المصلوبُ يا دنيا
على صلبان حرماني
بنفسي يا عبيد الأر
ضِ قد هيأتُ صلباني
بنفسي يا رقيق الطـ
ين قد أعددتُ قضباني

أنا المسجون يا دنيا

وما أقساه سجّاني

بكفي قد صنعت اليو

م تابوتي وأكفاني

أنا المصلوبُ يا دنيا

على نيران إيماني

بحق الناس أن يحيوا

حياة الباسم الهاني

بحقٌ الدهر أن يبْقى

ربيعَ وجودنا الداني

فكم ذا ألهب الإحسا

س في أعماقِ وجداني!

بكاءُ البائسِ المحرو

م أو إطراقةالعاني

وما بالكون من جورٍ

وإعناتٍ.. وطغيانِ

وتشريدٍ.. لأحرارٍ

وتقتيل لشبانِ

ومـــا فى تونس الخـــضـــرا

ءِ.. من تحطيم فـــتـــيـــانِ

ومـــا فى.. كـــوريا الحـــمـــرا

ءِ. مـن تـخـــــريـب بـلـدانِ

وتلك الثـــورةُ الهـــوجـــا

ءُ.. فـى آفـــــــاق إيـرانِ

وفى مـــصـــرٍ.. أجل مـــصـــرُ

بلادى.. مـــهـــدُ خـــلاَّنى

ربيـــعـى البـــاسمُ الخـــا

لـدُ... وا لـهـــــفـى لأوطـانـى

بهـــا المـــســتـــعـــمـــر الوا

ئـدُ أزهـارى وريـحـــــــانـى

ومـن يـشـــربُ مـن دمـــعـى

ومـن ينـهـبُ بســـتـــانـى

ومـن يأكـلُ.. خـــيـــراتى

ومـن يـغـــتـــال شطآنى

وفـى الســـــودان.. وانـارى

لمـــا يجـــرى بســـودانى

أخى فى الأرض فى المولِدِ فى دينى وقرآنى

وفى إنجيل «يوحنا»

وفى مصحف «عثمان»

يلاقى الضيم والذلة

وا لهفى لإخوانى

* * *

أنا المصلوبُ.. يا دنيا

على صلبان أحزانى

فقد حُمِّلْتُ آلامى

وآلام الورى الفانى

وهذى صرخة الأحياءِ.. قد دوت بآذانى

ترددها ضراعاتٌ

لمظلوم وجوعان

فما أكثر.. آلامى

وما آلم أشجانى

وما أفظع ما ألقاهُ من قسوة أكوانى

النبـــــرة الشـــــأمـــــا

ءُ قـــد شـــاعت بألحـــانى

فـــيـــا ربى.. لقـــد أودعـ

ـتنى وجـــــدانَ إنســـــانِ

لكى أشـــــقى. وكى أبكى

عـلـى أنّات وجـــــــدانى

على أنّات مـــــغـــــبـــــونِ

ومـــفـــجـــوع وعـــريانِ

***

أنا المـــــصلوبُ.. يا دنيـــا

على صلبـــــان أحـــــزانى

أنا المـــــصلوبُ يا دنيـــا

على صلبـــان أشـــجـــانى

أنا المـــــصلوبُ.. يا دنيـــا

على صلبـــان حـــرمـــانى

بنفـــسى قـــد صنعت اليـــو

مَ تابوتى وأكـــــفـــــانى

أحزان العيد

أحـــقاً أقـــبل العـــيــدُ... وهل لاحت تبـــاشـيـــرُه؟؟

وهل رفَّت على الأكـــوان في بشـــرِ أزاهيـــرُه؟؟

وهل غنَّت مع الفـــجـــر الذى غنى... بواكـــيـــرُه؟؟

فـــمـــا لى لا أرى طيـــرا.. ولا زهراً... ولا عطرا؟؟

ومـــالى لا أُحس اليـــوم إســـعـــاداً ولا بشـــرا؟؟

فـحــدثنى... وخـبـرنى... لمن أقـبلت يا عـيـدُ؟؟

* * *

لمن أقـــبلتَ يا عـــيـــدُ.. وهل فى الكون أفـــراحُ؟؟

وهـل فـى الـروض أزهـارُ.. وهـل فـى الـروض صـــــداحُ

وكـــيف اللهـــو يا عـــيــــدُ.. وملءُ الكون أتراحُ؟؟
وهذا العـالم المـجنون يأكل بعـضه... بعـضـا؟؟
سـعـــارٌ لم يدعْ أُفـــقـــا... ولا بحـــرا.. ولا أرضـــا
فـحـدثني.... وخـبـرني... لمن أقـبلت يا عـيــدُ؟؟

* * *

أنا يا عـيـدُ جـوعـان... فـمنذا للفـتى الجـائعْ؟؟
أنا يا عـيــد عــريانٌ... فــمن للشــارد الضـــائعْ؟؟
بعــيني دمـــعـــةٌ حـــيـــرى وقلبي يائسٌ... دامعْ؟؟
وألـمحُ في الـدجى طـفـــــــلاً هـزيـلاً تـابـعًا أُمَّهْ
فـــأنسى كل آلامي... وأذكـــــر ـ والأسى ـ همَّهْ
فــأبكي والورى يلهـــو... وقـــد أقـبلتَ يا عـــيـــدُ

* * *

لمن أقـبلت يا عـيــدُ... وهل أقـبلت كي نلهـــو؟؟
وكي نرقص بالفـــرحـــةفـــوق الأرض أو نشــــدو
وأين الفـــرحُ يا عـيـــدُ... وليس ســـوى الأسى يبـــدو
وتلك جـــراح هذا الكون في الأعـــمـــاق صـــخَّابهْ
وعـــــمـــــلاقٌ من النـار.... يبثُّ الأرض إرهـابَهْ
فـحـدثني.... وخـبـرني... لمن أقـبلت يا عـيـدُ؟؟

لكم أقـــبلت يا عـــيــــدُ... وملءُ القلب آمـــالى
وها قـــد جـئت يا عـــيـــدُ... وقلبى فـــارغٌ خـــالِ
سكون اليـأس يغـمــرنى... فـمـــالى والمُنى مـــالى؟؟
لقـــد ودعت أفـــراحى... وقـــد ودعت أشـــواقى
وها قـد عـدت مـقـهـوراً... أجـررُ عـمـرىَ البـاقى
فـخـبـرنى... وحـدثنى... لمن أقـبلت يا عـيـدُ؟؟

***

لقـد أقـبلت يا عـيـدُ... فـهل أشـبـعت مـحـروما؟؟
وهل فـرّجت أشـجـاناً...وهل أسـعـدت مـهـمـومـا؟؟
وهل أطفـأت من حـدة من قـد بات... مـتـخـومـا؟؟
يعـــانى تخـمــة كـبــرى... وطفل قـــربه جـــائعْ
مـــضى فى هذه الأسـمـــال... يبكى حظه الضـــائعْ
فـحـدثنى... وخـبـرنى...لمن أقـبلتَ يا عـيـد

***

لقـد أقـبلت يَا عـيـدُ... فـمـاذا تبـتـغى منّا؟؟
وســوف تغـيبُ يا عـيـدُ...وتمـضى راحـلاً عنّا
ومـــا من زهرة فـــاحت... ومـــا من طائر غَنى

فــإمــا أثمــرتْ فى الصــدر **للبــشــرى** عناقــيــدُ

فلم تُثْمــرْ هنا فى الصــدر.. غــيــر اليــأْس يا عــيــدُ

فــحــدثنى وخــبــرنى... **لمن أَقــبلتَ** يا عــيــدُ

***

سر المنظار الأسود

قــالتْ وفــوق شــفــاهها تنســابُ ســخــريةٌ مُريبــةْ
ومن العـــيـــون الفـــاترات تطلُ أســئلةٌ غــريبـــة
لم قـد حـجـبت عن الوجـود عـيـونك اليُبْس الشـحـيـبـةْ
لِم ذلك المنظارُ مـصــبــوغٌ... بألوان المـصــيـبـهْ
داج كــأيام الشــقــاءِ.. ينمُّ عن مــحنٍ عــصــيــبـهْ
فــهــتــفتُ والكون العـبـوس يبثُّ من حــولى عــويلَهْ
والـهم يبـــرز للوجـــود مناجـــلاً ســـود طوينة
كى لا يرى الناسُ الدمـــوع تسحُّ من عـــينى الكليلة
كى لا يرى الناسُ الدمـــوع.. دمـــوع أيامى الثـــقـــيلةْ
تنســاب فى صــمـت.. فــتكشف عن مــآسـينا الوبيلة

***

قـــالت: بل ارفع ذلك المنظار وانظر للوجـــودْ
تجـــد الزهور الراقـــصـــات على الجـــداول والورودْ
تجـد الطيـــور مـــغـــرداتٍ بالبـــشـــائر.. والســعـــودْ
والكون قـــيـــثـــاراً يتـــيـــهُ هناك.. بالنغم الشـــرودْ
قمْ وامـــلأ الأكـــوان بالنغم المـــعطرّ.. يا جـــحـــودْ

* * *

فـهـتـفـتُ: لا.. أنا لست أسـمع غـيـر عـاصـفـة تنوحْ
تلك الزهور المـــائلات إخـــالهـــا بعض الجـــروحْ
شـــربت دمـــوع الكادحـــين هناك في غـــورْ الســـفـــوحْ
أنا لا أشم بهـــا ســـوى ريح مـــعـــفّنة تفـــوح
دفـعت بهـا عـبـرِ الفـضـاءِ الجـهـم.. آلاف القـروحْ

* * *

أنا لست أعـــبـــأُ بالورود، ولا الربيع، ولا الزهور
أنا لست أُنصت للنشـــيـــد ولا لأوهام الطيـــورْ
أنا لست أُبصـر غـيـر أكـبـاد مـقـرّحـة.. تمـورْ
أنا لست أسـمع غـيـر أصـداءٍ من الذكـرى تثـورْ
ذكـرى الذين مـضـوا وملء جنوبهم عـصـف الدهورْ

* * *

قــالت: أأعــمى لا يرى فى الكون آثار الجــمــالْ
أعــمى يعــيش بلا شــعــور فى مــتــاهات الضــلالْ
لا يلمس الســر المــخــبــأ فى اهتــزازات الظلالْ
فى همــسة الطيـر الخـفـوق وفى انبـثـاقـات الخـيـالْ
قم وارفعْ المنظار يا أعــمى.. ودع هذا الخــبــالْ

* * *

فــهــتــفت والوجــه الجــهــوم.. ينمُّ عن هم دفــين
أنا لا أرى فى الكون إلا... دمــعــة المــتــضــورينْ
نهــراً من الدم والصــديد، ومن دمــوع الكادحــينْ
ينساب أحـمـر... كـاللهـيب، كـزفـرة المـتـحـفّزينْ
أنا لم أكن أعــمى وفى غــدنا المــؤمل تدركــينْ

* * *

أنا كــيف أصــدح للورود الشــاربات من الدمــاءْ
أنا كــيف أنعم بالزهور رُوينَ من دمع الشــقــاءْ
أنا كــيف أطرب للطيــور النائحــات... بلا رجــاءْ
أنا كــيف أنصت للنشــيــد، وفى دمى هذا العــواءْ
أواه يا أختــــاه لو لم يحــتــرق قلبى.. هبــاءْ

* * *

قالت وفى نبراتها صدقٌ، أَجل صدق عجيبْ
ومتى ستُرفع ذلك المنظار يا هذا الغريبْ
فهتفتُ: فى غدنا.. أجل غدنا الذى يبدو قريبْ
والحب ينتظم الأَنام.. مع انتفاضات الشعوبْ
والعدل يبرز فى الوجود بوجهه الحلو الحبيبْ

* * *

إِنى لأَنظر فى غدى.. فتلوح أَلوية السلامْ
متموجاتٍ بالمُنَى... مستبشراتٍ بالوئامْ
والورد والزهر الطروب يبعثر العطر المرامْ
وإِذا الحياة تشع بالأَنوار... من بعد الظلامْ
والحب «سيمفونيةٌ» عذراءُ تشتمل الأَنامْ

* * *

أشواق المعركة

يارفـيــقى... أشــعلْ النار... على ضــوءِ الســلاح
فــهنا فى الصـــدر... يغلى...ألفُ شــوقٍ للكفــاح

***

يارفــيــقى... قم مـــعى...نمض ســويا للصــراع
قــد كــفــانا مــا لقــينا...من هوان... من ضــيــاع
أنا فى حلكة ليلى... لا أرى أىّ شـــعـــاع
بذراعى ســوف أبنى مــجــد مــصــر... بذراعى
وبعــزمى... ســوف أجلو الليل عن عــذب الصــبــاح
كــيف ألهــو... وبنفــسى... ألفُ شــوقٍ للكفــاح

***

يارفـــيــــقى... أنا من أجل أخى.. هذا الصــغـــيـــر
ذلك الطفل الذى ينســـابُ... كـــالحلم النضـــيـــر
ســوف أمــضى... فى ظلامى، مــستنيــراً بضــمــيــرى
طاويا صـــدرى... على قلبى.. على قلبى الكبـــيـــر
أنشـــد الفـــجـــر بإصـــرار...وعـــزم... وطمـــاحِ
وبنفـــسى يارفـــيـــقى... ألف شـــوق... للكفـــاح

***

يارفــــيــــــقى... أنا لن أترك أرضى... لدخـــــيلِ
إنهـــا مـــهـــد قـــداســـاتى... وهذا النيل.. نيلى
يادمـــائى... فـوق تلك البـــقـــعـــة العـــذراء.. سـيلى
وأنيـــــرى يادمـــــائى... حلكة الليل الطويلِ
يارفـــيـــقى... آن أن ننعم... بالمـــجـــد المـــتـــاحِ
فـــبـــصـــدرى يارفـــيـــقى...ألف شـــوق للكفـــاح

***

يارفـــيـــقى... أنا في المـــيـــدان.. إن أســـقطَ شـــهـــيـــدا
فكفـــانى... أننى حـــررت... مَنْ كـــانوا.. عـــبـــيـــدا
فـــإذا عـــدت إليـــهـــم... تحـــملُ النصـــر الفـــريدا

قلْ لهم: إنى هنا... أحـيـا بفــردوسى.. سـعـيـدا

قل لهم: إنى تهـــاويت.. وفى كـــفى ســـلاحى

قل لهم: مـــات... وفـيــه أَلفُ شـوقٍ للكفـــاح

* * *

قريتنا بين عهدين

«قبل الثورة»

هنـاك.. هنـاك وراء الـضـــــبـــــاب

وبين النخـــيلِ على التـــرعـــةِ

تضـــمـــين أيامك الحـــالكات

وتحـــيـــين اليــأُس يا قـــريتى

وعـــبـــرَ الحـــقـــولِ وعـــبـــر الدروب

يحلّق صـــمـــتُ الأَسى المـــيّت

فـــلا البـــشـــرُ يلمع ملءَ العـــيـــونِ

ولا الفـــرحُ يشـــرق فى بســـمـــةِ

***

ومـــرُّ الزمـــانُ الجـــهـــومُ العـــبـــوسُ

يـصـبُّ عـلـيـك لـظـى الـلـعـنـةِ

فـــلا شىءَ لا شىءَ غـــيـــرُ الظلامِ

وهمسُ الزواحف فى العـــتـــمـــةِ

وصـــوت الكلاب الحـــزين البـــعـــيـــد

تـفـــجـــرّ من هوة الظلمـــة

وحـــينا تصـــيح الذئاب الجـــيـــاعُ

تفـــتش فى الليل عن نعـــجـــةِ

ومـــا زلت مـــحـــتـــضنا قـــريتى

أعـــانقُ فـــيـــهـــا الأسى والجـــراحْ

وأســـمعُ صـــوت البكاءِ الحـــزين

فـــتـــحـــرقُ صـــدرى ســـيـــاط النواحْ

وندب النســـاءِ الثكالى الحـــيـــارى

يشـــيّعن من قـــد تـهـــاوى وراحْ

يفـــجّر فى العـــين نبع الدمـــوع

فـــيـــحـــجب عنى ضـــيـــاءَ الصـــبـــاحْ

* * *

وفوق الطريقِ إلى قريتي

تسامق قصر منيفٌ رهيبْ

تحفُّ بجدرانه همهماتٌ

ويجثم ظل الشقاءِ الكئيب

فحيطانه جللتْ بالدماءِ

دماءِ الضحايا ودمع صبيب

يحدق مستوفز الكبرياءِ

إلى قريتي في شموخ عجيبْ

* * *

أجل إنه قصركم يا طغاة

يشارف أكواخنا البائسة

يطل عليها بوجه غريب

تكشف عن سحنة عابسة

فيا مرتع الجور يا ابن الظلام

أناديك في هتفة يائسة

غداً سوف تجرفك العاصفات

وتذرو أزاهيرك اليابسةْ

* * *

ولاح الطريق إلى قريتى

تلوّى كما ينثنى الأُفعوانْ

ليلقف أكواخنا العابسات

وينفث فيها سموم الهوانْ

منازل يقطن فيها الشقاء

ويسعى بها الحزن فى كل آنْ

تلون جدرانها الحادثاتُ

بلون حلوك كلون الدخانْ

* * *

وتحيا الخرافاتُ فى قريتى

وتملأُ أذهان كل الصغارْ

ففى القاع من هذه الترعة

يهوم جنٌ شديد السعارْ

يهب إذا ما أتانا المساءُ

ولف السكونُ جميع الديارْ

فيقبع بالشط فى هدأة

ليخطف أطفالنا والكبارْ

* * *

وهذا هو السر أن الرجال

يخافون من بطش أسيادهمْ

ويحنون هاماتهم في خشوع

مهين لرؤية جلادهمْ

وكم شاهدوا أهلهم يجلدون

ورسم السياط بأجسادهم

حقائق ممزوجة بالخيال

تشيع الهوان بأولادهمْ

* * *

وجاءَ المساءُ على قريتي

وكان مساءَ خريف جهومُ

وعادوا يجرون أحزانهم

إلى دورهم والأسى والهمومْ

وعادت بهائمهم ساعيات

على إثرهم ضامرات الحلوم

وكلب نحيف دقيق العظام

يطأطئُ حينا وحينا يزومْ

* * *

وأسمع منهم كلاما كثيرا عن

الأرض، عن جوعهم أجمعينْ

عن الأشقياءِ، عن الكادحين

عن الأبرياءِ، عن الظالمين

عن السيد الفظ عن عجزهم

عن الظلم يكتنف المعدمين

ولكنهم خافضون الجباهْ

فيا لحكاية ذل مهين

* * *

ولفتْ خيوط المساءِ الرهيب

جمال الطبيعة فى قريتى

وأقبل ليل الشقاءِ الطويل

يضم المنازل فى قسوة

ففى كل بيت يخط المصيرُ

حكاية جور بلا رحمة

يسطرها المالك العنجهىُّ

بريشة ظلم شديد عتى

* * *

وأنشأت أسعى بخطو وئيد
إلى كوخنا في ظلام الزقاقْ
إلى حيثُ نحيا بلا غاية
تجدد في النفس أي انطلاقْ
هنالك في غور تلك الكهوف
يعيش مع اليأس بعض الرفاقْ
يضمون أعماقهم في سكون
على حسرة مرة في المذاقْ

* * *

وتهتف أميّ لما تراني
وفي صوتها نبرة هالعة
وقد أطفأت نسمات الخريف
وميض ذبالتها الخاشعةْ
فتطفيءُ في صدرها ومضة
تراءت بأعماقها ساطعة
وماذا فعلت وتنظر نحوى
وفي عينها نظرة جازعةْ

* * *

وأشعر أن الظلام الكثيف

تدب ثعابينهُ الواغلةْ

فأكتم فى لوعة صيحتى

وفى باطنى ثورة هائلةْ

وتدرك أُمّى هول المصاب

وعمق فجيعتنا القاتلةْ

فتبعث من صدرها صرخةً

وتندب يائسة سائلةْ

* * *

«ألم يدرك المالك المستبدُّ

حقيقة ما ضمنا من مصابْ»

«ألم يرحم الدمع فى أعين

يقرّحها كل هذا العذابْ»

ولم أدر ماذا أقول لها

لقد مات فى شفتىَّ الجواب

أجل إنهم ربما يرحمون

ولكن إذا ابيضَّ لون الغرابْ

* * *

إذن ســـــــوف نـطـرد مــن أرضــنـا

أجـل ســـــــوف نـطـرد مـن أرضـنـا

ونحـــيـــا على جنبـــات الطريق

نقـــاسي صنوف الأسى والضنى

فـــهـم يحـــجـــزون على دورنا

وهم ينهـــبـــون مـــحـــاصـــيلنا

إلى أن تشـــرد فـــوق الطريق

ومـــا من بصـــيص منيـــر لنا

* * *

فـــيـــا قـــصـــة الليل في قـــريتي

مـــتى تنتـــهـــين، مـــتى تنتـــهـــينْ

فـــقـــد صـــبغ الويل أيامنا

بهـمٍّ طويل، ودمع ســـخـــينْ

هو الظلم يرتع عـــبـــر الحـــقـــول

هو الحـــزن يصـــبغ كل السنينْ

ومـــهـــمـــا تطاول عـــهـــد الطغـــاة

فـــلابدّ للفـــجـــر من أن يبـــين

* * *

أجل تلك حـــالك يا قـــريتى
شـــقـــاءٌ ويأسٌ وحـــزنٌ طويلْ
وليلٌ حلوكٌ عـــبـــوس الرؤى
يعـــمّق فى النفس نبع العـــويلْ
وزحف الظلام الرهيب الوئيـــد
يغلّفُ برق الضـــيـــاءِ الضـــئـــيل
ولكن أيشـــرق فـــجـــر قـــريب
يحـــقق أُمنيـــة المـــتـــســـحـــيل

***

«بعد الثورة»

وأشـــرق فـــجـــرٌ جـــمـــيلٌ
يـضـــــمّخ أيـامنـا بـالأمـلْ
وهـا نـحـن نـمـــشـى عـلـى أرضنـا
ونـرقُبُ أزهـارهـا فـى مـــهـلْ
وتمـــضى العـــصـــافـــيـر مـــبـــهـــورة
توشـــوش ورد الصـــبـــاح الثـــمـل
وتســـعى الفـــراشـــات فى نشـــوة
فـــتـــغـــمـــر أزهارنا بالقـــبلْ

***

ويغمر نور المنى قريتى

وتضحك أكواخها الحالمة

ويبسم للصبح كل الصغار

فأيامهم حلوة باسمةْ

هو الفجر حطم كهف الظلام

وبعثر أستاره القاتمةْ

ومهدٌ للنور، نور الحياة

يضيءُ متاهاتنا الظالمة

* * *

وها نحن ننسى خرافاتنا

عن الجن فى باطن الترعةِ

وينساب أبناؤنا فى أمانٍ

وحبٍّ وبشر وحريّةِ

وتغنى رسوم الجراح التى

تهاوت علينا بلا رحمة

وينعم أحفادنا بالربيع

يلف الطبيعة فى فتنةِ

* * *

وها قــد تهــاوت قـــصــورُ الطغـــاة

ومـــــادت بـهـــا الأرض فى ذلـةِ

لتــحــيـــا بهـــا البـــومُ ندّابة

تودع عـــهـــدا بلا رجـــعـــةِ

ونمـــضى بهـــا رافــعــين الجــبــاه

وأكـــواخنا غـــضـــة النضـــرةِ

يردّد فـــيـــهـــا الضـــيـــاءُ النبـــيل

نشـــيــد الحـــيـــاة القـــوى الفـــتى

* * *

أنا مـــــالك الأرض فى قـــــريتى

أنـــا زارع الــقــطــن والــحــنــطــةِ

وغـــارس أشـــجـــار بســـتـــاننا

بمــــا لاح فـــيــــه من الفـــتنةِ

وأمى فى كـــوخــهـــا مـــا تزال

تـصـلـى وتـشـكـر فـى روعـــــــةِ

وتدعـــو لمن قـــد أعـــاد الحـــقـــوق

لأصـــحـــابهـــا صـــانع الثـــورة

* * *

وها نحن نمشي على أرضنا

نهزُّ المناجل في قوةِ

ونهتف من غور أعماقنا

بأنشودة النصر والعزةِ

هناك هناك يحضن الضياءِ

وبين النخيل على الترعةِ

تضمين أيامك الباسمات

على مشرق الفجر يا قريتي

* * *

فباسم «الملايين» في قريتي

وباسم النساءِ وباسم الرجال

وباسم الصغير وباسم الشهيد

وباسم الكفاح وباسم النضال

سنهتف من غور أعماقنا

فتنساب صيحتنا في انفعالْ

ألا صانك الله رمز الربيع

أتى باسمًا بالمنى. يا جمالْ

* * *

الفجر الأبيض... فجر البشر

وتقـول لى نفـسى وبعض حـديثـهـا

مُرٌّ يـفـوق مـرارة الأيـامِ:

يأيهـا الإنسـان عـذبك السـرى

وتـخـاطفـتك مـسـارب الآلامِ

حـتـام تلتـمس الحـقـيـقـة مـجـهـدا

وتعـيش بين مـجـاهل وقـتـام

حـتـام تنشـدها وتهـرع خلفـهـا

وتظـل عـمـرك فى دروب ظلام

إن الحـــقـــيــقـــة فى الوجـــود تبـــدلت

يـاصـــــاحـــــبى وهـمـــــا من الأوهام

فـــاقنع،كـــمـــا قنع الأنام ببـــعـــضــهـــا

وأسلك طريق الضـــاحك البــــسـام

وأطرح عـــبـــوس الأمس وامـــرح لاهيـــا

تلقَ الحــــيــــاة تفـــيـض بالأنغــــام

وتظلُّ فى سُبل الحــــيــــاة منعـــمـــا

مـــا بين راحـــة مـــهـــجـــة وســـلامِ

فـــأقـــول: يانفــسى رويدك، بعض مـــا

زينت من قـــــولٍ، وزيف كــــــلامِ

يا نفس، زينت الضـــــلال لعـــارف

ودفـــعـت بى فى بحـــرك المـتـــرامى

يانفس مـــا جـــدوى حـــيـــاتى لو مـــضت

كــــالناس، دون تطلع وتســـامِ

أحـيـا كـمـا يحـيـا الجـمـيع حـيـاتهم

- لو تدركـــين - مـــعـــيـــشـــة الأنعـــامِ

الســوط يلهــبــهـم، ويفـــرى جلدهم

ويقــــهــــقــــهــــون بذلة، وتعــــامِ

لا لن أســـيـــر مع القطيع إلى الردى

وعلى الرءوس يرفُّ ظل حـــســـام

ســأظل أصـــرخ في الوجـــود لعلني

أهب انتـــعـــاش الروح للنوام

نغـــمي دويُّ الريح يســري عــاصــفـا

كـــالرعـــد، كـــالإبراق، كـــالألغـــام

من صـــيـــحـــة الثـــوار من آلامـــهم

من دمـــعـــة الأحـــرار والأيتـــام

من قـــبـــضـــة الفـــلاح، ومن وهج اللظى

في مـــصنع لجبٍ، قـــبـــست كـــلامي

إني أحس بأن فـــجـــراً أبيـــضـــا

ســـيـــرفُّ في يوم من الأيام

لينيـــر للكون الجـــريح طريقهُ

ويقـــوده، كـــالوحي، كـــالإلهـــام

القسم المقدس

(بمناسبة تأميم القناة والعدوان الثلاثى)

باسم الأمجادِ العربيةْ
باسم نضالات الإنسانْ
أبعث صيحة شَعب حرٍّ
يزأر فى حبه الطغيانْ

* * *

باسم شعوب الأرض الحرةْ
باسم شعارات الوطنيةْ
أصرخ أَصرخ من أعماقى
أَصرخ فى وجه الهمجيةْ

باسم بلادى، باسم كـــفـــاحى

باسم حـــقـــوق الإنســـانيـــةْ

أبـدا ســـــــــوف يـرفُ الـحـقُّ

يـرفُ، يرفُ عـلى البــــشـــريةْ

* * *

أنا أُعلنهـــا من أعـــمـــاقى

بـــاســـم الـــسلـم وبـــاســـم بـلادى

باسم الأجـــيـــال المنتـــصـــرةْ

أبـدًا ســـــــوف أظـل أنـادى

أنـا لـن أخـــــضـع لـلإرهـابِ

أنـا لـن أركـع لـلأوغــــادِ

فليـحـتـشـدوا، فليـجـتـمـعوا

فـــأنا لهـمُ بالـمـــرصـــادِ

* * *

لا، لـن نرجـع عن مـــوقـــفنا

لا لـن نـســـجـــد للجـــلادِ.

فلكـم عـــاش الشـــعب قـــرونا

يرسف فى قـــيـــد الأســـيـــادِ

وإذا الفجر يطل علينا

يحمل تاريخ الأجداد

وإذا النصر يرفُّ وئيداً

غرس كفاحى، طرْح جهادى

* * *

باسم الحقّ، وباسم العدل

باسم سلام الإنسانيةْ

باسم الزهر، وباسم الحبّ

باسم الأمجاد القوميةْ

جلجل صوتى فى «باندونج»

يهتف من أجل الحريةْ

رفرف قلبى فى «بريونى»

يرقص فى عرس البشريةْ

* * *

تلك قناتى، أنا سيدها

أنا مالكها، أنا حاميها

أنا لن أسمح للأغرابِ

أن تتحكم يوماً فيها

تلك دمـــائى تلك حـــيـــاتى

أنا أبذلهــا كى أحــمــيــهــا

تلك قناتى، أنا صــاحــبــهــا

أنا حــارســهــا أنا أفــديهــا

* * *

درب الشــمس اليــوم طريقى

درب الــحــق طــريــق الــنــور

درب ســـــلام، درب وئــام

درب ورود، درب زهـــــورْ

أبـدا تـمـلـؤه الأنـغـــامُ

ســحــرا كــالأُفق المــســحــور

درب يـمـلـؤه الـشـــرفـــاءُ

أبنـاءُ االجـــيـل الـمـنـصـــورْ

وحـــمـــامــات بيضٌ، بيضٌ

خــطــرت تــرقــص بــيــن عــطــور

إن الـعـــالـم، عـــالـم حبٌ

إن الســاعــة عــهــد نشــورْ

* * *

مقبرة الغزاة

بلادُنا، الحبيبةُ، الغنيهْ

بلادُنا، الخصيبةُ، الثريّهْ

بلادُنا، الكريمةُ، الأبيهْ

* * *

بلادُنا، من تصنع الحياهْ

وتقهر الطغيان، والطغاهْ

ولم تزل مقبرة... الغزاهْ

بلادُنا، من قطره البعيدْ

قد جاءَها مستعمر عنيدْ

قـد جـاءَها بجيـشه العـديدْ
يتـيـهُ بالرصـاص، والحـديدْ

* * *

بـلادُنـا، لأنـهـا تـريـدْ
أن تصنع الحـيـاة، من جـديدْ
وأن تزيل وصْمـةَ العـبـيـدْ
قـد جـاءَها مـسـتـعـمـر طريدْ

* * *

قـد جـاءَها، يجـمّع الحـشـودْ
النـار، والخـراب، والجنـودْ
بلادنا، بلادنا، الجـمـيلهْ
بلادنا، فـيْنانة الخـمـيلةْ

* * *

قـد فـتّحتْ عـيـونهـا الكليلهْ
من بعـد تلك الغـفـوة الطويلهْ
وودعت، حـيـاتهـا الذليلهْ

* * *

بلادُنا، من تعـشق السـلامْ
والحب، والصـفـاءَ، والوئامْ

وتكره الشقاق، والصدامْ

* * *

ومن تحب عيشة الصفاءْ
لأنّها تفضل البناءْ
وتمقت الدمار، والفناءْ

* * *

قد ودعت سلامها مضطرهْ
وأطبقت شفاهها المفترهْ
عن بسمة الهناءِ والمسرهْ

* * *

قد أطبقت شفاهها، في حقدِ
والثأر في عيونها يستعدى

* * *

على الذى أغار، ألف ثورهْ
لكى تعيش في الوجود حرهْ

* * *

بلادُنا، تطلعت للشمسِ
وناضلت في عزمة، وبأسِ

بمـــدفع بحـــربة بفــأسِ

بلادنا لـم تـدر طـعـم اليـــأسِ

* * *

وأقـــسـمت بمـجـدها التليـدْ

بعـــزها بنصـــرها الأكـــيـدْ

بأرضـــهـا، بنيلهـا المـجـيـدْ

أن تحـفـظ الأمـجـاد، أو تبـيـدْ

فـهل رأيت شـعب بور سـعـيـدْ

يقـــاوم الرصـــاص، والحـــديدْ

مـــؤكـــداً إصـــراره الجـــديدْ

وحــــقـــه الكـريـم أن يســـودْ

إذن ســنـبـلـغ الــذى نـريـدْ

* * **

سأظل أقاوم

مـن أجـل أبـى، مـن أجـل أخـى

من أجل ســـهـــولى وبطاحى

من أجل بنى وطنى الحـــــرّ

من أجل شـــريكة أفـــراحى

ســـأظل أُقـــاوم يا وطنى

والثـــأر ينوّر مـــصـــبـــاحى

* * *

ســـأظل أُقـــاومُ والمـــدفعْ

هـدارٌ فى كـــــفى يسطعْ

أنا عـــــــــربـيٌ، أنـا ثـوري

أنا ســـــيف بتـــــار يلمعْ

* * *

أنا من يتـــحـــدى الأقـــدارا

لـو حـــالت بينى ومـــرامى

ســــأظـلُّ لـهـم أبـدا نـارا

من أجل رخـــائى وســلامى

* * *

أنا طـوفـــانٌ، أنـا نيـــرانٌ

أنـا زلـزالٌ يحـــمـل مـــوتا

أنـا إعـــصـــارٌ أنـا هـدارٌ

أنا بركـانٌ يقـذف مـقـتـا

* * *

من خلف الأجــيـــال أتينا

نحـــمـل تاريخًا مــرمـــوقـــا

وسنصنع أيضـــا تـاريخـــا

وسنحـمى بالبـأس حـقـوقـا

* * *

نحن العربُ، نارٌ

قد أيقظنا الساعة ثارْ

هأنذا مزقت الكفنا

هأنذا أتحدى المحنا

* * *

وسأمشى أصنع أمجادى

ودروبى يغمرها الشمسُ

من أجل سلامى وبلادى

فلينبض فى صدرى البأسُ

* * *

إناكم علمنا الدنيا

من فجر الدهر ثقافاتِ

واليوم نلقنها درسا

فى الحريّة، والثاراتِ

* * *

إنا قد عشنا أبطالا

وسنبقى أيضا أبطالاً

وسنحـــيــا مــا دام المـــدفع

نحـــــمـلـه نـصنـع أهـوالا

***

من أجـل بنـى وطنـى الحــــــر

من أجل شـــريكة أنـــراحى

ســــأظلُّ أقــــاوم يـا وطنـى

والثـــأر ينور مـــصـــبـــاحى

***

مدينة الضياء

مهداة إلى (بورسعيد) فى كفاحها المقدس ضد جيوش «البغى والعدوان»

مـــدينة اللهـــيبِ والضـــيـــاءْ
مـــدينة الحـــيـــاةِ والنـمـــاءْ

والحبِّ والســـلام والرخـــاءْ
يانغـــمـــة الكفـــاحِ والدمـــاءْ

ياصـــيـــحـــةَ الجـــهـــادِ، والإباءْ
ياصـــرخـــة تنســـابُ فى مـــضـــاءْ

تحـــمل فى طيـــاتهـــا، العـــداءْ
والمـــقـــت والدمـــار والفـناءْ

لحفنةٍ من أحقر الشعوبْ

تدل بالخراب والخروبْ

وتحمل العداءَ فى القلوبْ

وتبرز الأظفار والنيوبْ

وتضمر السموم فى الجنوبْ

لشعبنا المقدس الحبيبْ

لشعبنا المُسالم الخصيبْ

الناشرِ السلام فى السهوب

***

تحيةً إليك، بور سعيدْ

لشعبك المكافح المجيدْ

تحية لبأسه الشديدْ

يقاوم الرصاص والحديدْ

بعزمه المكافح العنيدْ

كالهول ليس يرهب الوعيد

ويصنع الحياة من جديدْ

هنا، هنا بأرض بورسعيدْ

لِتنفتِحْ مشارفُ الخلودْ

لتعبرى يادرةَ الوجودْ

تحـــوطك الأعـــلامُ والبنودْ

وتـخـفـق الـزهـورُ والـورودْ

فـأنتِ قـد وقـفتِ في صـمـودْ

في زحـمـةِ اللهـيبِ والرعـودْ

تقـاومـين أحـقـر الجنودْ

تناضلين سـائر الحـشـودْ

مـدينتي، ياصـيحـة انتـصـار

يابهـجـة الكبـار والصـغـارْ

مـدينتي يامْوطن الفـخـارْ

والنصـر والمـبـادئ الكبـارْ

ياشـعـلـةً مـن ثـورة ونـارْ

ياصـيحـة أنغـامـهـا أُوارْ

ياجـذوة تـضـيءُ كـل دار

لهـيـبُهـا، ضـيـاؤها نضـارْ

***

مـدينتي، مـدينتي الحـبـيـبـهْ

يامـوطن البطولةِ العـجـيـبـهْ

يامـرتع المـشـاعـر الخـصـيـبـهْ

ومـصـرع الجـحـافل الغـريبـه

أقسمت بالشيوخ والشبيبهْ

بأرضك الأبية الخضيبهْ

ستخلدين الدهر في القلوبْ

ريحانة تفيض بالطيوبْ

وتبعثُ الأمانَ في الجنوبْ

وتنشر السلام في السهوبْ

تحيةً إليك بور سعيدْ

وقبلةً لشعبك المجيدْ

***

أنشودة السلام

بسحر عينيك ياحبيبى بثغرك الباسم الرطيب
بنشوة الوجد فى المآقى ببهجة الحبِّ فى القلوبِ
لن يهدموا السلم ياحياتى لن ينشروا الهول فى الدروبِ

وسوف يحمى حماك سيفى
لو أشعلوا جمرة الحروبِ
وفى حنان أمد كفى
مصافحاً سائر الشعوب

وسوف أمضى مع الأنامِ مردداً نغمة السلامِ

* * *

أقسمت بالقمح فى الحقول بريفنا الزاهر الجميل
أقسمت بالقطن فى قرانا بالطير، بالورد، بالنخيلِ

لن تحـــرق النار مـــازرعنا   وتصـــبح الأرض للدخـــيل

فـــيـــا مى الروح لا تراعى
فـــإن خلف الدخـــان نورا
ســـرى إلى الكون فى شـــعـــاع
فـــأيقظ الزهر والطيـــورا

وحلـقـت فـى ربـا الوئـام   ورددت نغـــمـــة الســـلام

* * *

من أجل أطفـــالنا الصـــغـــارِ   من أجـل آبائنـا الكبـــار
ســـأحـــفظ الكون فى ســـلام   وأنشـــر الحب فى الديار
وأمـــلأُ الكون أغنيـــات   فى الليل، فى الفـــجـــر، بالنهـــارِ

لن يطفـــئـــوا النور فى العـــيـــون
لن يزرعـــوا الرعب فى الضلوع
لن يحـــرقـــوا خـــضـــرة الغـــصـــونِ
ويبـــعـــثـــوا المـــوت، للشـــمـــوع

وســـوف أمـــضى مع الأنام   مُرددا نغـــمـــة الســـلامِ

* * *

أقسمت بالدم، بالجراح بسمة الطفل، بالصباح
بصرخة الثأر، بالضحايا بنغمة الطير فى الرواح
لن ينزل المعتدى بأرضى لن يدخل الأجنبىُّ ساحى

وإن أكن أعشق السلاما
فلست أرميك يا سلاحى
فقد عهدنا همو لئاما
والنصر حق لكل صاحى

وهأنا ممسكا حسامى أشدو بأغنيّة السلام .

موطن الخالدين

أيا مصر ياموطن الخالدينْ

ويا صرخة من ضمير السنينْ

تباركتِ ياقمة الكبرياءْ

وياجنة عانقتها السماءْ

فمازلتِ أُنشودة الظافرينْ

ولحنا يحرك فينا الحنينْ

ويبعثُ فى الصدر نار الإباءْ

أيا مصر ياشعلة من أوارْ

***

سراج ينور في كل دارْ

بنور النضال، بنور الكفاحْ

وحبك يامصر أمضى سلاحْ

يفجر في الصدر نورا ونار

فنصبح للمعتدين الدمار

وننشر في الأرض نور الصباحْ

* * *

أيا مصر ياموطني الطيبا

ويالحن أيامِيَ المطربا

ويافرحة قد جرت في دمي

لترتد نورا إلى الأنجم

وياحقل أشواقي المخصبا

ويامهد أمي ومغني أبي

* * *

ألا فاسلمي واسلمي واسلمي

أيا مصر يا أمنا أجمعينْ

وياجنة الله في العالمين

تباركتِ ياموطن الكبرياءْ

وياقـمـة عـانقـتـهـا الـسـمـاءْ

فـمـازلـتِ أُنشـودة الظـافـريـنْ

ولحنا يحـرك فـينا الحنينْ

ويبـعـث فـى الـصـدر نـار الإبـاءْ

***

الحب فى العيون

اللحن فى الشفاهْ والحبُّ فى العيونْ

وهادم الحياهْ ينساب فى جنونْ

لينشر الخرابْ

والبؤس والعذابْ

فحطموا ذراعَهْ ومزقوا شراعَهْ

ووطدوا السلامْ

أقسمت بالدماءْ جرت ببورسعيدْ

ليولد الإخاءْ والحب من جديدْ

أن أحـــسم الصـــدامْ

وأنْشُرَ الـــوئـــامْ

وأمـنـع الـحـــــروبْ أن تشـــقى الشـــعـــوبْ

وتـهـــدم الســـلام

*

ســــتطلـع الـزهـورْ ويـهـــدل الـحـــمـــامْ

وتـنـشـــد الـطيـــورْ عـلـى ربـى الســــلامْ

وعـــاشق الـحـــروبْ

يـــوزع الـــكـــروبْ

فـــحطمـــوا ذراعهْ ومـــزقـــوا شـــراعهْ

وأرجـــعـــوا الســلامْ

ســيـــبـــسم الوجـــودْ عـن ثغـــره الـحـــزيـنْ

وتـــطـــلـــع الـــورودْ بـالـحب بـعـــد حـــيـنْ

ويـهـنـأُ الـكـبـــارْ

ويرقص الصغارْ

وتنجلي الكروب وتسعد الشعوبْ

بالنصر والسلامْ

عناق الشمس

أخي في الشـام، في مـصـرا..أخي في الدولة الكبـرى
أخي قم عـانق الأفـراح، والآمـال.. والبـشـرا
أخي في مـوكب الأحـرار، قم واستنشقْ الفـجـرا
أخي قم في صميم الكون... ردد هذه البشرى غدونا دولة
كـبـرى... وكنا دولة كـبـرى

* * *

أخي في مـصـر والشـام.... أخي في عـذب أحـلامي
أخي في عـيـد أفـراحي، أخي في سـعـد أيامي
أخي في يومنا البـسـام... في تاريخنا الدامي
أتيت إليك نشـوانا... أزفُّ اليـوم أنغـامي
أشـاركَ أمـتي أفـراحَ عـيـدِ كـفـاحـهـا السـامي

* * *

أخى قم عانق الشمسا... **أخى قم** ودع الأمسا

أخى قم قبل الآمال... **وادفن** ذلك اليأسا

فهذى الوحدةُ الكبرى... **أحالت** أرضنا عرسا

هم الأبطال قد غرسوا... **هنا** **فى** روضنا غرسا

وهذا نبتهم يزهو شذى **ويعانق** الشمسا

* * *

أخى والعيد وافانا... **يزف** الفرح ألوانا

أخى هذا هو اليوم **الذى أملته**... آنا

بشير السعد فى عهد... **أتى** بالخير ألوانا

وهذا سدنا العالى، يزفُ **الخير** طوفانا

ويعلن نهضة التصنيع **فى الأرجاء** إعلانا

* * *

أخى **قم** هاهنا كبِّر... وحى **الفارس** الأكبر

زعيم الأمة الغرَّاء... رب **السيف** والمنبر

أطل **بأفقنا** بدرا... **وفى ظلمائنا** نوّرْ

فشاع النور وضاحا... **وداجى** ليلنا أسفرْ

بفضل كفاحنا الدامى... **وجهد** زعيمنا الأكبرْ

* * *

أخى فى الشام فى مصرا... **أخى فى** الدولة الكبرى

أخي فلنقــتــصــد في الفــرح، ثمّةَ جــولة أخــرى
بهــا نســتكمل الوحــدةَ حــتى نبلغ النصــرا
وتصــــبح كل أرض العــرب بعــد تشــتت قطرا
ونعلو في الورى شــأُنا... ونســـمــو في الدنى قــدرا

* * *

البحث عن بطل

«مهداة إلى الرئيس جمال عبد الناصر»

أي ليلٍ أسودٍ لفّ ربانا

وكسا الأرضَ ظلاماً وكانا

ومضى كالهول في أنحائنا

يملأُ الأنفس يأساً وهوانا

يزرع الحقد فينمو بيننا

لفحُهُ المسمُوم يجتاح قرانا

حطم الآمال ألقى زهرها

فى طريق الريح... ياهول أســـــانا
أى غـــول مـــفـــزع، أى لظى
يزرع الخـــوف ويجـــتث الأمـــانا

***

إنـه الـرعـب وهـولٌ عـــــاصـفٌ
دافع الأجـــيـــال دفـــعـــا وأتانا
قُم تر الناس حـــيـــارى قم تجـــد
أىّ لـيـل أســـود الوجـــه دهانا
أى عـــجـــز قـــاتل أى ضنى
أترَع الكأس عـــذابا وســـقـــانا
نحن.. من نحن؟ ومـــا تاريخنا
قـــد نســـيناه من اليـــأس فـــهـــانا

***

إننا بِتْنا قطيـــعـــا مـــهـــمـــلا
ريح راعـــيـــه إلى الذل رمـــانا
بينـمـــا الذؤبان تســـعى بيننا
تعـــمل النهش وتصلينا امـــتـــهـــانا
وتلفـــتنا فـــهل من منقـــذ
يحـرس المـرعى فـقـد هان حـمـانا

***

لم نجد إلا رجاءً ومنى

ولساناً يرسل القول افتنانا

ربما نبصر نوراً خافتاً

ومضةً تومض فى قلب دُجانا

ثم تخبو مثلما هبّت ولم

تجرف الليل الذى اغتال مُنانا

ربما نلمح عزما صادقا،

وكلاما مستفيضا وبيانا

كل هذا راح لم يترك سوى

هزة هزت خمود الروح آنا

هكذا ضعنا، أضاعونا الألى

سلطوا الليل علينا، فطوانا

* * *

إننا مِتْنا فهل من نفخة

تبعث الروح وتحيى العنفوانا؟

إننا متنا، فهل من ساحرٍ

يهزم الموت ويردى الأُفعوانا

أيهـــا المنقـــذُ أشـــرق وانطلقْ

من كـــوى الغـــيب وحلق في ربانا

أيهـــا المنقـــذ أقـــبل إننا

قـــد فـــقـــدنا الروح وانهـــارت قـــوانا

أيهـــا المنقـــذ حطم ليلنا

إنه انقضّ علينا واحـــتـــوانا

أيهـــا المنقـــذ من أنت، ألم

تســـمع التـــاريخ يدعـــوك زمـــانا؟

* * *

أرعـــد المنقـــد إني هاهنا

من صـــميم الشـــعبْ من غـــور قـــرانا

أنشـــر الفـــجـــر على تلك الربا

وأُنيـــر الصـــبح حـــبًا وأمـــانا

أمـــتي الشـــمـــاءَ ثُوبي وانهـــضي

وانشـــدي في مـــفـــرق الشـــمس مكانا

وابحـــثـــوا ياعُرْبُ عن تاريخكم

من أنار الدرب للناس ســـوانا؟

حطمـوا من ضـيـعـوا أمـجـادكم
ثم سـامـوكم عـذابا وهوانا
إننى عـانيت مـا عـانيـتـمـو
من لظى الهـول الذى بالأمس كـانا
إن جـرحى نابع من جـرحكم
فـتـعـالوا ننشـد الآن دوانا

* * *

كـان صـوتنا رف أعـمـاقنا
مـثل لحن رائع فـاض حنانا
وتـطـلـعـنـا، تـطـلـعـنـا إلـى
مـصـدر الوحى إلى أعلى ذرانا
فـإذا النسـر مظلٌ كـوننا
بجناحـيـه، حُنوًا وأمـانا
وإذا المنقـذ يرنو نحـونا
ويمـدُّ الكفَّ، يبـرى مـا ضنانا
كـان خـصـبـا خـيِّرًا فى أرضنا
أى أرض أينعت مـثل ثرانا

أنبت الحبَّ وزهرا ناضرا

وحقولا يانعات وجنانا

كان عدلا سابغا كان مُنى

كان إشراقا وآمالا حسانا

كان تقويضا لعرش زائفٍ

ربُّه قد أنفق العمر افتنانا

كان شيئا شامخا فوق النُّهى

كيف يحوى ذلك القَدْرَ نُهانا

***

ناصر أنت لنا النور الذى

أفعم الدرب ضياء وحنانا

فرحةٌ فى أعين الأطفال، فى

خاطر الأيام تهتز امتنانا

نغمة فى ثغر فلاح فتى

أمسك الناى وغنّى فشجانا

أنت أنت الخصب أنت المرتجى

أنت أنت النور قد عمّ سمانا

دمت للعــــرب ســـــراجـــــا هاديا

شــــامــــخــــا قــــد لاح في أُفق عــــلانا

ســــــر على الدرب رســــــولا وكــــــفى

أننا نمــــضى على النهج كــــفــــانا

* * *

أخي العربي

«إلى المعلم في كل بقعة من بقاع الوطن العربي»

أخي في بعث أجيال على التحرير والثورة
على العربية الشماء من أمجادنا.. الحرّهْ
أخي في المهنة الغراء، قم كي نغرس البذرهْ
ليزهر نبتها النامي ونرعى في غدٍ.. زهرهْ
وتنشق أمة الأحرار من زهر المنى عطرهْ
أخي علّم شباب الجيل أن يتشرب الطفرهْ
ويعرف أنها جاءت وليدة قسوةٍ... مرّهْ
لعهدٍ مظلمٍ... داجٍ كئيب... سامنا جورهْ
أخي لقنه أن يعرف في هذا الورى قدرهْ

أخى علمـــه أن يأخـــذ مـــمن قـــد طغى ثأرهْ

من المـــســتــعــمـــر البــاغى الذى كم ســامنا شرّهْ

أخى عـــرفـــه أن النصـــر لم يســـتكمل الدورهْ

وأن عـــدونا صـــاح لنا... يتـــحـــين... الغرّهْ

أخى علمـــه أن يعـــمل فى عـــزم وفى فـــورهْ

ليـــبلغ شـــعـــبنا شـــأوا ويكمل ظافـــرا نصْرهْ

أخى العـربىّ قـد جـمـعت شـتـات شـعـوبنا الفطْرهْ

وتـاريـخ كتبْنـاه بـســــــيــل طـاهـرِ الْحُمْرهْ

فـــعلّم طفلك الناشئ أن يســـتــبـــصـــر العِبْرهْ

فـلا اسـتـعـمـار، لا اسـتـذلال بعـد اليـوم لا سُخْرهْ

ولا رجـــعـــيـــة حـــمـــقـــاء فى أوطاننا الحرّهْ

وإنْ يعـــرض لنا باغٍ حـــفـــرنا هاهنا قـــبـــرهْ

***

لقاء مع النصر

لم تكن دمعة حزنٍ... ما جرت عند الوداع
لم تكن رعشة خوفٍ... ما سرت ملءَ الذراع
كان شيئاً شامخاً، فوق الأسى، فوق الضياعْ
كان إحساساً نبيلاً، دب في النفس وشاعْ

* * *

إنها فرحة أمٍّ، بعد أن صار فتاها
فارساً يستعذب الموت دفاعاً عن حماها
أي شمس تفرش اليوم على الأم ضياها
أي جنات تزفّ الطيب تهديها شذاها

أَو مــــأت والدمع ملءُ العــــين «أن ســـريا بنيّاً»

«ســـر، وعـــين الله ترعـــاك، ولا، لا تخش شـــيّاً»

«كن حسـامـا، كن قناة، كن لعـمـرى سَمـهـريّاً»

«مــزق الأعـداءَ، حطمـــهم، أَجل مـــادمتَ حـــيّاً»

* * *

«فـــإذا متَّ فـــحـســبى ذاك فـــرحـــا، أى فـــرحٍ»

«إنه الغـــرس الذى أنبتُّ قـــد جـــاء بطرحٍ»

«ليالىَ الأسود» فلتــرحل، فــقــد أَقـبل صـبحى»

«بسـمـةً تنسـاب، مـثل النور من أعـمـاق جـرحى»

ثم ضـمـتــه إلى الصــدر، وفى الصــدر أُوارْ

ثم خلّتــه، وعــين الأُم تمــضى حـيث سـارْ

وسنا الدمــعـة شــمس، تتــرك الليل نهــارْ

بينمـــا لمّا يزلْ يخــفق همس، في انبـهــارْ

* * *

ســـر ولُقـيـانا غــدا بين المُنى، بين البـشـائرْ

عــنـدمـــــا تــطـلـع تـلـك الأَرض وردا وأَزاهــرْ

عندمـــا نجـــتث منهـــا الشـــوك، نودى بالدياجـــرْ

عندمـــا تشـــرق شـــمس الحقّ فى أَفق الجـــزائرْ

لم تكن أعماقه قفرا، ولا كانت كذلك
الهوى المشبوب كالبركان، مازال هنالك
غير أن الحبّ، لا يمرح في قلب المهالك
يهدأ الحبُّ ويثوى، حين تشتد المعارك

* * *

لعبةُ الحبّ حرام، حينما نلقى الوطنْ
فى يد الإرهاب، فى الأغلال، فى قيد المحنْ
عندما نلقاه، تحت البطش والظلم يئنْ
فانتظر ياحب واهدأ وارتقب صفو الزمنْ
واسكتى ياهمسة الأشواق واصمت ياغزلْ
واصعدى ياصيحة البعث بأنغام الأملْ
عمرنا أصبح سعيا، ونضالا، وعملْ
وغناءَ الحب وهمٌ، وفراغٌ، وملَلْ

* * *

«بى من الأشواق يا فرحة عمرى فوق مابكْ»
«إن أحلام شبابى هى أحلام شبابكْ»
«غير أن الذئب مازال منى روحى ببابكْ»
«فاتركينى أصرع الذئب لأهنأ برضابكْ»

قال هذا، ثم أصغى في سكون للجوابْ
فإذا الرد ذراعٌ، تتحلىّ بالحراب
هذه كفي، فهل تبصر بالكفّ خضاب
هأنا أمضي، كما تمضي لنغتال الذئابْ

* * *

في غد يصعد صوت الحب من بين البشائرْ
عندما تنبت تلك الأرض وردا، وأزاهرْ
عندما نجتث منها الشوك، نودي بالدياجر
عندما تشرق شمس الحق في أُفق الجزائر
رفرفي يا راية النصر، على أرض الجزائرْ
واصعدي ياشمس شمس البعث واجتاحي الدياجرْ
أنبتي يا أرضنا المعطاء وردا، وأزاهرْ
وانشري في الأُفق أطياف المُنى بين البشائرْ

* * *

أقبل النصر، وها قد جاء كل العائدين
تنضحُ الأعين وجدا واشتياقا، وحنينْ
أُمهات طالما اشتقن إلى عود البنينْ
والعذارى ترقب الأحباب في شوق دفينْ

* * *

إننى أُبصر فى الزحمة يالله، أمَّا
إنه ما عاد، ماذا؟ أى شىءٍ قد ألمَّا
ابنها مات، عجيب كيف لا تضمرهمَّا
أى هم؟ وابنها قد لاح فى الآفاق نجما

* * *

ابنها، مامات تلقاه هنا بين الرجال
كل من كافح منهم، كل من خاض النضالْ
إنه فيهم جميعا، فهو حيًّا لايزالْ
كان فردا واحدا بالأمس، واليوم رجالْ
حطِّمى ياقبضة الإصرار أبواب السجونْ
وابعثى للنور أبطالك من جوف الدجونْ
بعث السجن بها بين جموع العائدينْ
حدقت، فى الناس لا ما كان بين الواقفينْ

* * *

عند هذا استتافت الحسناء من طيب الأزاهرْ
عبق الشوق يغنى فى هتافات الحناجرْ
فى غد يصعد صوت الحب من بين البشائرْ
عندما تشرق شمسُ الحقّ فى أُفق الجزائرْ

* * *

الانتخابات

بين الأمس واليوم

(مهداة إلى الفلاحة التى تمثل بلدتى «شبين القناطر» فى مجلس الأمة)

فى بلدى فازت فلاحهْ عاملة من قلب الريفِ
الثوب الأسود زكاها وكفاحٌ من أجل رغيفِ
أو حقا ذلك ياولدى ستكون هنالك حريهْ
وسيصبح نائبنا حقا من يدرى آلام القريهْ

وأقول أجلْ

فالشعب الكادح لم يصبح قنًا فى حقل الإقطاعى
اليوم يمارس سلطته من بعد خداع وضياع

ويغيب أبى

يرتدُّ هناك مع الذكرى ويعود إلى عهد غابر
يتذكَّر أياماً مرّت فى ظل الإقطاع الجائر

ويقول أبى

كانت ياولدى تدفعنا ضربات السوط إلى اللجْنهْ
والويل لمن يرفع صوتا ستحل بأسرته اللّعْنهْ
أصوات القرية ياولدى للسيِّد أو بعض رفاقهْ
أو حرٌّ من يعطى صوتاً والقيد يجلجل فى ساقه؟
وكثيراً ما كان السيِّدْ ياولدى يجعلنا سلعهْ
يأخذها من يدفع أغلى كقطيع، ياذلَّ البيعهْ
أحراراً كنا ياولدى أو ليست هذى حريَّهْ؟
أو ليس التصويت الجارى أصلاً فى «الديمقراطيَّهْ؟

زيف وخـــــداع، ياولدى   باسم الحـــريَّة والعـــدلِ

والويل لمن يرفع صـــوتًا   الـويـل لـه، كـل الـويْل

عـمك «مـحـمـود» ياولدى   قـــتلـوه بلا أدنى ذنبِ

صـرعـوه، وكل جـريمـتـه   أن أفـصح عن رأى الشـعبِ

ورأيـــت أبـــى

والدمع يبلِّل لحـيـتهُ   فيجفِّف مدمعه الجارى

ويغـيب هنالك فى صـمت   ينبى عن صـدر هدارِ

وتـركـت أبـى

يمضى كى يمنح مختارًا   الصـوت لمن يعرف قدرهْ

مـائـمـة شىءٌ يخـشـاهُ   مـا ثمـة من يرهب جـورهْ

أحـرارا أصـبحنا حـقًّا   نختـار الأصلح والأنفعْ

مـا عـاد هنالك تضليلٌ   مـا عـاد هنالك من يخدعْ

ويصـــبح أبى

وافـرحى فـازت فـلاحـةْ   عـاملةٌ من قلب الريفِ

الثـوب الأسـود زكَّاها   وكـفـاحٌ من أجل رغـيفِ

صيحة عربية

باسم ركب عربى الزحف.. دفّاق المشاعرْ
باسم إطلالة فجر يتحدّى الليل.. ثائرْ
باسم «مليون» شهيد.. عانقوا ترب الجزائرْ
أطلعوا الصبح نديًا.. يتغنى بالبشائرْ
باسمهم أرفع صوتًا عربى الروح.. فائرْ

* * *

باسم نهر من دم حر جرى فى بور سعيدْ
عانق الأرض، لكى يطلع بالفجر الجديد
باسم آيات فداءٍ.. باسم إيمان شهيدْ
قدم الروح.. لكى يحطم أغلال العبيدْ

باسمه أرفع صوتًا.. ثائر الروح.. عنيدْ

* * *

باسمها.. باسم شعوب صارعت ليل دجاها
ورمت بالهول.. بالنقمة من - يوما - رماها
حطمت تابوتها الأسود.. أحييت موميّاها
مزقت ليل أساها.. عانقت صبح سناها
باسمها أرفع صوتي.. صيحةً يعلو صداها

* * *

باسم أرض لم يزل تهفو إلى أصحابها
وقدة اللهفة لم تخمد.. إلى أحبابها
ودموع الشوق ما تنفكُّ.. فى تسكابها
باسمها.. باسم ليوث شردت من غابها
أرسل النفس زئيرًا عاصفًا.. ممًا بها

* * *

باسمها.. باسم البساتين التى كانت ينيعهْ
باسم حقل يجهل الغيب ولا يدرى ربيعهْ
منذ أن جافت مغانيه يد الخصب الوديعهْ
يد فلاح يناغى أرضه البكر.. البديعة
باسمها يزأر صوت البعث.. فى صمت الطبيعة

* * *

باسمها.. باسم الخيام السود، في الأرض العراءْ
باسم من عاشوا بها.. رهن الأسى والبرحاءْ
باسم شيخ، ذابل النظرة.. يطويه العياءْ
وصراخ من صغير.. شقّ صمت الصحراءْ
باسمهم أرفع صوتاً زاخراً بالكبرياءْ

* * *

باسمهم.. باسم الضحايا، والمآسي العربيهْ
أُرسل الصيحة.. تهتز إباء.. وحميّهْ
صفعة في وجههم.. في وجه تجار القضيّهْ
الأُلى خانوا كفاح الشعب.. ساقوه مطيّهْ
نحو أطماع حقيرات.. وأغراض دنيّهْ

* * *

باسم شعب.. قاوم الموت.. أبيا وعنيداً
صيحتي تعلو.. زئيراً عربياً.. ووعيدا
أُتركوها.. حلها ليس كلاماً.. ووعودا
حلها مازال إِصراراً وعزماً وحشودا
ودماً يجري لكي يستنهض الفجر الجديدا

* * *

قصة لاجئ*

قال لي: والدمع في عينيه أنهار سخية
من فلسطين أنا، من هذه الأرض الشقية
هاهنا كان الصبا الحلو، وأحلامي النديةْ
وهنا رويت قلبي خمرة الحب الشهيه
يوم أن قابلتها معشوقة الروح حييةْ
وتغنينا بألحان الهوى العذب الشجيةْ

قال هذا ثم أومأ للحدود
وانثنى يرنو إلى الأفق البعيدْ
ملء عينيه سهوم وشرودْ
وأسىً مرٌّ، وإصرار عنيدْ

(*) فازت بالجائزة الأولى في مهرجان الشعر بدمشق عام ١٩٦١.

ها هنا قد كان لى بيت وبستان صغير
كرمه المعطار يزهى بسنا الحب النضير
كان لى حقل خصيب، ينبت الرزق الوفير
وأنا أغدو سعيداً فوق أرضى كأمير
كان لى زوج حنون تملأ الأرجاء نور
كان لى طفل صغير يترع النفس سرور

قال هذا ثم أومـا للحدودْ
وانثنى يرنو إلى الأفق البعيدْ
ملء عينيه سهوم وشرودْ
وأسى مرٌّ، وإصرار عنيدْ

كنت أشدو ذات يوم وأنا أسعى بحقلى
أبذر الحب، وفى البيت منى عمرى، وطفلى
وخيالى قد تهادى عائداً للبيت، قبلى
ليد قد نسقت لى، بالرضى، طاقات فلّ
فإذا عدت إلى البيت وقد أنهيت شغلى
طاب لى ـ لما أرى الزهر يزين الدار ـ أكلى

قال هذا ثم أومـا للحدودْ
وانثنى يرنو إلى الأفق البعيدْ
ملءُ عينيه سهوم وشهودْ
وأسىً مرٌّ، وإصرار عنيدْ

عـــدت للبـــيت يجـــيش الصـــدر شـــوقًا وحنانا
تســبق الخطو أحـــاســـيـــسى وتجـــتـــاز الزمـــانا
وتنبـــــهت لنفــــسى، أىُّ شــــرٌّ قــــد دهانا
ريح قـلبى، أىُّ هـول يـمـــــــلأُ الـنفـس هـوانـا
أين بيـــــتى، أين زوجى، لا أرى إلاَّ دخـــــانا
وبقـــايا عُشِّى الغـــالى الذى بالصـــبح كـــانا

قــــال هذا ثم أومـــــا للحــــدود
وانثنى يرنو إلى الأُفق البـــعـــيـــدْ
ملءُ عـــينيـــه ســـهـــوم وشـــرودْ
وأسى مـــــرٌّ، وإصـــرار عنيــــدْ

أين حـــقلى، أين أرضى، أين بيـــتى، أين راحْ
أيـن طـفـلـى، أيـن زوجـى، كـل ذا رهـن الـريـاحْ
أخـــذته الريح منى، ومـــضت ذات صـــبـــاحْ
مـــزّقـــتـــه، بدّدته، بعـــثـــرته فى البطاحْ
ثم خلتنى وحـــيـــداً، أقطع العــمـــر نواحْ
قــد فــقــدت الأرض والأهلَ، وآمـــالى الفــســاحْ

قــــال هذا ثم أومـــــا للحــــدود
وانثنى يرنو إلى الأُفق البـــعـــيـــد
ملءُ عـــينيـــه ســـهـــوم وشـــرودْ
وأسى مـــــرٌّ، وإصـــرار عنيــــدْ

حطّم الباغــون آمــالي وأحــلامي النديّةْ
كل شيء قــد مــضى، لمّا تعــدْ منه بقــيّةْ
اليــهــود الخبثْ مــدُّوا كفّ تدمــيــر عــتيّةْ
حطّمــوا حــبي وأشــواقي وأيامي الرضــيّةْ
من فلسطين أنا، من هذه الأرض الشــقــيّةْ
قــال لي هذا وفي عــينيــه أنهــار ســخــيّةْ

وانثنى يرنو لمـا خلف الحــدود
لحــمى عــاث بمــا فــيــه اليــهــودْ
ملءُ عــينيــه ســهــوم وشــرودْ
وأسى مــرٌّ، وإصــرار عنيــدْ

قلت: لا تيــأس أخي، واصــبــر فــإن النصــر آتْ
دع الهمَّ، ولا تحــزن فــمــا قــد فــات فــاتْ
وارقب الفــجــر ومــجّد للعــهــود المــقــبــلاتْ
إننا نعــمــل للبــعــث، فــهــات الكفَّ، هاتْ
قم بنا نســتــرجعْ المــجــد وعــذب الأمنيــاتْ
جــيــشنا البــاسل للزحف تهــيَّا، في ثبــاتْ

قلت هذا وتخطّيت الحــــدودْ
بخــيــالي أرقب الفــجــر الجــديدْ
وأنا أرنو بحــقــد لليــهــودْ
بمــلأ النفس، وإصــرار عنيــدْ

يا أخي أرضك هذي، لن تولّى، لن تضيع
وغداً ترجع للحقل، وللروض المريع
ثم تبني بيتك المنهار، كالحصن المنيع
وتلفُّ البيت أزهار، وريحان بديع
تملأ الأرجاء سحراً كلما حلَّ الربيع
بعد أن نقذف عبر البحر بالجنس الوضيع

قلت هذا وتخطيت الحدود
بخيالي أرقب الفجر الجديدْ
وأنا أرنو بحقد لليهود
بملأ النفس وإصرار عنيدْ

* * *

من وحى الميثاق

الباب الثالث

«جذور النضال المصرى»

أخى فى مـــوطن الأحـــرار يامن تنشـــد النورا
ويامن تبـــتـــغى علماً بمـــا قـــد ظلّ مطمـــورا
أخى هذا هو المـــيـــثـــاق قم فـــاقـــرأه منشـــوراً
أخى قم نقـــرأُ التـــاريخ، قم نقـــرأه مـــسطورا
تبـــدى فى ثيـــاب المـــجـــد مـــزهوّا ومـــســـرورا

* * *

أخى هذا هو المـــيـــثـــاق يجلو ســـرّ مـــاضـــينا
وينـــشـــر نوره الألأق فى أنـحـــــاءِ وادينا

فـــقـم ننهل كـــؤوس النور قم نجْنِ الرياحـــينا
أخى قــد لاح نور الفــجــر يســرى ســحــره فــينا
فــقم نعــبــرْ طريق المــجــد أحــراراً مــيــامــينا

* * *

أخى من عــهــد فــرعــون وأهل الشــرق إخــوان
فـــــلا حـــــدٌ يفــــــرقنا ولا جنس وألوان
تـوحّد بيـنـنـا أبـدا ثـقـــــافـــــات وأديانُ
وكم قـــد ســـامنا بالخـــسف إغـــريق وروم‍ـــانُ
فلم تضـــعف أواصـــرنا ولم تنهـــد أركـــان

* * *

ولمـــــا أقـــبل النور ولاح الهــــدىُ والحقُّ
وجـــاءَ مــحــمــد بالوحى يحــدونا له الشــوق
تردى الليل مــهــزوماً وأدرك صــبــحــه الشــرق
فــلا عــدوان لا طغــيــان لا قــيــدٌ ولا رقُّ
وكــانت شــرعــة الإســلام وصــلا مــاله فــتق

* * *

ولاحت رايـة الإســـــلام فـى أعـلـى روابـيـنـا
وتحت لوائهـــا الرفّاف حـــقـــقنا مـــرامـــينا

وصنًا أقــدس الأمــجــاد صنّاها مــيــامــينا
فلولا فكرنا الثــــقّاب لولا عــــزم أيدينا
لمــا بقــيت حــضــارات ولم تبــصــر هنادينا

* * *

سل التـاريخ عن مـصـر وكـيف اَستـبـسلت مـصـر
غـــداة أتوا صليـبـيـين يكمن فـيـهم الشـرُّ
أتوا يخـفـون أطمـاعًا ويبـدو المـقـصـدُ الطهـرُ
وقــفنا وقــفــة الأبطال حــتى أشــرق النصــرُ
وعــادوا مــثلمــا جــاءوا يواكب سـعـيـهم خسْرُ

* * *

سل التـــاريخ ينبــئنا غــداة تدفق التّتــرُ
وجــاءوا ينشــرون الهــول مــثل الســيل ينحــدرُ
وسل عن أنفس الأســفــار سـوف يجـيـبك النّهرُ
ويحكى كـيف قـد ألقـوا بهــا للمــاء إذ عــبــروا
ســعـــار الجــهل هيــجــهم فلم يبــقــوا ولم يذروا

* * *

ويمــضى الســيل مــزهوًا يغــول الحــرث والنســلا
وينشــر فى جــوانب شــرقنا التــخــريب والويلا

وقـــفنا كلنا صـــفاً **لنمنع** ذلك الســـيـــلا
نصـــون حـــضـــارة **الإنســـان** أن تفنى وأن تبلى
وسل عن هول مـــا نالوا **دمـــاءً** تمـــلأُ الســـهـــلا

* * *

ولمـــا خـــيّم الليل وعمّ **الجـــهل** واســـتـــفـــحلْ
تبـــدّى الأزهر المـــعـــمـــور حـــصن كـــفـــاحنا الأمـــثل
يصـــون ثقـــافـــة الأجـــيـــال **أن** تخـــبـــو وأن تذبلْ
ورغم خـــلافـــة **الأتراك والتـــضليل** لم يأفل
وظلّ منوراً أبدا وكـــان **لليلهم** مـــعـــولْ

* * *

ولمـــا جـــاءَ نابليـــون **لم** يحـــمل لنا النورا
كـــمـــا زعم الأُلى كم **أتقنوا** التـــمـــويهَ والزورا
فـــحـــين أتى إلى مـــصـــر **يغـــذ** الســـيـــر مـــغـــرورا
رآنا نرفض **التـــضـــليـــل** باسم الدين تزويرا
ونصـــرخ في وجـــوه **التـــرك** تهـــديداً وتحـــذيرا

* * *

إذَنْ **قـــد** جـــاءَ نابليـــون والأقـــوام يقْظانهْ
تقـــاوم سطوة التـــركيّ **لا** تحـــفل طغـــيـــانَهْ

أتى بالعلم والأرواح للأنوار ظمآنه
فكان لشعبنا زادا يغذى فيه إيمانه
هو الصرح الذى أرست كنوز الشرق أركانه

* * *

لمحنا فى علوم الغرب نور الشرق لا يخبو
هو النور الذى أفشى وميض شعاعه الغربُ
فكان لأمتى ثقة بها قد أُتْرِع القلبُ
بضاعتنا وقد ردت إلينا أشرق الدربُ
فسرنا فى طريق النور أحرارًا لما نصبو

* * *

ويأتى باعة الدخان فى أثواب قواد
صنعناهم بأيدينا وكانوا بعض أجنادِ
فلما استحكموا فينا وصاروا سادة الوادى
مضوا بالبغى يندفعون فى نهب وإفسادِ
وظل الجور من جد لأبناء لأحفاد

* * *

نسوا تدبير أجدادى لكى يرسوا لهم حكما
وسادوا فى مطامعهم لنيل المقصد الأسمى!

لملك شــاسع خــصب يزف إليــهم النعــمى

وجــرُّوا مــصــر خلفــهم كــثــور ضــائع أعــمى

ومــا كنا ســوى جــســر يحــقق ذلك الحلمــا

* * *

سل اليــابان، واليــابان قــد باتت كــمــا تدرى

مـضت في مـوكب التـعـمـيـر من نصـر إلى نصـر

بدأُنا يوم أن بدأت إلى أهدافــهــا تســرى

فكيف نظلُّ في هذا المــقــام الأتعس المــزرى

وتنهض دولة اليــابان، تنهض بالمنى الغــرّ

* * *

تريد الســرّ؟ إن الســرّ في الحكام والحكمِ

فــمــا قــد حل باليــابان مــا قــد ذقت من ظلم

ومــا عــادوا كــمــا عــدنا بُعــيْد الصــحــو للنومِ

أقــمت التــرك حكامــا ليــبنوا المــجــد في قــومى

فلم نغنم ســوى النهب، ولم نربح ســوى الغُرْم

* * *

ويومُ رشــيــد لا أنســاه لمــا غــاب حكامى

وجــاءَ فــريزر يســعى بجــيش صــاخب طامِ

فلولا همـــة الأجـــداد، لولا عـــزمنا الدامى
ولــولا ردُنــا فــى بــأس وإقــــــدام
تقــدم عــهــد الاســتــعــمــار فى مــصــر بأعــوام

* * *

ولمـا باءَ الاسـتـعـمـار بعـد الغـزو بالخـيـبـهْ
مـضى يتـدبر الأسـبـاب حـتى يُحكم اللعـبـهْ
وكــان الشــعب من حكامــه الأتراك فى نكبـهْ
ضـروب الظلم قـد عـصـفت به، قـد عـتـمت دربهْ
فـألفى الغـرب فـرصـتـه لكيـمـا ينزل الضـربهْ

* * *

وكــانت نكســة الآمــال بابا للأُلى احــتكروا
فـجـاءوا مـصـرنا يرسـون مـا رسـمـوا ومـا ابتكروا
وصــارت أرضنا حـقـلا لمـا غـرسـوا ومـا بذروا
هنا القطن الذى يبـغـيـه مـصنعـهم، هنا الخطرُ
هنا مـا يبـتـغى من أرضنا المـسـتـعـمـر القـذرْ

* * *

وسل شـــهـــداءنا عن ذلك الجـــرح الذى شــقُوا
لقــد شــقــوه فى صــدرى، ويالأليم مــا شــقُوا

قناة لم تكن إلا لغزوك أيها الشرقُ
هى استغلالهم أرضى، هى الأغلال والرقُّ
بها يثرى أعادينا، ويشقى من له الحقُّ

* * *

وصارت أرضنا مأوى لأفاق ودجالِ
لكل مغامر يبغى عظيم الجاه والمالِ
وأضحى السادة الأمراءُ أُلْهِيَة لمحتالِ
ينال بمكره ما رام من معسول آمالِ
فيالقساوة الأقدار، يالفداحة الحالِ

* * *

ورغم فجيعة الآمال لم تستسلم الأُمَّهْ
ووظلت تخزن الطاقات، تحفز ميت الهمَّهْ
هو العلم الذى نلناه يوم انزاحت الغمهْ
وقبل رجوع هذا الليل، قبل مآبة الظلمَهْ
غداة انساب صوب الغرب فوج يبتغي علْمهْ

* * *

لقد كانت علوم الغرب فى أعماقنا بذْرا
وفوق ضفاف وادى النيل أطلع نبتها زهرا

وأينع نوْرها الألأق حـــوَّل ليلنا فـــجـــرا
أضــاءَ فــجــاءَت الأفــواج جــاءت حــرة تتــرى
هـم الأحــــرار قـــد كنا لـهـم إذ شُتِّتُوا صــــدرا

* * *

وأضـــحت مـــصـــر جـــامـــعـــة لكل مكافح حـــرُ
بهـــا ينســـاب فى دعـــة ويأْمن غـــائل الشـــرّ
فـأفـزع ذاك من عـاشـوا على استـغـلالهم خـيـرى
من المـسـتـعـمـرين الخُبْث، مـمن أضـمـروا ضُرى
فـضـمـوا الصـدر فى غيظٍ على استـعبـادهم مـصـرى

* * *

وباتت أعـــين السكســـون لا تغـــفـــو من الســـهـــدِ
فـــهـــذى ثورة الأحـــرار قـــد لاحت على البـــعـــدِ
تهـدد كل مـــا صنعـــوا لهم فى الشـــرق من مـــجـــد
ومـــصـــــر تلوحُ جـــوهرة لهم فى سكة الهندِ
فلو وضـــعـــوا هنا يدهم لكانت درة العـــقـــدِ

* * *

وتمـــضى نكســـة الآمـــال تمـــضى فى مـــســاريهـــا
ولاحت خـــســـة الأتراك فى أســـوا مـــســاويهـــا

وهبّت ثورة الأحـــرار أشـــعلهـــا عُرابيـــهـــا
يدافع عن حـــقـــوق الشـــعب لا يخـــشى أعـــاديهـــا
وتعلو صـــيـــحـــة الأحـــرار، صـــوت الحقّ يمـــيلهـــا

* * *

ويندفع الخـــديو النذل بالأعـــداءِ يســـتنجـــدْ
فـــيـــاللخـــائن المـــأفـــون، ياللمـــارق الأوغـــدْ
فـــيـــأتى جـــيـــشـــهـم يســـعى إلى أوطاننا يُرعـــدْ
فـــقـــاومناه قـــاومناه لم نخـــضع ولم نســـجـــدْ
ولولا الخـــائن المـــأجـــور لم نهـــزم ونســـتـــعـــبـــدْ

* * *

ورغم ضـــراوة السكســـون واســـتـــشـــرائهم فـــينا
ورغم جـــهـــود من أرســـوا احـــتكارهمُ بوادينا
ورغم فظائع الإقطاع واســـتـــغـــلال أرضـــينا
تحـــدينا ولم نيـــأس ولم نقـــبع مـــســـاكـــينا
ولم تطفئْ رياح اليـــأس شـــعلتنا بأيدينا

* * *

وظل صـــدى النداءِ الحـــرّ يعلو فى نواحـــينا
يعـــبـــر عن إرادتنا التى لم تنتكس حـــينا

اليقظة الكبرى التى قد أشرقت فينا
وهبت ثمّ أصوات تحركنا، تنادينا
أُحسُّ بها على الآماد صوتك ياعرابينا

* * *

وكانت فترة الإخصاب رغم ـ مظاهر الضعفِ
ورغم عوامل التفتيت للأعماق والنسفِ
ورغم البطش والتهديد والإرهاب والعسفَ
وكانت فترة التجميع تدعم وحدة الصفّ
وأعدانا نقاوم دفعة التيار فى عنف

* * *

فإنْ يصمت عرابىٌ فقد هب الفتى كاملْ
يعبر عن مطالبنا بعزم القائد الباسلْ
ويدعو فى سبيل الحقّ، حق كفاحنا الكاملْ
وأُستاذ البلاد الفذُّ هب يقاوم الباطلْ
وينفخ فى شباب الدين روح العالم الفاضل

* * *

وهذا صوت لطْفى معلم جيلنا الثائرْ
ينادى «مصرُ للمصرىّ» لا لمغامر تاجرْ

ولا لحـــثـــالة الأتراك أو مـــســـتـــعـــمـــر جـــائرْ
و «قـــاسم» هبَّ يدعـــونا بصـــوت راعـــد زائرْ
لنطلع بعـــد طول الليل صـــبح المـــرأة الســـافـــرْ

* * *

وظل الشـــعب مـــغلوبا يصـــرِّف غـــيـــره أمْرَهْ
إلى أن جـــاءَه ســـعـــدٌ فـــهب الشـــعب بالثـــوْرة
تحـــرك شـــعـــبنا العـــمـــلاق كـــالبـــركـــان فى فـــورهْ
يدافع عن تحـــرّره فـــلا اســـتـــعـــبـــاد لا ســـخـــرهْ
فـــهل حـــسـبـــوا حـــساب الشعب هل عـــرفـــوا له قَدْرهْ

* * *

فـــيـــاكـــم لوّحـــوا بروائع الآمـــال للشـــعبِ
إذا مـــا مـــدّهم بالعـــون بالنجـــدات فى الحـــربِ
فلمـــا تـمت الحـــرب وآل النصـــر للغـــربِ
نســـوا الوعـــد الذى قطعـــوه يالبـــشـــاعـــة الكذْبِ
فـــهب الشـــعب مندفـــعاً وبات النصـــر عن قـــرب

* * *

ويركب ســـعـــدنا المـــغـــوار صـــهـــوَةَ هذه الثـــورهْ
ويمـــضى ينشـــد الآمـــال.. فى درب المنى الحـــرّهْ

وخلف لوائه تمضى جموع الشعب فى فوره

هو الشعب الذى ياكم نسوا من جهلهم قدرهْ

يلقن من سقوهُ المرّ. بعض دروسه المرّهْ

* * *

وتهدأُ ثورة الأَحرار تخبو جذوة النارِ

فأَين لهيب بركان. وأَين كفاح أَحرارِ

تبخر كل هذا السيل عن أَشباه ثُوارِ

ودستور بلا طعم بلا معنى وأَفكارِ

وأَحزاب مفرقة غفت والذئب بالدارِ

* * *

نسوا الشعب الذى كان الوقود لهذه الثورهْ

فظل رهين حاجته يقاسى عيشةً مرّهْ

وما مدّوا وراءَ حدود سيناءٍ لهم نَظْرهْ

نسوا قومية الأَجداد ما أَبهوا بها مرّهْ

وأَرسى وعده «بلفور» لم يتدبروا أَمرهْ

* * *

وإِن أَنْس فلن أَنسى معاهدة كتبناها

وصفقنا لها حينا وإِن نعقل لْعنّاها

وحــــين أفــــاقت الأرواح وانزاحت حُمــــيّاها
عـــرفنا أىّ تضليل فـــقـــمنا ورفـــضناها
وثرنا مـــــرة أُخـــــرى ورايتنا رفـــــعناها

***

خُدعنا دون أن ندرى ببـــعض قـــشـــور آمـــالِ
فـــيـالخـديعـة الأعـــداءِ بالضَـيـــاع أجـيـالِ
بواجـــــهـــة مـــزيفـــة خُدعْنا.. أىُّ إذلال؟!!
أأســــيـــاد وهذا الشـــرُّ لم يأذن بتـــرحـــال
أدســـتـــور ونحن نعـــيش فى ســـجن وأغـــلال

***

وزاد الليل تعـتـيـمـا ومـاج الشـر واسـتـفـحل
ومـــالك أمـــرنا مـــاضٍ بدرب الغىّ لا يســـأل
ولـمــــا آذن الله لـهــــذا الـليـل أن يـرحـلْ
وهبت ثورة الأحــرارِ يحــمل كــفُّهــا المــعــولْ
مــضت تجــتثُّ مــا شــادوا بليل الفــتنة الأليلْ

***

ولاح الصـــبح ألأقـــا وشـــعـــشع نوره فـــينا
وأشـــرقت المُنى الغـــرّاءُ فى آفـــاق وادينا

فـــلا غـــازٍ يهـــددنا وينهب خـــيـــر أرضـــينا
وحـــاكـــمنا فـــتىً منّا تحـــرّكـــه أمـــانينا
وســـرنا فى طريق النور أحـــراراً مـــيـــامـــينا

***

أخى والوحـــدة الشـــمّاءُ قـــد صـــارت لنا دربا
زرعناها رياحـــينا فـــأزهر نبـــتـــهـــا الحبّا
توحـــدنا أخى روحـــا تعـــانقنا هنا قلبـــا
فـــقـــومى راية الآمـــال قـــومى عـــانقى العُرْبا
فـــهـــاهم قـــد مـــضـــوا صـــفاً إلى آمـــالهم وثّبـــا

***

أخى هذا هو المـــيـــثـــاقُ قـــد أزجى لك النورا
وأخـــرج كل مـــا قـــد كـــان تحت الزيف مطمـــورا
فـــقم نقـــسمْ أخى العـــربىَّ أن نبْقيـــه منشـــورا
ليـــحـــفظ مـــجـــدنا فى الأرض للأجـــيـــال مـــسطورا
ويحـــيـــا شـــعـــبنا العـــربىُّ... يحـــيـــا العـــمـــر مـــسرورا

***

الضياع
فى
المدن المزدحمة

ديوان شعر

١٩٨٠

الإهداء

إلى والدى..

وهو قرير فى مثواه..

حتى يدرك..

أننى لم ولن أنساه..

عبد المنعم

إنه يقبل فى موعده

ذات ليله..

جاءنى..

دقّ على بابى برفق..

حينما أبصرته بالباب غشّانى الفرَح..

لم أكد أبصره، حتى اختفى..

لمحةً، وانصرفا..

أترى تلك الزيارة..

لم تكن إلا بشارة..

إنه لا شكّ آت..

ذات يوم..

أتراه أدرك الشكّ الذى دبّ بقلبى فأتى..

إن يكن هذا الذى يعنيه من تلك الزيارة..

إن يكن أدرك شكّمى، فأتى..

واخجلتا!!..

واخجلتا!!..

* * *أأرقبوهُ..

إنه يقبل فى موعده..
واهمٌ مَنْ ظنّه يخلف وعده..
واهمٌ مَنْ ظنّه ليس يجئ..
إنه يقبل وحده..
غير أن الموعد المضروب ما زال بعيداً وسيأتى..
دون أن ندعوه يأتى..
ذات يوم..
فاطرحوا الشكّ بعيداً..
اطرحوهُ..
إنه يقبل فى موعده.
فارقبوهُ..

١٩٧٩م

والحب له وجه ثالث

لا، لم تكن أنتِ..
أقسمتُ أنكِ لم تكونيها..
لا لا، ولم يكُ ملمحٌ منكِ..
أو لمسةٌ فيها..
الوجه غير الوجهِ..
كان الوجه بستانًا..
وهذا الوجه مسخٌ كالحٌ..
أفعى، يطل السمُّ من فيها..
لا، لم تكن أنتِ..
لا، لم تكونيها..

* * *

لا، لم تكن أنتِ..

لا، لم تكونيها..

تلك التى قد أغلقت فى وجهىَ البابا..

هذا الصباح، وأدبرت عنّى..

لا، لم تكونيها..

إنّ التى بالأمس صافحنى، طيبُ الشذا فيها..

كانت سحابةَ رحمةٍ وندًى..

كان الغمام رضًى يوافيها..

كانت رحيق مُنىً يباركنا..

كف النموِّ تطوفُ بالنبتِ..

كانت..

فهل يتغير الإنسان؟.

قولى: هل تغيرت..

لا، لم تكن أنتِ..

لا، لم تكونيها..

* * *

إنى أسائل وجهك الأمسّى..

وجهًا لم يزل يحيا..

فى خاطرى، كالأمس، وجهاً رائعاً نضرا..
وجهاً يبثُّ مشاعراً خُضْرا..
أترى ضللتُ الدربَ..
يا من كنت حتى الأمس لى الأزهار والعطرا..
أو ليس هذا الباب بابكِ؟
أم تُرى ضلَّ الطريقَ إليكِ إحساسى..
العطرُ، كان الأمس، يرشدُنى..
يقودُ خطاىَ..
كان العطرُ نبراسى..
واليومَ، لا عطرٌ يقودُ خطاىَ..
جفَّ العطرُ بالكاسِ..

* * *

لا، لم تكن أنتِ..
لا، لم تكونيها..
إنِّى ضللت الدرب..
كان العطرُ منْسأتى..
أجلْ، كان الأريج إليك عكازى..
من يرشدُ الأعمى سوى عكازه..
ودبيبُ أنفاسى..

أترى ضللتُ الدربَ..
أم ضلَّ الطريقَ إليكِ إحساسي..

١٩٧٨م

الظــلال

طغتْ الظلالُ على الظلالْ..
الظلُّ يزحم بعضُه بعضاً..
ويلتهمُ المجالْ..
ما عاد من شيءٍ هنا، غيرُ الظلالْ..
الظلُّ يزحف ما يزالْ..
الظلُّ بالظلِّ استطالْ..
الظل يلتهمُ الرجالْ..
والناس قد أضحَوا ظلالْ..
يا ويلتاه على الرجالْ..
يا ويلتاه على الرجالْ..
ونحن في زمن الظلال..

* * *

بالأمس كنا سائرين..
نمضى ثلاثة أصدقاءٍ فى طريق الشمسِ..
والظلُّ اللعين..
ينسابُ، فى صمتٍ.. كأفعى..
لم يلتفت أحدٌ وراءه..
كى يبصر الظلَّ الذى ينساب فى خطوٍ مريب..
فالظلُّ ليس له دبيب..
الظلُّ يزحفُ فى سكون..
يخفى ببردته المنون..
وكمثل لمح البرق ينقضُّ اللعين..
الظلُّ يخطف واحدًا منّا..
فنجرى هالعين..
نجرى ونجرى والظلال.
من كلِّ صوبٍ خلفنا تعدو الظلال..
ونظلُّ نركض، والظلال..
تجرى وتجرى فى سكون..
ونظرت حولى، لم يعد أحدٌ هناك..
حتى الصديق..
هذا الصديق الأوحد المسكين، غالته الظلال..

* * *

يا سادتى..
عفواً إذا ما كنت قد صرحتُ، بالسر الخبىء..
عفواً إذا ما كان فيما قلت، أشياءٌ تروع..
فهى الحقيقة، والحقيقة قد تروع..
لكننى، يا سادتى..
من يومها، وأنا أخاف من الظلال..
أبدًا تروِّعنى الظلال..
فلقد رأيت الظلَّ رؤى العينِ، يلتهم الرجال..
من يومها، وقد اتخذت الشمسَ، درعًا لى، لترهبنى الظلال..
ونصيحتى..
لا يمسكنَ أحدٌ مظلّةْ..
فالظلُ يسقط من خلال قماشها
فوق الرءوس كمطرقة..
لا يَركنَن أحدٌ إلى ظلٍّ لبيت..
فالظلُّ يبرز من زواياه..
ليجدل مشنقة..
لا يأوين أحدٌ إلى بعض الجدر..
فالظل يخرج من خلال طلائه، كفًا على الأعناق تهوى مطبقة..
لا يسكنن أحدٌ بدارٍ ذاتِ سقف..

فالظل كالأشباح يقطن فى البيوت المغلقة..

ولتحذروا ظلّ الشجر..

فالظلُّ يهبط من خلال فروعه، ينقض مثل الصاعقة..

ولتحتموا، بالشمس، من غدر الظلال..

فالظلُّ يلتهم الرجال..

يا ويلتاه على الرجال..

١٩٧٩م

مجرد ملاحظات

(١)

لأنَّ العلم أصبحَ هذه الأيام محسوبًا على الإنسان..

لأنَّ العلمَ أصبح هذه الأيام، يسلمنا بلا رفقٍ إلى السجان..

لأنَّ العلم أصبح هذه الأيامَ..

يوردنا لظى القضبان..

علمت، وقلت: لا أعلم..

فثوب الجهل بردتنا..

بها يتنكر الإنسان..

بها ينجو من الطغيان..

* * *

(٢)

رأيت، رأيت فى الدنيا..
إلى أن عدت، لا أبصر..
وقد أنكرت أشياء..
إلى أن صرتُ لا أنكر.
فهل من بينكم رجلٌ..
شجاع القلب، يخبرنى..
متى يتكلم الإنسان..
متى عن رأيه ينبى..
متى عما رأى يخبر..

(٣)

عمى الألوان عمَّ الناسَ فى هذا الزمان، فلم تعد تتميز الألوان..
ذاب اللونُ فى اللونِ..
فأصبح أخضراً ما كان أحمر أمس فى عينى وأصبح أسوداً
ما كان أبيض منذ يومين..
فإن أبصرت زنجياً..
يذوب بحضن بيضاءَ..
وإن أبصرتَ أبيضَ، قد تأبط ذندَ سوداءَ..

فلا تحسب بأنّ الناس، قد نبذوا التفرّقَ، لم يعد لتباين الألوان والأجناس، فيما بينهم شانُ..

أخي، لا تنبهر بالمظهر البراق، لا تخدعك ألوانُ..

ففي زمنٍ، عمى الألوانِ عمَّ الناسَ فيهِ، يضيع طعم اللونِ في العين..

يذوب اللون في اللونِ..

فيصبح أخضراً، ما كان أحمرَ أمسِ في العين..

ويصبح أسوداً، ما كان أبيض منذ يومين..

(٤)

ضجيجٌ كلُّ ما في الكونِ، ما عادت تميز أذننا الأصوات..

أنينٌ ذاك ما أسمع؟

أم هذا صدى ضحكات..

وكلٌّ يشتكي وصلا..

وكلٌّ يرسل الآهات..

وليلى لم تعد تسمع، تاهت سائر الأصوات..

وهذا الشاعر المبحوح صوتا، هل تُرى يمدح؟

أم يتصيد السقطات..

وهذا الشيخ: هل يدعو لنا؟

أم يرسل اللعنات..

يذوب الصوتُ فى الصوتِ، تضيعُ معالم الأصواتْ..
فهل من لحظةٍ نصمتُ، حتى نسمع الأصوات..
فنعرف إن نكن نحيا، فمن يدرى؟..
فقد ندركُ عند الصمت..
أنَّا كلُّنا أموات..

١٩٧٩م

مرثية نهر كان يضج بالحياة

(١)

صوتُ انكسار الموج، عند المُنحَنَى الصخريّ، مُرتَدٌّ بأعماقى صداه..
والنهر ضاقت ضفتّاه..
قيدان يلتفان فى عنف، على عنقٍ تضجُّ بها الحياة..
فيظل يهدر، رغم عنف القيد ما كلّت قواه.
غرز الأظافر فى نتوء الصخر، لم تضعف يداه..
يطغى حنيناً للخروج من الإسار، إلى احتضان البحر، كم حلمت رؤاه..
هذا الحنين إلى انفساح الأفقِ، من يدرى مداه؟

* * *

(٢)

صوت انكسار الموج، عند المنحنى الصخريّ، يهدر فى العراء..
يسرى كوحشىّ الغناء..

ترتدُّ موسيقاه في صدري، فيغلبني البكاء..
والحزن يكتنف المساء..
ماذا عليَّ، لو انخرطتُ كأيِّ طفل في البكاء؟.
ماذا عليَّ، لو انخرطت كأيِّ طفل في البكاء؟..

(٣)

صوتُ انكسار الموج، عند المنحنى الصخريِّ، يعلو ما يزال..
ينساب ما بين التلال..
وصداه يأتي من بعيد، شاجياً صمت الليال..
فكأنه رجع ابتهال..
لمسافر عبر الدروب، يودُّ لو حط الرحال..
الدربُ طال به، متى يصل الرحيل إلى قرار..
الدرب طالَ، متى القرارُ؟..
متى يودِّع الارتحال؟

(٤)

صوت انكسار الموج، عند المنحنى الصخريِّ، يأتي من بعيد..
يسري كأصداء النشيد..

كغناء جنديٍّ وحيد..
سقط الرفاقُ، ولم يعد إلاَّهُ، يَصفُر، يستعيدُ،
أصداء موسيقى المعارك، رجع قعقعة الحديد..
وتذوب أصداء الغناءِ، ويقبع الصمت المديد..

(٥)

صوت انكسار الموج، عند المنحنى الصخريِّ، ذاب مع السكون..
مدَّت إليهِ يد المنون..
الصمت عانق كلَّ شيء..
وحشٌ كئيب السمتِ، يمرق في الظلام..
اغمض عيونَك كي تنام..
اغمض عيونك كي تنام..
فالنهر ذاب، ولن يعود..
ما عاد إلا صفحة جوفاءَ، في سفر الوجود..

١٩٧٥م

المتنبى يشكو سيف الدولة..

يا سيف الدولة..

يا سيفَ الدولةِ، يا حمدانى..

اسمح لى أن أخرج من قيد ولائى لك..

اسمح لى أن أفلت من قبضة هذا الإعجاب بشخصيتك الفذة..

اسمح لى أن أطرح عنى لحظة..

أغلال الإخلاص لشخصك..

أثقال الإكبار لقدرك..

اسمح لى يا سيف الدولة..

أن أصرخ فى وجهك مرة..

اسمح لى أن أرفع مظلمتى للتاريخ..

اسمح لى أن أشكوك، ولو مرة..

يا سيف الدولة..

يا سيف الدولة يا حمدانى..

ولنروِ القصةَ من مبدئِها..

* * *

حين أتيتك يا سيفَ الدولة..

كنت تعبت كثيراً، من طول التطوافِ..

ما بين ضفافٍ وضفافِ..

بحثًا عن أملٍ منشودِ..

بحثًا عن بطلٍ موعودِ..

يتحقق فيه رجاء الأمة..

يكشف عنّا تلك الغمّة..

* * *

طوّفت طويلا فى كل الأنحاء..

ألقتنى الأرجاء إلى الأرجاء..

حتى جئتك..

يا سيفَ الدولة

يا سيفَ الدولةِ يا حمدانى..

فهتفت الآن..

الآن فحسب..
يمكنني أن أرتاح..
ولزمت بلاطَك..
عشت بقربكَ يا سيفَ الدولة..
مبهوراً بالأمجاد.
أطفأت الظمأ الحارق في الأعماق..
أن أبصر إنساناً عربياً..
تتجسّم فيه الآمال..
يتجمع فيه جميع الأبطال..
ووجدتك يا سيف الدولة..
حلمي المنتظر، وحلم الأجيال،
ولهذا يا سيف الدولة..
أعطيتك أغلى ما عندى..
أعطيتك شعرى كله..
والشعر وجودى يا سيف الدولة..
الشعر حياتي، فكأني أعطيتك عمرى..
وبقدر عطائي تعرف قدرى..

* * *

وبرغم ذكائك يا سيف الدولة..
لم تبصر منى إلا فرداً بين الشعراء..
فرداً كجميع الشعراء..
لم تدرك منى إلا إنساناً يتغنى بحياتك..
لم تدرك أنى أنشد ذاتى فى ذاتك..
لم تدرك أنى حين عثرت عليك..
كنت أفتش عمن يعثر بى..
يبصر كلٌّ منا الآخر فى مرآة الآخر..
وبقدر شموخك يا سيف الدولة..
يشمخ ذكرى..

* * *

أن يدرك قدرى إنسانٌ عادى، ليس بذى بال..
أما أن يدرك قدرى بطل الأبطال..
فذلك أمل الآمال..
لكنك يا سيف الدولة..
لم تلمح منى إلا الشاعر، فى جوق المدّاحين..
لم تبصر منى إلا المترنم بالأمجاد..
إلا المتغنى بمآثر سيف الدولة..
البطل الظافر سيف الدولة..

كنت أراك أميرَ الأمراء..
وكنتَ تراني أحد الشعراء..
والشعراء لديكَ كثيرون..
يتساوى في ذاك المتنبي والأقزام..
فالكلُّ يغني في جوقٍ، يطربك بأشهى الأنغام..

* * *

والآن اسمح لي أن أصرخَ..
أن أعلنَ عن سخطي مرة..
يا سيفَ الدولة أنت المسئول..
عن ضعتي تلك وإذلالي..
عما قد آل له حالي..
أنت المسئول..
إن كنت لجأت إلى الحجّام..
أن أبصر نفسي في صفٍّ، أنا والشعراء الأقزام..
أمرٌ صعب..
شيءٌ لا يقبله مثلي..
واسمعها الآن، فلن أخشى، أن أصرخَ في وجهك مرة..
إن كان العدل بأن يمسي، مثل المتنبي معدوداً، في صفٍّ الشعراء جميعاً..
حتى الشعراء الأقزام..

لا ظلمَ إذن، فى أن تصبحَ يا سيف الدولة، معدوداً ما بين جميع الحكام..

فى صفٍّ فيه الأمراء، وبينهم هذا الحجام..

* * *

لكنَّك أنت المسئول..

يا سيفَ الدولة..

ولهذا أرفع مظلمتى..

أشكوكَ أمام التاريخ..

ولتسمع آذان الدنيا..

إنى لم أهبط من أفقى..

وأغادر قمة عليائى..

لم أنزلْ من برج سمائى..

إلا لمَّا قد أبصرتك، يا سيفَ الدولةِ تحشُرنى، فرداً كجميع الشعراء..

فأكونُ لديك..

فى صفٍّ واحد..

وأنا المتنبى..

ما بين الشعراء جميعاً..

حتى الأقزام..

ولهذا سرتُ إلى الحجَّام..

* * *

وأكرر يا سيفَ الدولة..

ولتكتبْ كلُّ الأقلام..

إن كان العدلُ بأن يُمسى، مثل المتنبى معدوداً، فى صفِّ جميع الشعراء..

حتى الشعراء الأقزام..

لا ظلمَ إذن، فى أن تصبح يا سيفَ الدولة، معدوداً ما بين جميع الحكام..

فى صفٍّ فيه الأمراء، وبينهم هذا الحجَّام..

١٩٧٩م

مشاهد فوق مرآة مشروخة

(١)

نسيت حين دخول المعبد، أن تخلعَ نعليها..

دخلت حافية الرأس، مدثَّرة القدمين..

علت الدهشةُ وجه الناس..

واعجبًا..

لم يسأل أحدٌ نفسه..

حين رآها تسجدُ، والنعلان بقدميها..

والرأسُ بغير غطاء..

هل صلت متوضئة، أم صلت دون وضوء..

في هذا الزمن الموبوء..

* * *

(٢)

هذا يومٌ مثل جميع الأيام..
أدّيتُ صلاتى فيه، ومارستُ الأفعال..
واغتبت فلانًا وفلانًا..
وتركت عنان النظرات..
لتعربدَ فى جسد امرأة حسناء، تفتّح ريانًا..
تتجول عبر الثديين..
تتسلق فوق الساقين..
ورجعت إلى البيت مساءً، كى أقرأ وردى الليليًا..
وأنام سعيدًا مرضيًا..

(٣)

أبصرت القردةَ هذا اليوم..
تتجوّل فى أبهاء المسجد..
تعبث بنقوش سجاجيده..
وتبول على رأس العباد..
أبعدها الناس عن السجاد..
ودعوها تعبث بالعُبّاد..
لم ألمح أحدًا ممتعضًا مما يجرى..
لم تبد فرائص مرتعدة..

لم يسأل أحدٌ صاحبه..
من فتح الباب لتلك القردة؟..

(٤)

هأنذا أنظر فى قلقٍ..
من خلف زجاج نويفذتى..
فى تلك الليلة..
والريح الرعناء تعربد خارجها..
يرهقنى إحساسٌ ليلىٌّ، لا أدرى كنهه..
وبقرب عمود مستتر، من جملة أعمدة النور.
وقفت غانيةٌ ترتعد..
وبقرب عمودٍ منطفئ..
وقفت سائلة تترقب..
مدّت يدها فى استرخاء..
لا فاسقَ يخرج الليلة..
فالبرد شديد..
لا محسن يبرز تلكَ الساعة..
فالليل عنيد..
وأخيراً، تمضى الغانية قد شدّت قامتها شداً..
وتفتش فى قلب حقيبتها..

كي تخرج شيئاً..
وضعته بكف الشحاذة..
بسمت، وتتمتم شفتاها..
تبتسم الغانية، وتمضى..
والليل قد ابتلع خطاها..

(٥)

فى الأفق الغربىِّ تهاوت، من شاهق قمتها نجمه..
تتدحرج من عينى دمعه..
ما أغربَ تلك الأيّاما..
أغلق نافذتى، لأناما..

١٩٧٩

المـــأزق

يا ولدى، خُذْ بيدى..

أرشدنى، إنى تهت..

أتعثرُ فى ظلمات، لا أدرى أولها من آخرها..

أخشى أن تهلكنى عثره..

أن أسقط فى حفرة..

يا ولدى، خذ بيدى..

هذا زمن المتخفين..

تبصرهم فى كلِّ مكانٍ، لا تدرى من هم..

أفئدةٌ من صخرٍ، ووجوهٌ من طين..

ألمحهم فى كل زقاقٍ منتشرين..

تخدعك الطيبة فى أعينهم..

هذا زمن الدجالين..
يذبح فيه الإنسان بلا سكين..
ويصلون عليه بغيرِ وضوءٍ، ويعودون..
وكما ذهبوا مبتسمين..
يا ولدى، خذ بلسانى..
علمنى كيف يكون كلام الناسِ، بهذا العصر..
أخشى أن أتكلم فالكلمات مشانق
أخشى أن تدفعنى كلماتى من حالق..
يا ولدى، من يرشدنى..
أين الحقُّ وأين الباطل؟
ماذا يجب وما لا يجب من الأقوال..
ماذا يجب وما لا يجب من الأفعال..

***

يا ولدى، خذ بيدى..
أرشدنى إنى تهت..
مالك تقبع فى أحضان الصمت؟..
يبدو أنك أكثر منى حيره..
حسناً، فلنتساند..
تصبح عكازى، أصبح عكازَك..

مالك لا تتكلم..
حسناً، اسمعْ منى..
إنّ الأفضل ألا نهمس همسةْ..
نتوارى، نقبعُ فى ركنٍ، لا نأتى حركةْ..
لكنْ..
هل نملكُ هذا حقاً؟
هذا أيضاً، لا نملكه..
ما أضيعنا فى زمنٍ، لا يملك فيه الواحدُ منّا حقّ الصمت..
فقديماً كنا نتوارى خلف جدار الصمت..
حين يكونُ: الصمت أو الموت..
لكن، ماذا نصنع يا ولدى..
فى زمن: يعنى فيه الصمت الموت..

١٩٧٩م

النور يفترش الطريق

من أين يقبل هؤلاء؟..

من أين هم يتسرّبون؟..

الأمهات تهرّأت أرحامهن، ويقبلون..

أصلاب من يدعونهم آباءهم، قد أجدبت، ماتت خصوبتها، ورغم جفافها، هم ينسلون..

العائدون من الحقول يردّدون الأغنيات..

والزرع يبسم بالسنابل، والبيادر متخمات..

شكراً لك اللهمّ، هذا العام أقبل بالكثير..

شكراً، فهذا العام لم يحمل بمثل ثرائه أبداً، ولا حلمت به كلُّ السنين الماضيات»

والقاعدون على الطريق، يكوّرون بصاقهم يلقونه في أوجه الآتين:

«ما أشقى الحياة!!..

«الليل يفترش الطريقَ..

«فلا بصيصَ من الأمل..

«عودوا إلى الحفر الكئيبة، هوِّموا، فالليل آت».

* * *

الأمهات الصالحات يلدن نسلاً صالحًا..

والأمهات الطالحات يلدن نسلاً طالحًا..

هذا، ومن فقد البصيرةَ، لا يرى نورَ الضحى..

قالوا: «ومن يك ذا فم، مرٌّ مريض قد يرى..

طعم المرارة فى الزلالِ، وقد يسوغ المالحا»..

* * *

أتراه لو نعق الغراب على النخيل، أيعقم؟..

لو بومةٌ نعبت بظلِّ الكرمِ، هل يتحصرم؟..

* * *

فلتصرخوا عبرَ الطريق صراخكم، أو هوِّموا..

فى ذلة الجرذان، أو فلتفعلوا ما شئتموا..

بل ما تشاء لكم شياطين الخراب، وأجرموا..

فلتصرخوا..

لن يجدب الحقل الينيع المتخمُ..

فلتصرخوا..

لن يقبل الليل الكئيب المظلمُ..

فالنور يفترش الطريقَ، مع انتفاضات الأمل..

والعائدون من الحقول، يردّدون الأغنيات..

«شكراً لكَ اللهمَّ..

«هذا العام أقبل بالكثير..

«شكراً لكَ اللهمَّ..

«قد حققتَ كلَّ الأمنيات»..

٥

توزيعة جديدة لمعزوفة قديمة

«قالت، وأبثثتها شجوى، وبحت به» .

ـ إنى أحبك، يا متيمتى..

ـ إنى أحبك، فى سبيل هواك لا أهتمُّ بالخطر..

ـ إنى أحبك، لست أنكره..

ـ بهاؤك نزهة النظر..

قالت، وفى نبراتها هَلَعٌ، والراصدونَ بكلِّ ناحية..

فى مصعد صعب، ومنحدر..

«قد كنتَ عندى تحبُّ الستر فاستتر..

«ألست تبصر من حولى ؟!»

هتفت بها، وبرغم أعواد المشانق والزنازين..

ومشاعر الحجر..

والراصدونَ بكلِّ منعرجٍ، برزوا كأسراب الجراد، تتابعوا زمراً كجحافل التتر..

وحذاء شرطيٍّ، بلا قلب..

كالظلِّ يمضى تابعا أثرى..

«غطى هواك وما ألقى على بصرى»..

«غطى هواك وما ألقى على بصرى»..

١٩٧٩م

هجائيات

(١)

أتقتلونَ بعضكم، بلا سبب..

وتنتقون للهيب أجودَ الحطب..

وكلكم يظنُّ نفسه محمداً..

وكلكم أبو لهب..

وتدّعون أنكم عرب..

إن كان من أراهمو أمام ناظرى عرب..

فقد كفرت بالعرب..

أجل كفرت بالعرب..

دم الشهيد لم يزل..

على الدروب يصطحب..

منقبًا عن السبب..

يقول فى غضب..

من أجل ماذا تهدر الدماء أيها العرب..

يا أيها الذين تدعون أنكم عرب..

(٢)

مدانٌ أنا، مثلما كلكم مدانون، ليس بريئًا أحد..

تركناك يا وطنى، وانطلقنا..

وراء الدراهم، نحسب أنا سنجمع تبرًا، ألا ليت شعرى. وما لا لبد..

ومرّ الزمان، وشيئًا فشيئًا..

نسينا البلادَا..

استحلنا جمادَا..

دُمى لا تحسُّ، نسينا الديارَ، تركنا البلد..

ألا فاخرجوا من جلود البراءة، ما فيكمُ من برىء، أجل لست أعفى أحد..

(٣)

من فيكم أرشد عنى للسلطان؟.

من فيكم قاد خطا الأجناد إلىّ..

من فيكم أسلمَ ساقي للسجان؟.
من فيكم؟
يا خصيان..
يا لعقةَ أعتاب السلطان..

١٩٧٩م

التخلى

حينَ بدأنا السعىَ بهذا الدرب..
كنا نضع أمامَ العين شروط الصحبة..
وشروط الصحبة:
أن نقتسم اللقمة..
أن يفنى الواحد منا فى الآخر..
أن نحملَ من يسقط منا قبل بلوغ الغايةْ..
أن نحمل من يسقط منا فى كهف الإعياء..
أن يرفعَ كلٌ منا عن صاحبه الأعباء..
أن نصمد فى وجه الغيلان كفرد واحد..
إن عشنا، عاشَ الكل..
أو متنا ماتَ الكل..

وبدأنا الرحلة..

* * *

والآن، وقد أصبحت بقايا عظم..

تتناثر فيه الديدان..

من بعد أن افترستنى الغيلان..

أتساءل..

ومرارة كل الصبارات تعلقم حلقى..

أو تلك شروط الصحبة؟!..

أو تلك شروط الصحبة؟!

١٩٧٩م

هاملت.. يموت أبداً!!

لأنّ فى زماننا الأطفالَ يولدون ميتين..

ويرضعون الموتَ كلّ يوم..

فينشأون ميتين..

ويكبرون ميتين..

يملؤنا التوقع الحزين..

* * *

أسير فى الطريق مغمضَ العينين..

أودّع التفكيرَ عند باب دارنا..

وأترك الشعورَ فى سكون منزلى الصغير..

يا ويله من كان واسع العينين فى زماننا..

يا ويله من كان نابهاً ذكياً.
يا ويله من كان مرهفَ الشعور..

* * *

طوبى لأعمى ذلك الزمان..
طوبى لأغبياء عصرنا.
طوبى لكل ميت الشعور..

* * *

نكون فى زماننا ولا نكون..
أمنيّة عزيزة المنال..
أن تطرحَ السؤالَ راغباً..
أظنه المحال..
أكائنٌ أنا أم لا أكون؟..
هذا هو السؤال..

* * *

يا ويله من كان حاملاً فى عصرنا البليد، قلبَ هاملت.
يا ويله من أبصرت عيناه، ما لا تبصر العينان..
يا ويله من كان فى مضاء فطنة الأمير..
يا ويله اللبيب والبصير..

* * *

حذار أن تحدق البصر..

أن تبعدَ الرؤيةَ عن مسار خطوتين..

والفائزون من يفكرون في حدود يومهم..

«اليومَ فى غدائنا دجاجةٌ محمرة..

«وبعدها نشرب كوباً مثلجاً من الجعة..

«ننام بعدَ الأكل..

«وعندما نصحو، فشاى العصر طيِّب المذاق..

«ونقرأ الأخبارَ فى جريدة الصباح..

«وفى المغيب موعد الصحاب..

«هناك فى قهوتنا القريبة..

«ثرثرة محببة:

«مرَّت بنا فى الصبح حلوةٌ من النساء..

«ما أروعَ الساقين..

«معممٌ تمتم بعد ما أطال نظرته..

«أستغفر الإله..

«أعوذ من شيطان ذلك الزمان..

«هذا وقود النار..

«اليومَ كبَّدت قوات فتح العدوَّ، أعظم الخسائر..

«قد زاد سعر البيض هذا الشهر»..

وفى المساء نشهد الرواية الجديدة..
وبعدها نعود للمنزل كى ننام..
ما أطيب الحياة!!..
وكل حين ترقيهْ.
ماذا يريد المرء غيرَ الستر؟

* * *

يا ويله من ينعم التفكير..
يا ويله اللبيب والبصير..
يا ويله المتقد الشعور..
يا سعدَه!!..
من كان فى زماننا، ولم يكن..
لا توقظوا هاملتَ من رقاده..

١٩٧٠م

حتى لا يهلكنا اليأس!!

.. ويوماً ما..

سينقشع الضباب، يطلُّ وجه الصحو، تشرق في مرابعنا الشموس الزهر، حبلى بالسنا الألاق، بالأفراح، بالآمال، بالبهجة..

* * *

ويوماً ما..

سيبزغ من ثنيات الغيوم السود، رغم الليل والظلمة..

بدرٌ ليس يشبه نورَه نورُ..

يرقرق ضوءَه عطراً..

يبث الفرحَ والبشرا..

* * *

ويوماً ما..

سينبثق الربيع هنا..

يبدد كل هذا الجدب، يملأ أرضنا خصبا..

ويزرع حقلنا حبا..

أنبئكم عن البدر الذى حملت به الأيام

أنبئكم عن الشمس التى ستصدُّ كل الظلام

أنبئكم عن الزهر الذى نبتت براعمه بقلب الصخر

* * *

أحدثكم بأن الليل مهما طالَ، يأتى بعده الصبح..

وأنّ البرعمَ الراقد فى أغوار هذا الطين..

سيبرح قبرَه، من نومه يصحو..

* * *

وقالوا: إنه هذيان محمومين..

لا، يا أيها الجهال، ما هذيان محموم، أقول الصدق..

سينفجر الضياء غداً..

سينبثق الربيع غداً..

سيمرح فى ربوع حياتنا الآمال والرغد..

* * *

وكان هناك فى بلدى عجوزٌ يعرف الحكمة..

يفضح سرُّه المستورَ، يعلم كل ما نجهل من أسرار دنيانا..

وكنت أزور كعبته، أحجُّ إليه أحيانًا..
فكنت إذا جلست إليه حدثنى، وأخبرنى بما أجهل من أسرار هذا الكون..
فكان يقول: لا ليلٌ بلا صبح، ولا غيمٌ بلا شمس، ولا محلٌ بغير عطاء..
ولا داءٌ بغير شفاء..
ويومًا ما سينقشع الضباب يطلُّ وجه الصحو، يشرق فى ظلام الليل بدرٌ ينشر الأفراحَ والبشراَ فلا تتعجلوا الأقدارَ، كلٌّ فى مواسمه!!

١٩٦٩م

دمعة عليه

صلاح منصور.. أخي الذى فقدت

من أين تبتدىء القصيدة؟..

والحزن يبرز أخطبوطًا، مد أذرعه العديدة..

الحزن يخنقنى، فيمتنع الكلام..

ماذا أقول، وكلُّ ما حولى ظلام..

الحزن فاجأنى صباحَ اليوم، يبرز من خلال سطور أعمدة الجريدة..

يا أيها الشىء الخرافى الرهيب..

يا أيها الحزن العجيب..

من أين جئت إلىّ فى هذا الصباح..

من ذلك الأحد الحزين..

من أين جئتَ إلى نصلك ذلكَ المسموم..

كيف غرسته فى غور أعماق الضلوع..

أواه، يا قلبى الطعين!..

من أين جئت؟..

يا أيها الحزن اللعينْ..

يا زارعًا فى الصدر حقلاً من جراح..

يا أيها الحزن الذى قد زارنى هذا الصباح..

من ذلك الأحد الحزين..

ليقول: ماتَ أخى صلاح.

* * *

وإذن فقد ذهب الحبيب أخى صلاح..

أواه، يا حقلَ الجراح..

يا أيها المروىُّ بالدم والنواح..

من ذا يصدق؟..

من ذا يصدق أنَّ من قد كان ملء قلوبنا..

أسماعنا، ملء البصر..

يغدو خبر..

خبرًا تناقله الصحف..

ليجيئنى بالحزن فى هذا الصباح..

من ذلك الأحد الحزين..

ليقيمَ في صدري الطعين..

من بعد ما غرسَ الجراح..

يأتي إلى هنا، بلا وعد يجيء..

ليقول: ماتَ أخي صلاح..

لهفي عليكَ، أخي صلاح..

* * *

أتقول: لا تبكوا علي، فأنتَ لاتهوى الدموع..

يؤذيك مرآها بأعين من تحب؟..

حسناً،نحاول يا صلاح..

لكن ستندفع الدموع..

حتماً ستندفع الدموع..

فهناك في غور الصدور، هناكَ في عمق الضلوع..

ينساب مندفعاً كمثل السيل نهرٌ من دموع..

ينصبُّ هداراً فمن يقوى على حبس الدموع؟..

١٩٧٩م

عندما نادتني عيناك

الجزء الثاني
من
أغنيات طائر غريب

الإهداء

إلى سلطان بن علي العويس

صديقاً وشاعراً

عبد المنعم عواد يوسف

١٩٩٩م



عندما نادتنى عيناك

أىُّ سحْرٍ كـامنٍ فى عُمق عينيكِ؟ أجيبى
يا ربيــعًا مُزهرًا فى قــفْرِ أيامى الجــديبِ
أنتِ إشـراقةُ عُمـرى بعـد إطلالِ المـغيبِ
أنتِ أنشودةُ عيشى، أنتِ فى الدنيا نصيبى

***

أىُّ صــوتٍ نابع من ســحْرِ عــينيكِ ينادى؟
همــســةٌ كــالحُلْم نادتنى فلبّاها فــؤادى
أرْجَعَتْنى لوجــودى، أيقظتنى من رقــادى
هذه النظرةُ كــانت جــرعــةَ المــاء لصــادِ
إنّهــا كلُّ مــرامى، إنهــا أقــصى مُرادى
فــــإذا بى ســــابحٌ فى النورِ من وادٍ لوادِ

وإذا بى مُفْلتٌ من قبضة الصمْت الرهيبِ
فمضى قلبى يغنّى كغناء العندليبِ
أىُّ سحْرٍ كامنٍ فى عمق عينيكِ؟ أجيبى
أنتِ يا فرحةَ عمرى، أنْتِ يا كلَّ نصيبى

* * *

يا لها من نظرةٍ كانت نُشوراً لمواتى
نظرةٌ كالقَطْرِ سالْت فوق صحراء حياتى
ومضةٌ شعّتْ ضياءً، فتَجلّى ما بذاتى
إنها كانت شعاعًا ماحقًا للظلماتِ
فَنَضَوْتُ السِّتْر عنّى بعد أن ولّى سُباتى
وإذا السرُّ تبدّى من رُكام الذكرياتِ
وإذا بى غارقٌ فى نشوةِ الصبح الرغيبِ
فمضى قلبى يغنى كغناءِ العندليبِ
أىُّ سحْرٍ كامنٍ فى عُمقِ عينيكِ؟ أجيبى
أنتِ يا فرحةَ عُمرى، أنتِ يا كلَّ نصيبى

* * *

يا لقلبى من نداءٍ ساحرٍ هزَّ كيانى
نظرةٌ كالسحْرِ، ينبوعُ صفاءٍ وحنانِ
منذُ نادتْنى وقلبى مستهامُ الخفقانِ

هائمٌ كـالطيـرِ يسـعى بين سـحـرىٍّ الجنانِ
سـابحٌ في بحْرِ إحـسـاسٍ قـوىٍّ الجَيـشَانِ
يمـلأُ الدنيـا بفـيْضٍ من لحـونٍ وأغـانِ
ويغنِّى فى انطلاقٍ كـــغناءِ العندليب!
وهو يُصغى فى انتشاءٍ لصدى الهمْسِ الحبيبِ
أىُّ سحْرٍ كـامنٍ فى عُمقِ عينيك؟ أجيـبى
أنتِ يا فرحةَ عمـرى، أنتِ يا كلَّ نصيبى

زمن الحبّ

دَعِي زمني، غــــدوْتُ بلا زمـــانِ

لأبدأهُ شــــبـــاباً بالتــــداني

فـــأنْتِ العـــمـــرُ يُولدُ من جـــديدٍ

فـــمـــا مـــعنى زمـــانك أو زمـــاني؟

أُضِيـــفي عُمْرك الآن امـــتـــداداً

إلى زمني بأرصـــدةٍ حـــســـانِ

مـــواعـــيـــدٌ.. لقـــاءاتٌ.. أغـــانٍ

نُعـــانقُهـــا، ويا طيبَ الأغـــاني!

وأفْراحٌ إذا مـــــــا الوصْلُ وافـى

وأشــجـــانٌ إذا يوْماً جـــفـــاني

وآمــــالٌ إذا القُرْبُ احـــتــــوانى
وأحـــزانٌ إذا اليـــأسُ اعتـــرانى
ولـكـنّى لـدى الحـــالَيْن راضٍ
ســعــيــدٌ بالجـفــاء وبالتــدانى
فــأنْتِ العـــمـــرُ يُولَدُ من جـــديد
وأنـتِ البـــعْـــثُ حـلَّ بـلا أوانِ

* * *

حـــمِلْتُ العـــمـــرَ أيّامًا ثقـــالاً
تُناوشنى بســـيْلٍ من طعـــانِ
فــــإنْ أُطْعَنْ، فـلـم أُطْعَنْ برمْحٍ
ولـكـنّى طُعِنْتُ مـن الـزمـــانِ
طَعَنْتُ، فـكـان ذاك أشـــدَّ وقْعًا
علـى الإنْســـان مـنْ طـعْن الـسِّنانِ
إلى أنْ جئْتِ لى، فـــوقـــفْتِ ردْءًا
يـصـــدُّ هجـــومَ أيّامى الحِرانِ
ليَسْلُسَ حــاضـــرى كـــالنبْع صـــفْوًا
ويغـــمـــرنى بصـــوْبٍ من حنانِ
فــإنْ ولَّى مع الحـــرمـــان عُمْرٌ
فــقـــد وافى مع الإغـــداق ثانِ

البركان

سـألتْ لتـدركَ قـدْرها الآنا

والوصْلُ بعـد قطيـعـةٍ وافى

أترى غـرامك مـثلمـا كـانا

فـأجـبتُ: بلْ قـد زاد أضـعـافـا

* * *

الحبُّ فى الأعـمـاقِ مـازالا

مـتـوهّجـا لم ينطفئْ يومـا

يهـتـزُّ فى الأعـمـاقِ صـوّالا

أبدًا فـيـحـرمُ مُقلتى النوْمـا

* * *

حـــبّي كـــمـــا البـــركـــانِ لا يهـــدأ

وإن احـــتـــمى بالصـــمتِ أحـــيـــانا

مـــا صـــمـــتُه إلاّ ليـــشـــتـــدّا

أوَ مـــا وعتْ ذكـــراكِ بُركـــانا

* * *

يا حُلوة اللفـــتـــاتِ بركـــاني

يربو على كلِّ البـــراكـــينِ

ينداحُ في أعـــمـــاقِ وجـــداني

وبناره الهـــوجـــاءِ يُصليني

* * *

فـــإذا بدوتُ كـــمـــهـــجـــةٍ سَليتْ

هـذا الغـــرامَ تـوجْسي خـطـرا

هي هدأةُ البـــركـــانِ، لو حـــمـــيتْ

يـومًا فـلـن تُبـــقـي ولـن تـذرا

تيهى دلالاً

تيــــهى دلالاً، فكلُّ الناسِ عــــشّاقُ

طافتْ بهم فى مــجالى الحسْنِ أحداقُ

فى لمْحِ لحْظكِ ســرٌّ عــزّ مطلبــهُ

وكلُّنا لاكــتناهِ الســرّ ســبّاقُ

يا منبعَ النورِ، نورِ السـحْرِ منْبعثٌ

مــن خــلْف هُدْبــك، إنّ الــومْضَ ألاّقُ

كُنّا بليْلٍ، فــولّى الليلُ منْســحبًا

لمّا تفــجَّر من عــينيكِ إشــراقُ

هو الرحــيقُ الذى ســاغت مــشــاربُه

لــلــنــفْسِ ريٌّ، ولــلأرواحِ تــريــاقُ

مـــا أعـــذبَ النبعُ من غـــينيك مُنْسكبًا

إلى الفـــؤادِ، فـــتندى فـــيـــه أعـــمـــاقُ

مـــا أجـــدب العـــمـــرَ، لو لم تجـــرِ أنهـــارٌ

من فـــيْضِ حُسْنِك، لو مـــا كـــان إغـــداقُ

إذن نكونُ كـــــمن بالقـــــفْرِ قـــــد نزلوا

فـــالعـــيـــشُ من حـــولهم فـــقْرٌ وإمـــلاقُ

* * *

يا ربةَ الســـحْرِ تدعـــونا لنـــاجـــتـــهـــا

نحن الحـــيـــارى أحـــاســـيسٌ وأشـــواقُ

مُكبَّلينَ بقـــــيْدِ الأرضِ، تجـــــذِبُنا

إلى ســـــمـــــائك أبعـــــادٌ وآفـــــاقُ

لنســــــتظلَّ بعرْشِ الحـــــسْنِ فى زمنٍ

كم مـــسَّنا فـــيـــه حـــرمـــانٌ وإخـــفـــاقُ

فـــإنْ سَمَونا إلى عُليـــاكِ ننشـــدها

فكم ظَلَلْنا لهـــذا الأوْجِ نشـــتـــاقُ

أمنية

حَقِّقِى لى كلَّ أحلامى القديمةْ

وتعالىْ شاطِئَ القلبِ نعيمهْ

فَلَظَى الأيامِ لن تبْقَى وقد

لامَسَتْ روحى يدٌ منكِ رحيمةْ

وَعْدُكِ السرُّ الذى قد شدَّنى

لحياةٍ ملْؤُها الجدْبُ عقيمة

أنا لولا ذلك الوعدُ لما

عِشْتُ مشدوداً إلى دنيا ذميمةْ

أنا قـــد عـــشتُ على وهْم اللقـــاءْ

أرقبُ الحلم صـــبـــاحًا ومـــســـاءْ

فـــإذا مـــا جـــئـــتنى اليـــومَ ربيـــعًا

فـــاعـــزفى يا نفسُ ألحـــانَ الهناءْ

ربـمـــــا تـنداحُ أيامى الحـــــزانى

ويَهِلُّ الفرحُ من بعْد الشـــقـــاءْ

ربـمـــا تُشـرقُ فى أفـــقى شـــمـــوسٌ

قـــد توارتْ خلْف غـــيـــمـــاتِ العناءْ

***

آهِ كم أهفـــــو لتلك الأمنيـــــةْ

تمـــسحُ الهمَّ وتجلو مـــا بيـــهْ

حَقِّقيـــهـــا لى لأحـــيـــا راضـــيًا

بعـــد أيامِ العـــبـــوسِ الداجـــيـــةْ

وتعـــــالىْ نسلكْ الدْربَ مـــــعًا

فى ظلالٍ من نعـــيـــمِ حـــاليـــةْ

عـنـدهـا أنـسى عـــــذابى كـلَّه

ويغنِّى القلبُ أحلى أُغْنيـــــةْ

اللفتة الساحرة

يا لفْتــةَ الســحْرِ، يا خــمــرًا بلا قــدحِ

جـادتْ بهـا فـاسـتـثـارت غـايةَ الفَرحِ

أفــديكِ من لفْتـــةٍ حـــسناءَ فـــاتنةٍ

سَخَتْ علينا بهـــا، يا روْعـــةَ المِنَحِ!

هـى الـعـطـاءُ الـذى يـسْرى بـلا مـنٍّ

وإنْ تَمُنَّ، فـلـم تأثـمْ وتـجــــتـــــرحِ

* * *

يا لفْتـة السـحْرِ، يا غـيـمًا همى، فـربا

حـتى اكـتـسى روضُنا ثوبًا من المـرحِ

يا لفْتَةَ السحْرِ: يبدو الكونُ معتكراً

حتى تُطلّ على أفقي، وتنْفتحي

فيغْمرَ النُّورُ أعماقي ويُسْكرَها

يا لفتَةَ السحْرِ فوق النفْسِ فانْسَفِحي

عاد الربيع

عـــاد الربيعُ، فـــهل يعـــودُ حـــبـــيـــبى
وأنالُ من حُلْو الوصـــالِ نصـــيـــبى
أمْ أنَّ أيّام الـربـيـعِ ســـتـنـقـــضى
ويجفُّ نبعُ رحـيـقـهـا الـمـصـبـوبِ
وأظـــلُّ وحْدى فـــى انـتـظـارٍ يـائـسٍ
والصـــفْوُ تؤذنُ شـــمْسُه بـمـغـيـبِ

* * *

عـــاد الربيعُ، فـــزاد وقْعُ وجـــيـــبى
لـمّا أطلَّ علىَّ طيْفُ حـــبـــيـــبى
ورجـــوتُ أنْ يأتى إلىَّ حـــقـــيـــقـــةً
كـــالشـــمسِ تطلعُ بعـــد طول غـــروبِ

فـــــتــــــرفُ في روضي أزاهرُ وصْله

فـتـضيءُ وجـهي بعـد ليل شـحـوبي

* * *

عـــــادَ الـربيـعُ بـعطْره الـفــــوّاحِ

فكســا الرياضَ بســـوْسنٍ وأقـــاحِ

لكنَ أجـــملَ زهرةٍ بحــــديقــــتى

لـم تـبْدُ بـعْدُ بـســــــحْرهـا الـلمّاحِ

فـمـتى تُطلُّ عليّ طلعـةُ شـمْسـهـا

وتحــــوطني بـالبِشْر والأفــــراحِ ؟

* * *

عـــاد الـربيـعُ بثــــغْره البــــسّامِ

مُتــــوشّحــا بغـــلائلِ الإلهـــامِ

فـــمــتى يعــودُ مُنى الفــؤادِ بســحْره

حــــتى يُعـــانق بالسنا أيّامى

وأنالَ مـــا يصـــبــو الفـــؤادُ لنيْله

وأرى الربيعَ مُحــــقّقــا أحــلامى

رومانسية جديدة
أنا... والناس

لا النفسُ من شــهــدها تخلو ولا كــاسى
مـــالى أنا لو جـــفـــانى ســـائر الناسِ
مـــا دُمْتُ أملكُ أطيـــافى وأخـــيلتى
والحبُّ ينبعُ من أعـــمـــاقِ إحـــســـاسى
أحـيـا مع الفـجـر أو فى الصـبح مُنطلقاً
مُبـــعـــثــرا فى صـــمـــيم الكونِ أعـــراسى
وأبعثُ اللحْنَ والأنغـــامَ مُنتـــشـــيـاً
بمـــا تفـــجّر من شـــدْوى وأقـــبـــاسى
والأفْقُ يـرقـصُ بـالأنـوار نـابـضـــــة
بكلّ مـــا فـــيـــه من بِشْرٍ وإيناسِ

وفوق جدولِيَ المسحورِ راقصةٌ

عرائسُ الزهْر من فلٍّ ومن آسِ

دَعْنى من الناسِ، إنّ الناسَ والهفى

يقيِّدون أحاسيسى وأنفاسى

يا دهْرُ، يا ناسُ، حسْبى ما أكابدُه

من الزمانِ، زمانى ذلك القاسى

هذا الذى يغرسُ الأشواكَ فى طُرقى

ويحْطِمُ الأملَ المنشودَ فى باسِ

لكنْ هنا فى صميمى ثورةٌ نبتَتْ

وصيحةٌ أضْرَمَتْها حُمْرُ أقباسى

مهما أكابدُه من دُنياى والناسِ

فليس تُودى بىَ الدنيا ولا ناسى

تنويعات على لحن الهوى

(١)

جَهِل مَنْ لَم يَطُفْ بِجناكِ

وأَرَتْه كوناً ساحراً عيناكِ

فَدَعِي الفؤادَ يهيمُ فى أفيائها

ويرى السعادةَ فى ظلالِ رُباكِ

يا جنةَ المشتاقِ حسْبُك جنّةً

للعاشقين، فواصلى نُعماكِ

جُودى على المحروم، لا، لا تبخلى

لا تحرمينى منْ سخيٍّ جداكِ!

حرمانُ عُمْرى ذاب حين أَمَمْتُها

تلك الرياضَ، فآهِ ما أنْداكِ!

(٢)

عـــرف الهـــوى منْ عـــاش في دُنيـــاكِ
ومـــضى يعـــانقُ في الحـــيـــاةِ سناكِ
والعـــمـــرُ يمـــضى فى رحـــابكِ مُفْعَـــماً
بالطيبِ، مـــا أزكى نســـيـمَ شـــذاكِ
يا نبْع أفـــراحِ الوجـــودِ تتـــابعتْ
لـمّا طَلَعْت عـلـىَّ كـــــــــالأمْلاكِ
لولاك كنتُ أعـــيشُ وسْط مـــهـــامـــهٍ
جـــدباءَ أصْلَى قـــيْظَهـــا، لولاكِ
كُنْتِ الربيعَ، وقـــد بزغْت بعـــالمى
يا فـــتنةَ الأكـــوانِ، مـــا أبهـــاكِ!

(٣)

ذاق الهـــوى من ذاق عـــذْبَ لمـــاكِ
وسقَتْهُ ذوْبَ رحـــيـــقـــهـــا شَفَتَاكِ
يا حلوةَ الشـــفـــتـــين، صُبّى فى فـــمى
ســـرَّ الحـــيـــاة، أعـــيشُ لا أنســـاكِ
مـــا الشـــهـــدُ إلاّ من مـــعـــينكِ نبْعُه
مـــــا كنتُ أعـــرف طعْمَه لولاكِ
رَوّيْتنى، يـا طيـبَ مـــــا روّيـتـنـى
إنّ الســـعـــادةَ نبْعُهـــا ريّاكِ

أسْقيْتنى، فـعـرفتُ أرْوعَ نـشـوة
والقلْبُ يمـرحُ فى ذُرا الأفـلاكِ

(٤)

خَسرَ الهـوى من لم يفُزْ بهـواكِ
أنْتِ المليكةُ والإمـاءُ سـواكِ
وَحْشـيّةَ العـينين سَهْمُكِ نافـذٌ
فى القلْب، ضُمّينى إلى قـتلاكِ
فـإذا صُرِعْتُ فـإنّ ذلك مـبْعـثى
وكـفى حـيـاةً أنّنى أحـيـاكِ
أنتِ الوجـودُ بكلّ مـا قـد ضـمّهُ
وأنا مُجـرّدُ نجـمـةٍ بسَمـاكِ
أنتِ الحـيـاةُ، فـمـا أظنُّ بمـيّتٍ
مَنْ عـاش يومًا فى حِمَى دُنيـاكِ

الأشواق العائدة

أوهكذا بَعـد المَشـيب يعـودُ يَغلبنى الحَنينْ
وأنا الذى ودَّعت أشْواقى ببـــاب الأربعـــين
ونسـيتُ أيام الصِّبـا والحبَّ والشـوقَ الدفـينْ
أو هكذا، بعد المشيب، أعودُ مثل العاشقين
أشقى بنيـران الهـوى، ويكادُ يقـهـرنى الأنين

* * *

أو هَكذا بعد المـشيب، أعودُ أركنُ للسـهـادْ
أحـيـا على نار انتظار حـارق يكْوى الفـؤاد
أو هكذا بعد المـشيبِ، يَعودُ يهـجُرنى الرقادْ
من بعـد ما ودَّعت من زمن مـجافـاة الوسـاد
ونسيتُ أحزان الفِراق، سلوتُ أشجان البُعاد.

* * *

أو هَكذا تُحيين ما ودَّعتُ من همى القَديْم
فاذا الحياةُ تدبّ فيما خلته أضحى رميم
وإذا التوهجُ عاد يَسرى بينَ طيَّات الهشيم
وإذا بأشواقى تعودُ، تجدَّد الوجدَ الأليم
فأروحُ مثل الأمس، أمضِى حاملا قَلبى الحطيم

* * *

يا فتنتى، والشوقُ عادَ كأنَّه لم ينطفى
فعَرفت أنَّ السرَّ يكمنُ فى الضلوع ويَختفى
لا، لم يمتْ حبى، ومن آلامه لم أشتف
والنبضُ فى يوم من الأيام لم يتوقف
والآن هأنذا.. بكلّ صبَابتى وعواطِفى

أجل.. أنت!!

أجل أجل أنت
أملى الذى أهواه

فى خاطرى كنت
حلماً تطوف رؤاه

الشعر نفس الشعر
وروعة الهدبين

والثغر نفس الثغر
وبسمة الشفتين

والسحر نفس السحر
يطل من عينين

حلما تخايلت

وهأنا ألقاه

أجل أجل أنت

أملى الذى أهواه

* * *

دعاء أمى لى

أن ألتقى بفتاة

كأنها البدر

وجدته فيك

فجئت كالأمل

معطراً بشذاه

وأزهر الصدر

شوقاً يلبيك

تيهى كما شئت

تيها وما أحلاه

أجل أجل أنت

أملى الذى أهواه

فـي خـــــــاطـري كـنـت

حـلـمـــــا تـطـوف رؤاه

* * *

يـا جـنـة الـمـــوعــــود

فـي هـذه الـدنـيــــا

ســلـمـت لـي أبــدا

ودام لـي حـــبـك

يـا حـلـمـي الـمـنـشـــود

يبـــدو لعـــينـيـــا

أوفـي بـمـــا وعـــدا

مـن الـمـنـي قـلـبـك

لـمـــا تـراءيـت

فـي الـصـــدر شـف سـنـاه

وانـهــــا أنـت

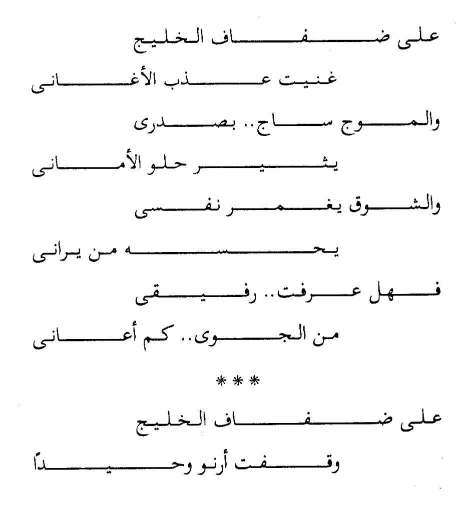
أمـــلـي الـــذى أهـــواه

فـي خـــــاطـري كـنـت

حـلـمـــا تـطـوف رؤاه

* * *

على ضفاف الخليج



على ضفاف الخليج
غنيت عذب الأغاني
والموج ساج.. بصدري
يثير حلو الأماني
والشوق يغمر نفسي
يحسه من يراني
فهل عرفت.. رفيقي
من الجوى.. كم أعاني

* * *

على ضفاف الخليج
وقفت أرنو وحيداً

يعانق الوجد روحى
والوقت يمضى وئيداً
والطير يبدو لعينى
وقد تراءى سعيداً
ينساب فى أثر بعض
يروم الفضا بعيدا

* * *

على ضفاف الخليج
ذكرت عهد اشتياقى
فذاب قلبى حنينا
إلى زمان التلاقى
أيام أن كنت أحيا
فى نشوة من عناق
إلى جوار حبيب
نشدو بلحن الوفاق

* * *

على ضفاف الخليج
وقفت قرب المساء
وليس إلا سكون
يشيع ملء الفضاء

والشمس تهوى رويداً

لتختفى فى حياء

فحركت ملء نفسى

حنينها للبكاء

* * *

على ضفاف الخليج

أحياء. وطيف حبيبى

أبثه شوق قلبى

مع النسيم الرطيب

والموج يرسل لحنا

مع الشعاع الذهيب

والطير يمضى يغنى

همسا بلحن المغيب

بقايا غرام

أي شيء أبقت الذكرى لنا
من غرام ذات يوم ضمنا
كل ما كان قديما بيننا
ضاع منا وتولى بعدنا
ضاع ما كان قديما
باتت النار هشيما
اسكتي، لا تشعليها
أي خير كان فيها
حاذري أن تبعثيها
واتركيني، واتركيها

***

لا تقـــولي: قم بنا نحي الهـــوى

أنا لا أذكـــر مـــا هذا الهـــوى

كل مـــا كـــان: عـــذاب، لوعـــة

كل مـــا كـــان: ســـهـــاد وجـــوى

لعنة منهـــا اســـتـــرحنا

فـــهـــدئنا، وفـــرحنا

فـــتـــرة، لا تذكـــريهـــا

أى خـــيـــر كـــان فـــيـــهـــا

حـــاذرى أن تبـــعـــثـــيـــهـــا

واتركـــيني،. واتركـــيـــهـــا

* * *

إن يكن فـيـمـا مـضى شيء أُثيـرُ فـابعـثـيـه

أو يكن بين الزوايا مـــا ينيـــرُ فـــاشـــعليـــه

إن يكن فـيـمـا مـضى لحن طروبٌ فـاعـزفـيـه

ذكـــرى قلبـــا تغـــشـــاه الغـــروبُ ذكـــريه

ربمـــا أخـفـت يد النسـيـان شـيـئاً يبـتـغـيـه

ربمـــا أحـيت له الذكـرى مـراماً يشـتـهـيـه

غـــيـــر أني يائس من ذلك المـــاضي الكريه

فاطرحيه كله عبر المدى، لا تذكريه
أصبح الماضي يبابا
باتت الذكرى عذابا
نقمة لا تذكريها
أي خير كان فيها
حاذري أن تبعثيها
واتركيني، واتركيها

أنشودة حب صغيرة

مهداة إلى الشاعر سلطان العويس

يـا ربّة الـطـرف الـكـحـيـل
وربـة الـخـصـر الـنحـيـلْ
يـا درةً عـربـيـة
كـرُمَتْ، فليس لهـا مـثـيـل
جـودي عـلـيـنـا بـالـوصـال
فـمـا وصـالك بـالـقـليـل
لا تـبـخـلـي بـالـوصـل لـيـس
البـخلُ من صـفـة الجـمـيـل

إن الجمالَ هو العطاءُ

وما جميلٌ بالبخيل

جودى علينا بالقليلِ

فما قليلك بالضئيل

والنظرةُ الوطفاءُ قد

تغنى عن المنح الجزيل

فى ذلك الزمن البخيلِ

يعزُّ قدْراً من يُنيل

والباخلون بما لديهم

شأنهم أبداً هزيل

***

ميلى إلىّ فلستُ نحو

سواك في يوم أميلْ

أنا قد قصرتُ عليكِ

عاطفتى واحساسى النبيل

ميلى إلىّ ولا يهمّك

زهرتى قالٌ وقيل

هذا كلام الشائنين

فما له فينا سبيل

لا تعبئى بحديثهم

ولنبدأ الوصل الجميل

أغنية
هكذا غنى قيس

مهداة إلى الطبيب الفنان: الشاعر نزار غانم

أنا الظمآن يا ليلى

وأنت النبع والوادي

أنا الظمآن يا ليلى

فمن للظامئ الصادي

***

أنا الظمآن من عطشي

أكاد أجن يا ليلى

على جمر الأسى أمشى

فكونى النبع والظلا

* * *

أنا الظمآن يا ليلى

قليل الماء يكفيه

فقومى وابعثى أملا

يكاد اليأس يطويه

* * *

أنا الظمآن من زمن

وعندك ما يروينى

يكاد أساى يقتلنى

فمدى الكف واسقينى

* * *

أنا الظمآن، من ظمئى

أكاد أموت فى الصحرا

فكونى أنت ملتجئى

فإنك جنتى الخضرا

* * *

أنـا الـظـمـــآن يـا لـيـلـى

فـمـن ذا يـنـقـذ الـظـامـى

يـكـاد الـمـوت أن يـصـلا

فـأحـيـى مـيـت أيـامـى

* * *

أنـا الـظـمـــآن يـا لـيـلـى

وأنـت الـغـيـث والـسـاقـى

تـحـول عـالـمـى لـيـلا

فـكـونـى فـجـرى الـبـاقـى

* * *

أنـا الـمـجـنـون يـا لـيـلـى

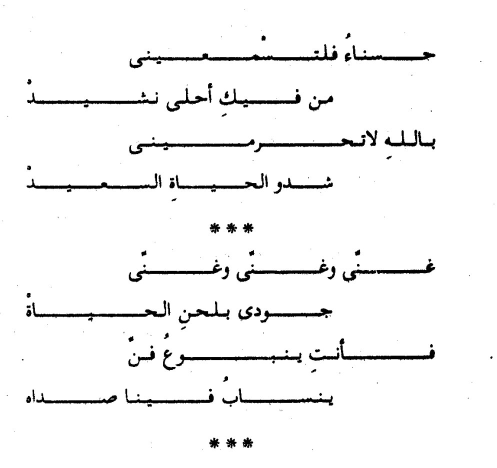
تـعـالـى وارحـمـى قـيـسـا

فـنـأيـك كـاد يـا لـيـلـى

يـمـزق خـافـقـى يـأسـا

* * *

همسات عود



حسناءُ فلتسْمعيني
من فيكِ أحلى نشيدْ
باللهِ لاتحرميني
شدو الحياةِ السعيدْ

* * *

غنّي وغنّي وغنّي
جودي بلحنِ الحياةْ
فأنتِ ينبوعُ فنّ
ينسابُ فينا صداه

* * *

غنّى على همس عودى

فمنكِ يحلو الغناءْ

ورقرقى فى وجودى

عِطْر المنى والصفاءْ

***

غنّى فإن الأغانى

تُذيبُ بؤس النفوسْ

غنّى فكم ذا نعانى

من الزمان العبوسْ

***

ناداكِ عودى فغنّى

لا تبخلى باللحونْ

غنّى فيا رُبّ لحنٍ

يسرى فيمحو الشجونْ

***

جودى بلحنٍ طروبِ

يُحيى ابتسام الشفاه

ولْتطلِعى فى غروبى

شمساً تنيرُ الحياة

***

غـنّي فـكـم هـام عــــــــودي
بصـــــوتكِ العــبـــقـــــريْ
يَصْفُ الـوری إن تـجـــــــودي
بـفـــــــــيضِ شَذْوٍ نـديْ

***

الـطيــــــرُ فـی الأُفقِ يـشـــــدو
بـرجـع مـــــا تُنشـــــدينْ
علّمْتِه كــــيف يغــــدو
مـــــــــزوداً بـالـحـنـيـنْ

***

ناداكِ عــــودي، فــعــــودي
إلـی الـغـنـاء الـبـــــديـعْ
غنّي ليــخـــضــرّ عـــودي
بعـــد انحـــــــار الربيعْ

***

هاتی الـمـــقــــامــــاتِ هاتی
ونـــوِّعـــی فـــی الـغـنـــاءْ
أحـــــيِيْــتني من مـــواتی
بــكــلِّ هــذا الــعــطـــاءْ

***

غـنـي عـلـى هـمْس عـــــــودي

فـــــــــمـنـكِ يـحـلـو الـغـنـاءْ

ورقـــــــرقي فـي وجـــــــودي

عـطْر الـمنـى والـصـــــفـــــاءْ

يوم ميلادك

في يوم ميلادك السعيدِ
غنيتُ مُنْشرحاً نشيدي
من دفقةِ الحبِّ في الحنايا
من نبْضةِ الشوقِ بالوريدِ
من لهْفةِ الوجْدِ في ضلوعي
من نشوةِ الفرْحِ في وجودي
يا منْ بميلادها حياتي
مَشَتْ على دربها الجديدِ
فيومُ ميلادها المفدّى
على مدى العمْر صار عيدي

***

يا يومَهــــا لُحْتَ مـــثل شـــمْسٍ

تُرقرقُ الـــنــورَ مـــلْءَ نـــفْســـي

شـــمسٌ ربيـــعـــيـــةُ المـــجـــالي

تـصبُّ تـرياقَهــــــا بـكـأسـي

فـــتنتـــشـى الروحُ، أيُّ فـــجـــرٍ

سَرَى فـــــأودى بـلـيْلِ يـأسـي

يـا حـــاضـــراً عشْتُه غـنـاءً

كـــأنّنى مـــا بكيتُ أمْسِ

كـــأنّنى مـــا شـــقِيتُ يوماً

من قـــبْل أن تُشْرقي كـــشَمْسِ

***

من قـــبْل أنْ تـلتـــقي يدانا

وتُشـــرقُ الشـــمسُ في ســـمـــانا

كم كنتُ أخـــشى الحـــيـــاةَ دربْاً

وأرهبُ العـــمـــرَ والزمـــانا

لكنما بعد أنْ تلاقتْ
على طريق المنى خُطانا!
عشقْتُ عمرى، عشقتُ دربى
أحببتُ ما لم يكُنْ وكانا
فكيف لا أحتفى بيومْ
أعاد لى الأمْنَ والأمانا

***

يا يومَها كيف لا أُغنّى
مُذوّبًا فى النشيدِ فنّى؟
لنْ ادّعى أنّ كلّ طيْرٍ
قد راح يشدو بكلّ غُصْنِ!
لنْ أدّعى أنّ كلّ زهْرٍ
قد راح يزهو بفيْضِ حُسْنِ
يكفى بأنّى لها أغنّى
من كلّ قلبى، يكفى بأنّى
هديّتى الشّعْر، ليْت شعرى
هديّتى أنّنى أُغنّى

***

أغنية وصال

ليلٌ وموسيقى وألحانُ
ومواطنٌ بالأُنسِ تزدانُ
وأنا وأنتِ ونشوةٌ تسرى
عبْرَ الدُّجى والكونُ وسنانُ
والروضُ بالأنسامِ مؤتلقٌ
يزهو به وردٌ وريحانُ
وتحفُّه الأنداءُ عاطرةً
وتعانقت بالوصلِ أفنانُ
ما أجمل الدنيا وقد عبقت
بشذا الرياضِ الحلْوِ أركانُ
ضحكت لنا الأيامُ فانطلقى
شدْواً فإنّ القلبَ ظمآنُ

عَطشٌ إلى أنغـــامك النشـــوى
فلكم أصـــاب النفْسَ حـــرمـــانُ
غنّى فـــإن الليلَ من حـــوْلى
شـــدْو ومـــوســـيـــقى وألحـــانُ
غنّى فَذَوْبُ اللحنِ إذْ يـــســـرى
تنداحُ أشـــجـــانٌ وأحـــزانُ
فلكم لقـــينا الهمّ في زمنٍ
أيامُه شـــوكٌ ونيـــرانُ
يا ليلةً تمّتْ بشـــاشـــتُهـــا
فـــالصـــدْرُ بالآمـــالِ مـــلآنُ
طابتْ فـــمـــا أبهى مـــحـــاسنَهـــا
والـــروضُ بـــالأنـــوارِ مُزدانُ
هى ليلةُ الوصْلِ الذى نعـــمـــتْ
نـــفـــســـى به والدّهـرُ ريّانُ
غَنيّتهـــا لحنًا ســـرى غَرِدًا
والكونُ إصـــغـــاءٌ وآذانُ
وأنا وأنتِ ونشـــوةُ اللقـــيـــا
والليلُ مـــوســـيـــقى وألحـــانُ

ويله لو أنها إحدى الصدف

أيها المقبلُ، كالأطيافِ، والليلُ انتصفْ

قاصداً قد جئتنى،أمْ أنّها إحدى الصدفْ؟

هأنا من يوم أن فارقتنى

ومع الأسقام قد خلّفتنى

أصطلى الوجدَ، بلا رفْقٍ إلى حّد التلفْ

* * *

فترفّقْ بفؤادٍ هزّهُ عصْفُ الدّنَفْ

فهْوُ حقّا بسوى حبك يوماً ما اعترفْ

إنه ما زال يصبو لرضاك

أتُرى قد جئت كى تمحو جفاك؟

أمْ تُراها.. ويْله لو أنها إحدى الصدفْ!

* * *

ما الذى ساقك نحوى بينما الليلُ انتصفْ؟

أهو إحساسٌ بما كانَ؟ فيا نُبْلَ الهدفْ!

إن يكن هذا فقد أبرأتنى

من عذاب مستبدٌ هدَّنى

أيها المقبلُ بدْراً، بعد ليلٍ قد عصفْ

مثل ريحٍ هزّ روحى ذات يوم فَاعْتَسَفْ

الوعود الزائفة

أزيدُ مودّةً لتزيدَ وُدًّا

فتُوسِعُني مدى الأيامِ وعْدا

فوعْدٌ، ثُم وعْدٌ، ثُمّ وعْدٌ

وأغنمُ بعد طول الصبْر صدًّا

فأضْحتْ نارُ أشواقي جحيمًا

وكنتُ أظنُّها أمْنًا وبرْدا

وتنْهمرُ الوعودُ مُندّياتٍ

فما أدري لها حصْرًا وعدًّا

وتذهبُ مثلما جاءت هباءً

فلا ألقى من الإخفاقِ بُدًّا

مليكةَ خافقى أسْرفتِ وعْدَا
فجاوز مُطْلُكِ المعهودُ حدًا
فليتك تُوصدينَ اليوم بابًا
فأيأسَ من سنا برْقٍ تبدّى
فما كلُّ البروقِ يُتحْنَ غيثًا
وكان ذهابُها فى الأفْقِ أجْدى
فكمْ من خُلّبٍ يُورى بوعْدٍ
بروقٌ للخداعِ وَمضْنَ قصْدًا
مليكةَ خافقى: راوغْتِ قلبى
إلى أن طاشَ فى الفلواتِ رُشْدًا
فإنْ تتعمدّى إضرامَ شوْقٍ
يُسعّرْ مُهجتى لهفًا ووجْدًا
لأُصبحَ بين عشّاقٍ تغنّوا
بحُسْنك، كلُهم قد صار عبْدًا
فما أنا بالذى يرضى خُنوعًا
ولو للحسنِ، إنْ يومًا تعدّى

ومـــــا أنا بـالمــــــؤمّل منـك قُربًا

فــــلا تتـــعــــمــــدّى نأيًا وبُعْدًا

أنـا الـنـائـى إلـى أفــــيـــــاء يأْسى

فـــقـــد نلْقى بظلِّ اليـــأْس سَــعْدًا

نفثة

هـذا أنـا يـا أيـهـا الـنـاسُ

قلْبٌ وعـاطفـةٌ وإحـسـاسُ

نفْسٌ تُضـيء بحـبِّها الدنيـا

فـكـأنّها لـلـحبِّ نـبـراسْ

ومُنىً يعـانقُ بعـضُهـا بعـضًا

يـزهـو بـهـا الـريحـانُ والآسْ

ومـبـاهجٌ تنْدى نسـائمُهـا

وبـشـائرٌ تـتـرى وأعـراسْ

لـكـنّ نـفـسي تـصـطلـى ألـمًا

وأنـا أرى الآمـال تـنـداسْ

أودى بهـــــا زمنٌ ينـاوئـنـي

فـــأحـــاط بي ليلٌ وأحـــلاسُ

أين الطمـــوحُ؟ لقـــد غـــدا مِزقًا

أين الأمـــاني؟ غـــالهـــا اليـــأسُ

أو هكذا تلهـــــو بيَ الدنيـــــا

ويحـــوطني جـــذْبٌ وإفـــلاسُ

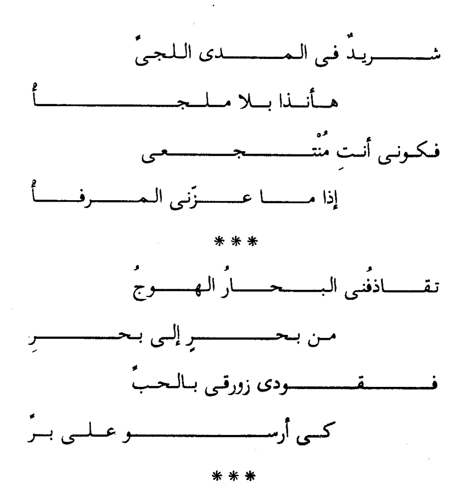
من بعـــد مـــا قـــد كنت في كـــونٍ

رغْدٍ، يـــلـــفُّ رؤاه إيـــنـــاسُ

فـــإذا أدرتُ لعـــيـــشكم ظهـــرى

فلتـــعـــذروني أيهـــا النـاسُ

شريد



شريدٌ فى المدى اللجىّ

هأنذا بلا ملجأُ

فكونى أنتِ مُنْتجعى

إذا ما عزّنى المرفأُ

***

تقاذفُنى البحارُ الهوجُ

من بحرٍ إلى بحرِ

فقودى زورقى بالحبِّ

كى أرسو على برِّ

***

أنا العصفورُ طارده

سِجالاً عاصفٌ نزقُ

فكوني دَوْحَه الريانَ

حتى يرحلَ القلقُ

***

طريدٌ في مهبِّ الريحِ

والأمواجُ تعصفُ بي

فكوني أنتِ منقذتي

من الأهوالِ والنصبِ

***

غريبٌ في دياجي العُمْرِ

في ليلٍ بلا شُهُبِ

فكوني أنتِ مشكاتي

فموجُ الشكِ يلعبُ بي

***

أنا الحيرانُ في كونٍ

بلا حبٍّ فَضُمِّيني

إلى دنياك يا أملي

فإنّ الحبَّ يُحْيِيني

***

ترنيمة حب

مهداة إلى روح: الموسيقار الخالد محمد عبد الوهاب

سلْ عنه جُنْدولَه الســـارى على مـــهلِ
ينســـابُ فى مـــوكبٍ من عطره الخَضِلِ
والبندقـــيـــةُ إذْ تزهو بفـــتنتـــهـــا
فى ليلةٍ من ليــــالى العُمْرِ، لم تَطُلِ
وأشـقـر الشِّعْرِ شـرقىّ السـمـاتِ مـضى
من منبع الســحــر يســقــينا على أملِ
غنّى لـه بـلبـلُ الـوادى وصـــــادحُه
بغنوةٍ فى ضـــمــيـــرِ الخلْدِ، لم تزلِ

***

وطُفْ على «الكرنك» الباقي مع الأبدِ

ببهْوِ أقداسه الموّاجِ بالعَمَدِ

واسألْه من ذلك الشادي بروعته

بذوْب لحنٍ بسرِّ الخلْدِ مُتَّحد

واسألْ مليكةَ مصْرٍ من بها غنّى

مباركًا عرشها كالبلبلِ الغردِ

يصوغُ تاريخنا شدْوا فيبعثه

حيًّا على الدهر، سِفْرًا غير مفتقدِ

* * *

سلْ عنه «جارة وادينا» وقد غنّى

بسحْرِها الفذِّ فاهتزّ الورى فنّا

«في الليل لما خلى» والبدرُ مكتملٌ

وقيسُ يشدو بليلاه وقد جُنّا

وذلك الرافدُ الفضّيُّ في ولَهٍ

ينساب يحكي لآفاق الدنى عنّا

ما بين تلك «الروابي الخضر» يحضنها

كالطفل يعدو إلى (صدر امّه) حنّا

* * *

وسلْ «دمَشْقًا» وقـد غنّى لهـا غـضـبـا

لمـا أرادوا بهـا ـ من حـقـدهم ـ عَطَبَا

مـضى يصبّ عليـهم نار نقـمـتـه

كـمـارد شبّ بالأنغـام وانتـصـبـا

ولـم يـزل لـحـنه بـردى يُردّده

فـيـمـلأ الكونَ من إيقـاعـه طربا

مـا أروع الوحـدةَ الكبـرى وقـد عـبقت

عطرا يضمُّ شـذا ريحـانه العـربا

* * *

سل عنه فـلاّحَهـ والقـمح والعـيـدا

وصـادحُ النيلِ يشـرى مـصـر تغـريدا

والبـرتقـالُ، وقـد غنى لمـوسـمـه

يوم الحـصـاد فـهـزّ السّهْلَ والبـيـدا

والناسُ تشـدو بمـا يشـدو بلا مللٍ

فـبلبلُ الشـدو لا يألوه تجـديدا

فـى كـلّ يـومٍ لـه مـن فـنـه طـرقٌ

تَسْبِى النفـوسَ وتُشـربهـا أغـاريدا

* * *

يا شــادىَ العُرْبِ من جــيلٍ إلى جــيلِ

مــن الـخـلـيـج إلـى بـردى مـع الـنـيـلِ

ومن فــراتٍ إلى عــاصٍ، ويجــمــعنا

من الـولاء وثاقٌ جِدُّ مــــوصــــولِ

أيّدته بـرفــــيـع الـفـنّ يـدفــــعنـا

إلى دروب الـمنى عـــذب التـــراتيلِ

قَدُمْتَ حــيّاً بهـــذا الفنّ مــؤتلقــا

على جــبــينك يزهو خــيــرُ إكليلِ

أغنية حب في ذكرى العقاد

أين في المحفل هذا العبقريْ
إن يكن مات، فبالإبداع حيّ
صوتُه ما زال فينا سارياً
وله في مسمع الدنيا دوىّ
إنه العقّادُ يَنبوعُ السنا
كمْ نهلْنا من رؤاه خير ريّ
وتزوّدنا بما فُزْنا به
من جنى روض الأديب الألمعيْ

* * *

أين في المحفل هذا العبقريْ
إن يكن مات، فبالإبداع حيّ

روحُه مــثلُ شــهــابٍ ســاطع
يـنـشـــر النور على هذا الندىّ
وهوى العــقــاد يســرى بيننا
ســريانَ الروح فى الجـسْم العـفىّ
فـإذا نحن جـمـيـعـا أسـرةٌ
نتـبـاهى بالوفـاقِ العـائلىّ

* * *

أين فى المـحـفل هذا العـبـقـرىّ
إن يكن مـات، فـبـالإبداع حىّ
عـاش حـراً مـثلمـا تهـوى العـلا
فى زمـان يقـهـرُ الحـرَّ الأبىّ
إنه العـقـاد من قـد قـال: لا
فى وجـوه الجـور، والعـسْف العتىّ
عـانق السـجْن، ولم يخش الردى
وتحـدّى سطوة البطش القـوىّ

* * *

أين فى المـحـفل هذا العـبـقـرىْ
إن يكنْ مـات، فـبـالإبداع حىّ

فكره ســـال مـــعـــيناً ســـائغاً

لـم يكـن يومًا علينا بالعـــــصىّ

وهو إن عـــــزّ على بعض الـنهى

لـم يـضـقْ ذرعًا بـه إلا الـعـــــــيىّ

إنـه طـاب شـــــــــــرابًا لـلأُلـى

ينشـــدون العــمق لا السطح الزرىْ

* * *

أين في المـحـفل هذا العـبـقـرىْ

إنْ يكن مــات فــبـــالإبداع حىْ

رائد التــجــديد فى الشـعــر الذى

هـبّ يُعليـــه على النهج الـسّـــوىْ

وحدة المـوضـوع والفكر اكـتـست

بــرداء مــن قــــــــــوافٍ ورَوِىّ

إنه الـشـــعـــر حـــيـــاة ورؤى

تفـــعمُ الوجـــدان بالنشـــر الزكىْ

* * *

أين فى المـحـفل هذا العـبـقـرىْ

هــو لا يـفـنــى لأنّ الـفـكْر حـىْ

عـاش في الدنيـا كـمـا قـد شـاءها
بـهُدى داعٍ، وإلـهـــــام نـبـيّ
وتولّى بعـــدمـــا حـــاز الذى
يبـتـغيـه من ذرا المـجـد القـصيّْ
شــاعــراً كـــان، ويكفى أنه
عــالج النثــر بحسٍّ شــاعــريّ

جرح لا يلتئم

بعد عام من رحيل الشاعر عبد الله شرف

أوَ ذاك حـــقّاً!! قـــد تصـــرّم عـــامُ
مُذْ قـــــــــد رحلْتَ، ودارت الأيـامُ؟
وإذنْ فـــمـــا بالُ الفـــجـــيـــعـــة لم تزلْ
تحـــيـــا، وهذا الجـــرحُ لا يلتـــامُ؟

***

أنا مُذْ فـــقـــدتُك قـــد فـــقـــدتُ سكينتي
تعـــتـــادُني الأحـــزانُ والأســـقـــامْ
فـــالقلبُ بعـــدك للأسى مـــســـتـــسلمٌ
فـــإذا بكاك، فـــمـــا عليـــه مـــلامُ

وهلْ المـــحبُّ إذا بكى أحـــبـــابَه

عند الرحـــيلِ، فـــهل تراهُ يلامُ؟

* * *

هذى «صناديدُ» الحـــزينةُ لم تزلْ

تبكى رحـيلك، فـالدمـوعُ سـجـامُ

وأنا أشـاركـهـا البكاءَ، فـمن مـضى

كـــان الربيعُ تحـــفُّه الأنســـامُ

كـان البـشـاشـةَ والطلاقـةَ والندى

فكأنه ثغرُ المـنى البـــسَّامُ

* * *

لكنْ عـــزائى أن ســيــبــقى دائمًا

وله بأعـــمـــاق القلوب مـــقـــامُ

هو ذا مـــقـــامُ العـاشـقـين، ومن لهُ

هذا المـــقـــامُ فَذكْرُهُ أنغـــامُ

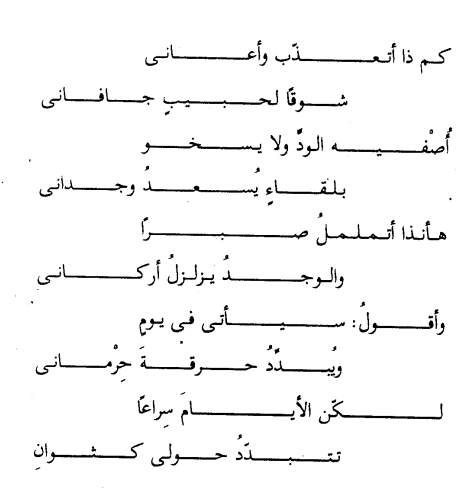
يبـــقى على مـــرِّ السنين بشعْرِه

مـــهـــمـــا مـضتْ وتتـابعت أعـوامُ

مـــا دام نبْضُ الصـــدْقِ فى أبيـــاته

وســـرى على نبـــراسِه الإلهـــامُ

أغنية



كم ذا أتعذّب وأعانى

شوقًا لحبيبٍ جافانى

أُصْفيه الودَّ ولا يسخو

بلقاءٍ يُسعدُ وجدانى

هأنذا أتململُ صبراً

والوجدُ يزلزلُ أركانى

وأقولُ: سيأتى في يومٍ

ويُبدِّدُ حرقةَ حِرْمانى

لكنّ الأيامَ سِراعًا

تتبدّدُ حولى كشوانِ

وأنا ما زلتُ على أملي

أتمزّقُ بين الأحزانِ

فإلامَ الصبرُ وقد عصفتْ

أيامُ الفُرقة بكياني

والهجرُ الظالمُ يقذفُ بي

كالموجةِ بين الشطآنِ

ما قرّ قراري في يومٍ

أو لُذْتُ إلى شطٍّ أمانِ

* * *

وأعودُ بفكري للماضي

أيامَ حبيبي يرعاني

يسقيني الودَّ وأسقيه

من كفّي كأسَ التحنانِ

فأحنُّ إلى هذا الماضي

كي أنسى لوعة أشجاني

لكنّ الحاضر يوقظني

من هذا الحلم الفينانِ

فأعودُ إلى قسوةِ يومي

بجفاء حبيب ينساني

دمعة وفاء

مهداة إلى روح سلطان العويس

عرائسُ الشعْرِ تبكى اليومَ سُلطانا
وتُرسلُ الدمعَ مثلَ السيْلِ هتّانا

تبكى «الهزارَ» الذى كم كان يُطربنا
بشعره العذْبِ أنغاماً وألحانا

من كلِّ فنٍّ رفيعِ القدْرِ مُؤْتلقٍ
يَسْبِى النفوسِ ترانيماً وأوزانا

تبْكيه شعراً سرى كالنور يبْهرُنا
بروعةِ السحْرِ كمْ قد هزَّ وجدانا

مـــا أرْوعَ الحبَّ قــد ضــمَّتْ قــصــائدُه

في رقّة الهــــــمْسِ تسْرى فى حنايانا

***

مــــاذا أقـــولُ؟ وليْت القـــولَ يُسْعِفُنى

حـــتّى أُعـــبِّرَ عن إحـــســـاسى الآنا

وكلُّ ذكـــرى له فى النفْسِ غـــاليـــةٌ

مـن الكـنـوزِ التـى تحـــــوى طوايانا

مــــا زِلْتُ أذْكـــرُ أيّامًا بصُحْبــــتــــه

فى دوْحــــــةِ الـذيْدِ أو فى خُورِ فكّانا

ونحنُ أصــحـــابُه والأُنْسُ يجـــمـــعُنا

على المــــحـــبّةِ خلاّنًا وأخـــدانا

كمْ كُنْتَ عـــذْبًا رقـــيقَ الروحِ فى عبَقٍ

«أبا علىٍّ».. وكمْ قــــــد كُنْتَ فنّانا

فــــإنْ بكيْنا. بكيْنا الحبَّ فى رجلٍ

هو النســــيمُ الذى قــــد مـــرَّ ريّانا

هو الســمـــاحـــةُ إذْ تَسْعى على قـــدمٍ

يقْضى الوفـــاءُ بأنْ نشـــدُوه عـــرفـــانا

وما مضى الدهرُ لنْ ننسى مآثرهُ

وعطْرُها فوْحُه يسْري بدُنيانا

ونحن أحبابه سنظلُّ نذكرهُ

مدى الحياةِ.. فكمْ قد كان إنسانا

الفهـــرس

الإهداء ٣

المقدمة: بقلم الدكتور حسين محمد على ٥

الديوان الأول (المرايا والوجوه)

١ ـ تنويعات على إيقاع الكامل ٤٧

٢ ـ أنابيش الطفل القديم ٥١

٣ ـ صور شعرية ٥٥

٤ ـ إشارات ٥٩

٥ ـ منمنمات شعرية ٦٢

٦ ـ قصائد قصيرة ٦٩

٧ ـ أغنية للسلوان ٧٤

٨ ـ في ذكرى عبد الله شرف ٧٧

٩ ـ لم يبق لي أحد سواك ٧٩

١٠ ـ ويبقى شاعراً (فى رثاء نزار قبانى) ٨٣
١١ ـ ثنائية المرايا والوجوه ٨٥
١٢ ـ وردتها الحمراء ٨٨
١٣ ـ الأنامل وإيقاع الزمن ٩٠
١٤ ـ بذور الشر ٩١
١٥ ـ هل كان الشيخ نصر الدين؟ ٩٤
١٦ ـ أورراق قاهرية (٢) ٩٨
١٧ ـ وشم على شفة المدينة ١٠٤
١٨ ـ قصيدة قديمة (شهيد بورسعيد) ١٠٦
١٩ ـ العصافير لاتعرف الوهم ١٠٩
٢٠ ـ دعوة للغناء ١١٢
٢١ ـ متون وهوامش ١١٤
٢٢ ـ سارق النار (إلى عبد الوهاب البياتى) ١٢٢

الديوان الثانى (للحب أغنى):

١ ـ عودة محب ١٤٠
٢ ـ فى حب الرسول (معزوفة من حركتين) ١٤٣
٣ ـ حنين ١٤٨
٤ ـ عن الأم ١٥١
٥ ـ حول الحب وأشياء أخرى ١٥٥
٦ ـ السندباد أبداً ١٥٩
٧ ـ الطريق والحب ١٦١
٨ ـ العائدون والأمل ١٦٥

٩ _ وكما يموت الناس مات ١٧١
١٠ _ وجهان للحب ١٧٥
١١ _ يوم أن مات الأمير ١٧٩
١٢ _ قصيدة رومانسية ١٨٣
١٣ _ النسر والطيور ١٨٧
١٤ _ تنويعات شعبية على معزوفة وطنية ١٩٢
١٥ _ الموتى لا يبكون ١٩٧
١٦ _ أغنية لطائر غريب ٢٠٤
١٧ _ عيون الأصدقاء ٢٠٧
١٨ _ حكاية الذى انتحر ٢١٠
١٩ _ زائر منتصف الليل ٢١٥
٢٠ _ صياد العيون ٢١٨
٢١ _ عندما يصبح اليأس أملاً ٢٢٥
٢٢ _ الحزن قدرنا ٢٢٨
٢٣ _ ما دمت معى ٢٣١
٢٤ _ عندما يبتسم الصبار ٢٣٣
٢٥ _ أحاسيس وتوقعات ٢٣٧
٢٦ _ أغنية لمستمع لم يولد بعد ٢٤٠
٢٧ _ ثلاثية ٢٤٤
٢٨ _ وجهها والمرآة المهشمة ٢٤٧
٢٩ _ القطار ذو النوافذ المغلقة ٢٥١
٣٠ _ احتضان اليأس ٢٥٦

٣١ ـ الفارس الذى أتى أخيراً ٢٥٨
٣٢ ـ عند بابك ٢٦١
٣٣ ـ السقوط أبداً ٢٦٤

الديوان الثالث (الشيخ نصر الدين والحب والسلام):

١ ـ لقاء فى فصل لم يولد بعد ٢٧١
٢ ـ طواف فى كتاب الشيخ نصر الدين ٢٧٥
٣ ـ ثنائيات الشيخ نصر الدين ٢٨٤
٤ ـ طوبى لصانعى السلام ٢٨٧
٥ ـ أيها الميتون.. هبّوا ٢٩٢
٦ ـ عود إلى كتاب الشيخ نصر الدين ٢٩٦
٧ ـ من كلمات الشيخ نصر الدين ٣٠٤
٨ ـ اللقاء الثالث مع الشيخ نصر الدين ٣٠٧
٩ ـ قطرات من الفرح ٣١٤
١٠ ـ من خماسيات الشيخ نصر الدين ٣١٨

الديوان الرابع (عناق الشمس):

١ ـ الأطفال والذرّة ٣٣٠
٢ ـ ولدى علاء ٣٤٠
٣ ـ غداً نزرع ٣٤٤
٤ ـ عندما يموت البطل ٣٤٥
٥ ـ المسيح الجديد ٣٤٨
٦ ـ أحزان العيد ٣٥٣
٧ ـ سر المنظار الأسود ٣٥٧

٨ ـ أشواق المعركة ٣٦١
٩ ـ قريتنا بين عهدين ٣٦٤
١٠ ـ الفجر الأبيض.. فجر البشر ٣٧٧
١١ ـ القسم المقدس ٣٨٠
١٢ ـ مقبرة الغزاة ٣٨٤
١٣ ـ سأظل أقاوم ٣٨٨
١٤ ـ مدينة الضياء ٣٩٢
١٥ ـ أنشودة السلام ٣٩٦
١٦ ـ موطن الخالدين ٣٩٩
١٧ ـ الحب فى العيون ٤٠٢
١٨ ـ عناق الشمس ٤٠٥
١٩ ـ البحث عن بطل (إلى جمال عبد الناصر) ٤٠٨
٢٠ ـ أخى العربى (إلى المعلم) ٤١٥
٢١ ـ لقاء مع النصر ٤١٧
٢٢ ـ الانتخابات بين الأمس واليوم ٤٢٢
٢٣ ـ صيحة عربية ٤٢٥
٢٤ ـ قصة لاجىء ٤٢٨
٢٥ ـ من وحى الميثاق ٤٣٣

الديوان الخامس (الضياع فى المدن المزدحمة)

١ ـ إنه يقبل فى موعده ٤٥٣
٢ ـ والحب له وجه ثالث ٤٥٥
٣ ـ الظلال ٤٥٩

٤ ـ مجرد ملاحظات ٤٦٣
٥ ـ مرثية نهر كان يضج بالحياة ٤٦٧
٦ ـ المتنبى يشكو سيف الدولة ٤٧٠
٧ ـ مشاهد فوق مرآة مشروخة ٤٧٧
٨ ـ المأزق ٤٨١
٩ ـ النور يفترش الطريق ٤٨٤
١٠ ـ توزيعة جديدة لمعزوفة قديمة ٤٨٧
١١ ـ هجائيات ٤٨٩
١٢ ـ التخلّى ٤٩٢
١٣ ـ هاملت يموت أبداً ٤٩٤
١٤ ـ حتى لا يهلكنا اليأس ٤٩٨
١٥ ـ دمعة عليه (صلاح منصور أخى الذى فقدت) ٥٠١

الديوان السادس (عندما نادتنى عيناك)

١ ـ عندما نادتنى عيناك ٥٠٩
٢ ـ زمن الحب ٥١٢
٣ ـ البركان ٥١٤
٤ ـ تيهى دلالاً ٥١٦
٥ ـ أمنية ٥١٨
٦ ـ اللفتة الساحرة ٥٢٠
٧ ـ عاد الربيع ٥٢٢
٨ ـ رومانسية جديدة (أنا والناس) ٥٢٤
٩ ـ تنويعات على لحن الهوى ٥٢٦

١٠ ـ الأشواق العائدة ٥٢٩
١١ ـ أجل أنت ٥٣١
١٢ ـ على ضفاف الخليج ٥٣٤
١٣ ـ بقايا غرام ٥٣٧
١٤ ـ أنشودة حب صغيرة ٥٤٠
١٥ ـ هكذا غنى قيس ٥٤٢
١٦ ـ همسات عود ٥٤٥
١٧ ـ يوم ميلادك ٥٤٩
١٨ ـ أغنية وصال ٥٥٢
١٩ ـ ويله لو أنها إحدى الصدف ٥٥٤
٢٠ ـ الوعود الزائفة ٥٥٦
٢١ ـ نفثة ٥٥٩
٢٢ ـ شريد ٥٦١
٢٣ ـ برنيمة حب (إلى روح الموسيقار عبد الوهاب) ٥٦٣
٢٤ ـ أغنية حب (في ذكرى العقاد) ٥٦٧
٢٥ ـ جرح لا يلتئم (بعد عام من رحيل عبد الله شرف) ٥٧١
٢٦ ـ أغنية ٥٧٣
٢٧ ـ دمعة وفاء (إلى روح سلطان العويس) ٥٧٥

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٧٠٩ / ٢٠٠١

I.S.B.N 977 - 01 - 7119 - 0